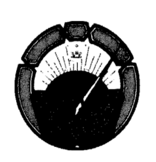


نزوى عبر التاريخ

الطبعة الثانية / ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م



نزوى عبر التاريخ

حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في نزوى

في الفترة من ١٦ -١٧ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ الموافق ٧ - ٨ أكتوبر ٢٠٠١م

الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

صـــدر من هذه السلسلة :-

١ - صحار عبر التاريخ

٢ - صور عبر التاريخ

٣ - ظفار عبر التاريخ

٤ - عبري عبر التاريخ

٥ - مسندم عبر التاريخ

٦ - الرستاق عبر التاريخ

٧ - بُهلى عبر التاريخ

مراجعة :-

محمد بن حمد المسروري

تصميم الغلاف : نبيل البقيلي

المنتدى الأدبي

ص.ب : ١٧٧٧ - الرمز البريدي : ١١١ البريد المركزي

هاتف : ٢٤٤٩٣٤٢٤ - فاكس : ٢٤٤٩٢٥٧٥

البريد الالكتروني : E-mail : litsoc@omantel.net.om

كلمة معالي السيد/ هلال بن حمد البوسعيدي

مستشار الدولة للشؤون العدلية ـ راعي الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ولي الحمد والنعم، والصلاة والسلام على نبيه العلم، وعلى آله وصحبه أهل المكارم والشيم.

أيها الحضور الكرام

إنه لمن دواعي الغبطة والحبور، ومواعد البهجة والسرور، أن نلتقي بكم هنا على هذه الأرض الطيبة: حيث نبت العلم ونشأ رجاله، وحيث بسقت دوحة العدل وامتدت ظلالها، وحيث بني التاريخ فشمخت أركانه، وحيث قامت حضارة الدين والإيمان فشع في الأرجاء نورها في مدينة نزوى، مدينة التراث الخالد، والأمجاد التالدة، والتاريخ الذي لا يبيده الزمن بتقادمه، ولا الدهر بصروفه.

أيهـا الأخـوة

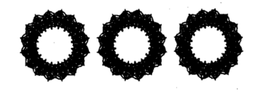
إن كانت نزوى تحتل هذه المكانة في ضمير التاريخ؛ فإن نهضتنا المباركة بقيادة عاهل البلاد المفدى، ورائد مسيرتها المظفرة، حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ، بوأت نزوى المبوأ اللائق بقدرها، والبستها الثوب المتناسق مع جمالها وجلالها، وما هذا الاحتفاء بها إلا مقام للتكريم، وما هو في الحقيقة إلا تجديد لمآثر أولئك السلف الغابرين، لتكون خطاهم آثاراً يقتديها الجيل الناهض في مسيرته المباركة التي يقودها ـ بتوفيق الله ـ عاهل البلاد المفدى ـ حفظه الله ـ للوصل بين الغابر والحاضر، والربط بين الطارف والتليد، وهو إن دل على شيء؛ فإنما يدل على اهتمام القيادة الرشيدة لراعي هذه المسيرة لبناء جيل مؤمن بربه، مخلص لقائده، وفيّ

لوطنه، حريص على دينه، فخور بأمجاده وتاريخه، يردد لسان حاله:

إنا وإن احسابنا كرمت	لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا	تبني ونفعل مثل ما فعلوا

هذا ولا يفوتني أن أسجل عميق شكري، وفائق التقدير لصاحب السمو السيد فيصل بن على بن فيصل آل سعيد وزير التراث القومي والثقافة على تفضله بتشريفي برعاية هذا الحفل المبارك، والشكر موصول لوزارة التراث القومي والثقافة ممثلة بجميع القائمين عليها، سائلاً الله أن يبارك خطواتهم بالإسهام في نهضة هذه البلاد حساً ومعنى، في ظل القيادة الرشيدة لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم ـ حفظه الله ـ

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته



هذا الاصدار ...

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم حمداً كثيراً طيباً مباركاً ونصلي ونسلم على أفضل الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

فقد كان من البديهي بمكان أن تحتل المدن الإسلامية عبر التاريخ مكان الصدارة في دراسات الدارسين وبحوث الباحثين، إلا أنه من المؤسف أننا لم نجد من بينهم من أولى عناية خاصة بحواضر عمان ومدنها بل إن تاريخ عمان وبشكل عام قوبل بشيء من عدم الإهتمام والإنصاف من قبل العديد من المؤرخين والجغرافيين لظروف لا داعي لذكرها، مما يلقي على كافة المؤسسات العلمية والثقافية بالسلطنة مهمة انسانية وذلك بإعادة النظر في صياغة تاريخنا الناصع بشكل عام وتاريخ مدن عُمان وحواضرها ذات الثوابت الحضارية والفكرية والإنسانية والتي كان لألقها الثقافي وتأثيرها الاجتماعي والاقتصادي حضوره الفاعل والمتميز والمؤثر على الساحتين المحلية والعالمية منذ عصور ما قبل التاريخ.

واعتزازا بهذا الدور الرائد الذي اضطلعت به حواضرنا وتقديرا للمهمة الوطنية والعلمية الملقاة على عاتق الأجيال الحاضرة والمستقبلة، فقد حرصت وزارة التراث القومي والثقافة ممثلة في المنتدى الأدبي على منح تلك المدن العناية والرعاية والإهتمام. وذلك عبر الندوات العلمية والثقافية التي يشارك فيها نخبة من المؤرخين والباحثين المتخصصين للعمل على إبراز أهميتها ومكانتها التاريخية والجغرافية وبما تستحقه من دراسات جادة عميقة وموضوعية تثري المكتبة العُمانية والعربية وتنقل بأمانة البصمات المتميزة والاشعاعات المضيئة لهذه المدن عبر التاريخ.

والله ولي التوفيق ،،،

المنتدى الأدبي


في
آثار
يعقوب بن عبدالله البوسعيدي

تقديـــــم

الحمد لله الذي جعل لنا في آثار الماضين عبراً وآيات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فكم من بئر معطلة وقصر مشيد، وكم من آيات يمر عليها الغافلون وهم عنها معرضون، نسأل الله أن يجعلنا من المعتبرين العاملين بكتابه وسنة نبيه محمد الواعظ الأمين، (ﷺ) أزكى صلاة وتسليم.

فقد تشرفت بالدعوة الكريمة من قبل المنتدى الأدبي للمشاركة في أعمال ندوة يدور الحديث فيها حول تخت العرب، وعاصمة الإمامة، بل بيضة الإسلام (مدينة نزوى).

وأود أن أقدم اعتذاري لمدينتنا العريقة نزوى على إجحافنا حقها، فمهما ألفنا من تآليف ضخمة فلا بد أن نكون قد أغفلنا جانباً بل جوانب مهمة من تراث حضارتها الواصل بين أزمان الثقافات الغابرة والمعاصرة، فأرض مثلها بمقوماتها الحيوية وموقعها الإستراتيجي المتميز تخبئ كثيراً من الكنوز الأثرية والتي هي في انتظار أيدي خبيرة لاستخراجها والبوح بأسرارها، فهي البحر في أحشائها الدر كامن.

كما أنها تكتنف كثيراً من معالم السياحة والآثار الظاهرة على طبوغرافيتها السهلية والجبلية، المنخفضة والمرتفعة، فهي معرض دائم للأصالة، ومكتبة زاخرة بصنوف التراث، نزوى هي نزوى لن تتغير، أرض باركها الله، كيف لا وهي عاصمة الإمامة، بيضة الإسلام، عاصمة العلم والعلماء.

بحثنا هذا هو مقدمة صغته وأنا أنظر إلى ثقافات نزوى المتلاحقة عبر مختلف العصور في شتى المواقع، من نافذة الزمن الضيقة والتي لا تريك إلا النزر اليسير من معالم تلك الثقافات ومخلفاتها الفكرية والمادية، لأن الزمن ذاته قد تكفل بصياغة نزوى في ثوب متجدد ومتطور بين فترة وأخرى، غير أن نزوى تصر على الإبقاء على بعض من معالم ثقافاتها السابقة كذكرى خالدة، يشهد بذلك الدور الريادي الذي كان ولا يزال.

وتتجسد تلك الشواهد والمعالم في تلك المستوطنات القديمة، التي ترجع إلى عصور ما

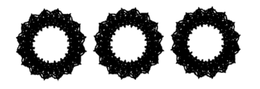
قبل الميلاد، ونرى تلك العمائر الدينية كالمساجد والأضرحة، والعمائر المدنية كالحارات القديمة والمدارس والعمائر الحربية كالقلاع والحصون والأبراج، ومنها نرى جوانب حضارية مختلفة تتطور مع تطور الزمان والمكان، فالمستوطنة في عصر هي غيرها في عصر آخر، وتحصين حربي هو غيره في آخر، وذلك لأن الأساليب والنظم الحيوية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في تغير مستمر، فما بين طرفة عين وانتباهتها يبدل الله من حال إلى حال.

وأود التأكيد على أن هذا البحث هو مدخل إلى آثار نزوى، بعيداً عن التفصيل، متبعاً أسلوب الوصف والتحليل الموجز، وإلا فإن التفصيل لتلك الآثار يكون من الاستحالة بمكان انجازه في وقت قصير فتوثيق أثر رسماً وتصويراً ووصفاً وتحليلاً ومقارنة بغيره يستلزم سعة وقت وجهد، ونأمل ـ بعون الله وتوفيقه ـ القيام بشيء من ذلك مستقبلاً.

والقارئ لهذا البحث يدرك أن هدفه الأول هو توجيه الأنظار نحو أهمية نزوى آثارياً، والنظر في الأبواب الواجب طرقها عند رغبتنا في دراسة نزوى من الناحية الأثرية والأثنوغرافية، فهو بمثابة فرشة تمهيدية للراغب في البحث والدراسة.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الباحث



المدخل الأول

مقدمة جغرافية وتاريخية

تقع مدينة نزوى التاريخية على سفح الجبل الأخضر في المنطقة الداخلية، على بعد ١٨٠كم عن مسقط العاصمة، يحدها الجبل الأخضر من الشمال وولاية منح من الجنوب، ومن الشرق ولاية إزكي (جرنان)، ومن الغرب ولاية بهلا، وتتبع نزوى حالياً قرى ومدن أخرى منها بركة الموز، وردة البوسعيد، تنوف، فرق، كرشا، كمة، طيمساء، سيق، ومنطقة الجبل الأخضر.

هناك من يرد تسمية نزوى بهذا الاسم لاعتبارات خاصة بالعلاقة بين المكان والمصطلح وهناك من ينسبها إلى مكان مشهور بها، وقيل سميت بهذا الاسم لانزوائها في الناحية الجنوبية للجبل الأخضر بمثابة تحصين طبيعي لها من الجهة الشمالية.

وقيل سميت بذلك لوجود عين ماء شمال القلعة تسيل في وادي كلبوه ولعلها أم فلج أبو ذؤابة.

ورأي آخر أن نزوى هو اسم جبل غربي البلدة، كما ورد ذلك في القاموس المحيط (للفيروزبادي) أن نزوى هو جبل بعمان.

ويرى الشيخ المرحوم سالم بن حمود السيابي أن نشأة نزوى جاءت على يد عرمان بن عمر الأزدي ويشير إلى أن السبئيين قطنوا عمان ونزلوا بنزوى، ويظهر تأثير الفرس بعد ذلك حيث أبقوا أسماء بعض البلدان على حالها كما هو الحال في نزوى، حيث يوجد بستان خوارزم، وبستان ميرزة، وكرادسيين ووادي كلبوه (وادي جلبوه) أي وادي الزهور بالفارسية، وعندما جاء العرب عمرت البلاد وازدهرت حتى القرن الرابع الهجري (١٠م)، كما يظهر ذلك في صحار والتي نشطت بها الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وبالطبع فإن البلدان الداخلية كان لها دور في تزويد تلك المناطق الساحلية ببعض المواد الصناعية والزراعية.

ويذكر ناصر الفارسي صاحب كتاب (نزوى عبر الأيام) أن أقدم محلة بنزوى هي محلة سيباء، سكنها أحد أبناء الخيار بن يحيى من أبناء أمرئ القيس، وسكن أخوه الآخر بسمد نزوى، ومنهم انتشرت ذريتهم في نزوى، وهناك محلة شرمة ومحلتا السويق وردة الكنود،

وسوق سعال وشرجة العبابدة والعقر، كما أن عددا من الحارات أنشئ في عصر الأئمة الخروصيين وعهد النباهنة واليعاربة.

وقد اتخذ أئمة عمان نزوى عاصمة لهم منذ إمامة الإمام محمد بن عبدالله بن أبي عفان اليحمدي سنة ١٧٧هـ/٧٩٣هـ، ويذكر السيابي أن سبب اتخاذ نزوى عاصمة هو تعرض عمان لهجمات الفرس والقراصنة الهنود، مما حدا بالأئمة إلى تحويل العاصمة من صحار إلى نزوى نظراً لانزوائها وبعدها عن الساحل، ولكونها أمنع وأحصن للزعامة وإقراراً للسلطان، فانعقد نظرهم على أن يكون الإمام بها لا يخرج منها إلا لأمر مهم يدعوه لذلك، وأصبحت نزوى كرسي الإمامة في عمان، وكان مقام الإمامة في الحصن ـ الذي بناه الإمام محمد بن أبي عفان اليحمدي في القرن الثاني الهجري ـ ويقع إلى شمال قلعة نزوى وحدثت به توسعات في عهد الإمام الصلت بن مالك الخروصي سنة (٢٣٧هـ)، ثم في عهد الإمام ناصر بن مرشد (١٠٢٤هـ) وفي عهد الإمام سلطان بن سيف (١٠٥٠هـ)، وفي عهد الإمام غسان بن عبدالله اليحمدي (١٩٢هـ) سميت نزوى (تخت ملك العرب) ـ لاحظ أن تخت اسم فارسي معناها عرش أو عاصمة الملك مثل تخت جمشيذ (برسيبوليس).

كما سميت بيضة الإسلام لكونها في مقدمة البلدان العمانية التي احتضنت الإسلام، ولكثرة المساجد والمدارس العلمية بها، وكثرة العلماء في شتى النواحي العلمية وعلى رأسهم جابر بن زيد الجوفي النزوي، وكذلك لتعاقب الأئمة على حكمها.

وقد ذكرها الرحالون والجغرافيون والمؤرخون في مؤلفاتهم ـ التي تعتبر أحد مصادر التوثيق الأثري، وأداة استعانة تمدنا بمعلومات جمة عن المكان والزمان، ومن هؤلاء المقدسي (ت بعد ٣٩٠هـ/٩٩٩م) في كتابه أحسن التقاسيم، وأبو عبيدة البكري (ت٧٨٧هـ/١٠٩٤م) صاحب كتاب جزيرة العرب، والدمشقي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، صاحب كتاب (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر)، والاصطخري (المسالك والممالك)، وابن حوقل (صورة الأرض)، وابن بطوطة في كتابه (تحفة النظار).

فالمقدسي يذكرها بأنها «أحد مدن عمان الكبيرة تقع على سفوح الجبال، وأنها مدينة كبيرة تبنى بيوتها بالطين، ويوجد جامع في وسط السوق»، ولعله يعني الجامع الذي بني في القرن الثاني للهجرة في عهد الإمام غسان بن عبدالله (١٩٢هـ)، وبناه في وسط السوق

حتى يكون معلوماً وواضحاً لدى الغرباء القادمين إلى المدينة لأغراض متعددة.

ويذكر المقدسي بأن سكانها يشربون من أنهارها (أفلاجها) وآبارها، كما يذكر وادياً بها يفيض في وقت الشتاء لدرجة أن مياهه تدخل إلى الجامع.

أما البكري فنجد بأنه يصف نزوى بأنها مدينة أكبر من صحار التي عهدنا ازدهارها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حيث كانت لها مكانتها الاقتصادية والسياسية، ويبدو أنها قد تدهورت حالتها كما تدل الدلائل الأثرية في القرن الخامس الهجري بعد تحول مسار التجارة عنها نحو الجنوب والبحر الأحمر.

أما ياقوت الحموي فيقول: «النزو هو الوثب، ونزوى جبل بعمان وليس بالساحل، وحوله عدد من القرى الكبار يسمى مجموعها بهذا الاسم ـ نسبة المكان إلى معلم وهو الجبل» **ويتحدث عن ازدهارها تجارياً** في القرن السابع الهجري حيث «الثياب المنمقة بالحرير» ويصفها بأنها «جيدة فائقة ليس لها نظير في بلاد العرب، كما توجد المآزر (مفردها إزار) والتي تتسم بغلاء أثمانها».

أما الدمشقي فيصفها بأنها «مدينة وبأنها تقع في واد بين جبلين» ولفظ مدينة يشير إلى إلى أنها عامرة، **أما ابن بطوطة** فيذكرنا بمقومات الاستيطان لمنطقة نزوى حيث «خصوبة التربة، وتوفر المياه، كما تحف بها البساتين»، مشيراً إلى بعض سمات أهل نزوى «كالشجاعة والنجدة، وعادة أن يأتي كل فرد بما عنده ليجتمعوا على أكله في صحن المسجد (صرح المسجد)»، كما تحدث «أن أهلها أباضيو المذهب»، والجملة الأخيرة نستطيع من خلالها استنتاج بعض ملامح المساجد العمانية في عمان الداخل في تلك الفترة، حيث يتسم بناؤها بالبساطة والتناسب في البناء والزخرفة، وذلك بحسب الأصل في بناء المساجد منذ زمن المصطفى (ﷺ).

ونلاحظ في كتاب ابن بطوطة ومن ذكرناهم أعلاه إشارتهم المتكررة إلى وقوع نزوى على سفح الجبل، وفي ذلك ما يدلنا على أن نزوى استغلت الموقع كمستوطنة خاصة تقوم باستغلال المياه الجوفية المتوفرة، والتي تتجمع على سفوح الجبال حيث تتسرب إلى باطن الأرض بعد انحدارها من قمم الجبال الشاهقة، وهذه المواقع الاستيطانية نجدها منتشرة في أنحاء السلطنة المختلفة بدءا من مسندم وحتى صلالة، وهي ظاهرة متبعة حتى الآن.

ويقوم النشاط السكاني في نزوى على الزراعة في المناطق السهلية، وكذلك في المناطق الجبلية ومن ذلك تمور النخيل والحمضيات كالليمون والبرتقال والسفرجل، والفواكه كالمانجو والعنب والرمان، والخضار بأنواعها، والحبوب كالذرة والشعير والبر، والبقول كاللوبيا والدنجو (الحمص)، كما تنمو الأزهار والنباتات العطرية والطبية التي تستخدم في صناعة الدواء والغذاء.

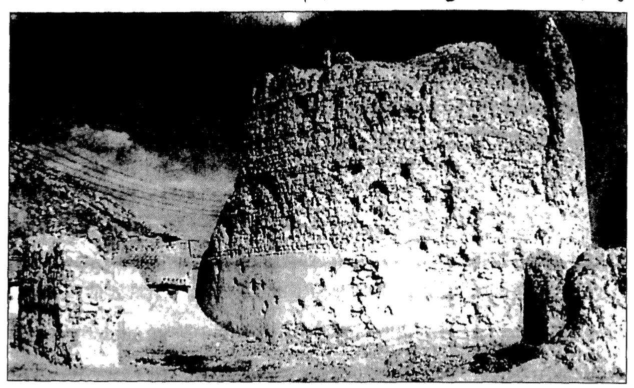
كما أن منهم من يشتغل بمهنة الرعي وتربية الحيوانات، حيث يربون الماشية وعلى أثر ذلك فإن زراعة البرسيم والحشائش جاءت أهميتها على أثر اهتمام شريحة من السكان بتربية الحيوانات.

وهنالك النشاط التجاري، الذي يشير إلى أهمية نزوى كنقطة عبور والتقاء القوافل التجارية واستمرار هذا الدور حتى وقتنا الحاضر.

والصناعة التي تشكل مع التجارة وجهين لعملة واحدة في نزوى، حيث يشتهر النزوانيون منذ القدم بصناعاتهم الحرفية المتميزة كالصناعات المعدنية (صناعة الذهب والفضة والنحاس...) والصناعات الخشبية والسعفيات (صناعة الأبواب، والنوافذ والسعفية)، والصناعات الغذائية القائمة على المنتوجات الزراعية، والصناعات النسيجية واستغلال خامات الحرير والقطن والصوف لغزل ونسج وتطريز وحياكة مختلف الملبوسات والمواد القماشية بأنواعها المتعددة كالعمائم والأزر (المآزر)، وهناك الصناعات التي تقوم على أعمال البناء كصناعة الصاروج والجص وقوالب الطين وتوقيص الحجارة، والصناعات الجلدية ودباغة الجلود لصنع الأحزمة والأحذية والسروج وأغماد السكاكين والخناجر والسيوف.

وتشكل طبوغرافيتها الجبال الشمالية التي هي سلسلة من جبال الحجر الشرقي، والسهول التي تشقها الوديان بعد هطول الأمطار التي تنزل على فترات متقطعة من السنة، وتتوزع على السهول المناطق الصخرية والطينية والرملية التي تتسرب المياه منها إلى جوف الأرض ليتم الإستفادة منها عن طريق حفر الآبار الارتوازية، كذلك الأفلاج التي يزيد عددها على خمسين فلجاً أشهرها وأقدمها فلج دارس والغنتق والدنين والخوبي والسعالي التي كان لها دور في تشكيل طبوغرافية وديموغرافية المنطقة، حيث نلاحظ تركز

المستوطنات البشرية على جوانب طول خط سير الأفلاج في رحلتها نحو بساتين النخيل والأشجار المختلفة الأنواع والأشكال والأحجام.



قلعة فرق

ولا يفوتنا أن نذكر تلك المعالم الأثرية والمعَاصرة والسياحية التي تمتاز بها نزوى، حيث نرى شواهد العمارة المدنية كالحارات القديمة بمبانيها العامة والخاصة التقليدية كالأسواق والمجالس الشعبية القديمة والحديثة المصنوعة من الطين والحجارة والحصى والصاروج، والعمارة الحربية كالقلاع والحصون والأبراج والأسوار المحيطة بالحارات، والعمارة الدينية كالمساجد والمصليات والمدارس والمقابر القديمة.

وأسواق نزوى الرائعة التي تحتفظ بعبق الماضي تزخر بشتى التحف الأثنوغرافية المختلفة الصنع والشكل والحجم، وتقدر دورها الريادي في الحفاظ على نسق السوق العماني التقليدي القديم، حيث نرى الحرفي العماني يصوغ بيديه الكريمتين، الحلي والخناجر والسيوف في صمت ودقة وصبر لإنجاز خنجر عماني بزخارف بديعة راقية تروق للعين وللقلب معا، تحس معها بباع صانعها الطويل في مجال صنعته، أو تلك الحلي الخاصة بالرجال والمنظومة في أسوار وقلائد وأحزمة موشاة بخيوط الذهب والفضة والحلق

* الصور الخاصة بالبحث من تصوير ناصر الفارسي باستثناء (قلعة نزوى ومحراب جامع سعال الحصين)

والخلاخل (النطل) والمنقوش بشتى الزخارف النباتية والهندسية والكتابية، وبشتى الأساليب فمنها مطبقة بالنقوش المحفورة الغائرة أو البارزة أو المفرغة أو المطبوعة أو المحشوة بشتى المواد المختلفة والأحجار الكريمة التي تشد الأنظار بتناسقها وروعة ألوانها وزخارفها.

وهناك صانع الحلوى العمانية التي طبقت شهرتها الآفاق بمذاقها الذي لا يقاوم، مذاق الزعفران والهال والسمن البلدي، وماء الورد، والجوز واللوز والفستق والسكر الأحمر أو العسل العماني.

وآخر يبيع مختلف الأعشاب والنباتات البرية والمستأنسة التي تستخدم لأغراض مختلفة فمنها يستخدم للطب ومنها في إعداد الطعام ومنها لأغراض الصناعة كدباغة الجلود، وهناك السعفي، صديق النخلة، الذي تشكل يداه الخبيرتان مخرافة وقفير وجراب التمر، والحابول، إلى غير ذلك من أنواع الحرف التقليدية التي تستحق أن يخصص لها بحث مستقل لوحده لكثرتها، حيث يتم فيه إحصاء الحرف وطبيعتها والمواد والأدوات المستخدمة فيها ومنتجاتها وكيفية الاستفادة منها في الماضي والحاضر، وطرق تطويرها في المستقبل لنحافظ عليها كمهن نعتز بها، والذي من خلاله نستطيع أن نوثق الجانب الأثنوغرافي للمنطقة.

الدراسات الأثرية :

إن الدراسات الأثرية حول نزوى قليلة، وما بأيدينا هو دراسات معمارية عامة لبعض المعالم كقلعة نزوى أو لبعض المساجد، وهي تدخل في نطاق المقارنة غالبا، وقد نعد رسالة ماجستير حول قلعة نزوى من قبل بدر العلوي بكلية الآداب قسم التاريخ، كما لأيروس بلديسيرا، استاذ الأدب العربي بجامعة البندقية بإيطاليا إشارات إلى كتابات وزخارف على بعض المحاريب بنزوى في «كتابه الكتابات في المساجد العمانية القديمة»، ومن ضمن المساجد التي أشار إليها المسجد الجامع في حارة سعال، ومسجد الجناة، ومسجد الشريجة، ومسجد الشواذنة، ومسجد المزارعة.

كما إن هناك تقريراً أعده كل من علي بن أحمد الشنفري مدير دائرة الآثار بوزارة التراث القومي والثقافة وجيرد ويسجربر Gerd Weisberger حول المكتشفات في المقبرة التي تقع

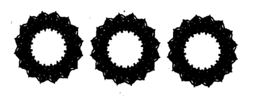
على منحدر جبل الحوراء شرق نزوى عند شرجة الحديرة، والتي تعود إلى العصر البرونزي المتأخر/بداية العصر الحديدي (١٢٠٠- ١٠٠٠ ق. م)، والتي تظهر أن المقبرة كانت لمحارب دفن مع أدواته الحربية، والتقرير منشور في كتاب Oman Studies معد من قبل .M. Costa & Maurizio Tosi Paolo

. إضافة إلى ذلك فإن هناك بعض الأبحاث التمهيدية حول بعض المواقع أعدها قسم الآثار بكلية الآداب بجامعة السلطان قابوس ممثلا في طلابه، من ذلك بما بحث أعد حول مستوطنة كمة، ومقبرة الأئمة من إعداد سعيد السالمي.

أما سوى ذلك فإن الدراسات التي بين أيدينا هي دراسات تاريخية الطابع تتناول نزوى من جوانب متعددة من حيث الموقع ونشأتها ودورها السياسي والديني والتعليمي، وعلماؤها وأنشطة سكانها منذ القديم في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن ذلك كتاب «نزوى عبر الأيام معالم وأعلام»، تأليف ناصر بن منصور الفارسي.

وبالطبع فإن كتب الرحالين والجغرافيين والمؤرخين عامرة بذكر نزوى من قبيل نوعية الدراسة التاريخية، ومن ذلك إشارات المقدسي (القرن ٤هـ)، والبكري (القرن ٥هـ)، والحموي (٧هـ)، والدمشقي (٨هـ)، وابن بطوطة (٨هـ)، وهنالك إشارات ابن رزيق في مؤلفاته التاريخية، والعوتبي (كتاب الأنساب)، والسالمي (تحفة الأعيان)، والأزكوي (كشف الغمة)، والمرحوم الشيخ سالم بن حمود السيابى (عمان عبر التاريخ)، وغيرها الكثير.

ونأمل في المستقبل- إن شاء الله- أن تتوسع دائرة الدراسات الأنثربولوجية والأثرية حول نزوى العريقة.



المدخل الثاني

في هذا المدخل سنتعرض إلى إبراز السمات والأساليب المعمارية والزخرفية التي توجد في شتى المعالم الأثرية، وأهمية ذلك تكمن في محاولة تحديد الأسلوب الخاص بكل طراز تحويه تلك المعالم بالاستعانة بعدد من المواقع الأثرية التي تمثل أمثلة لتلك السمات والأساليب مع الوصف والتحليل.

المستوطنات السكنية القديمة

لقد حبا الله أرض نزوى بمقومات الحياة الطبيعية التي تجعلها مؤهلة لأن تكون منطقة جذب للاستيطان بها منذ القدم، حيث تتوفر المياه الجوفية والسطحية الصالحة للاستخدامات الحيوية، والماء شريان الحياة حقا، فحيثما وجد الماء كان الاستيطان متواليا، أما حين تمحل المصادر المائية فإن الموقع يكون مهددا بهجرة سكانه، ليس أدل من ذلك إلا تلك المستوطنات القديمة التي قامت على مجاري الأودية في مناطق السلطنة المختلفة كبهلا وسمد الشأن وصحار وعبري وشصر في ظفار وسمد الشأن.

كما تتوفر بنزوى التربة الخصبة التي توفر وسطا بيئيا ملائما لزراعة شتى أنواع المحاصيل، وذلك أمر ضروري من ضرورات الاستقرار، حيث ان ذلك يؤدي إلى توافر الغذاء مما يؤدي إلى استمرارية السكنى، بالإضافة إلى اطراد نمو السكان وإعمار المنطقة.

كذلك فإن الموقع الاستراتيجي لنزوى يجعلنا نؤكد على أن نزوى كانت ولا تزال محط التقاء المستوطنين القدامى والمعاصرين، فهي نقطة التقاء ثقافي بين شتى مناطق السلطنة المحيطة بها، حيث القوافل القادمة أو الذاهبة إلى سوق الجاهلية في أدم الساكبية ومنها إلى الجنوب، وكذلك أسواق سناو القديمة في المنطقة الشرقية، والحال كذا مع بهلا وسمائل والحمراء وما سواها من البلدان، وقد يكون الكثيرون منها قد سمعوا عن بلاد جوين التي وردت الإشارة إليها في كتابات الحاكم كوديا (٢١٢٤– ٢١٤٤)، حيث ذكرها في معرض حديثه عن ماجان ودلمون، ويؤكد علماء اللغة المسمارية وآثار الشرق الأدنى أنها في منطقة الجبل الأخضر، حيث كانت مصدرا غنيا لشجر البلوط الذي كان حكام بلاد الرافدين يستخدمونه في أعمال الصناعة والبناء، وكان ذلك في الربع الأخير من الألف الثالثة قبل الميلاد.

ويقودنا التأكيد بان جوبن (هي الجبل الأخضر) على أن نزوى كانت تمر بها القوافل التجارية المحملة بالأخشاب وغيرها من أنواع السلع، ومن الضروري أن يكون الاستيطان قائما في نزوى في تلك الفترة– فترة العصر البرونزي، لتلعب دورا حيويا كنقطة عبور وملتقى لمختلف القوافل وحتى الفترات المتعاقبة إلى أن تبلغ ذروة ازدهارها ابتداء من العصور الإسلامية الأولى وحتى اليوم.

فنزوى بالتأكيد كانت عرضة للتفاعل مع الثقافات المجاورة لها كثقافة بسيا (بهلا)، والتي عثر فيها على مبانٍ سكنية تعود للألف الثالثة ق.م، وأخرى مساكن استمر فيها الاستيطان في العصور الإسلامية، كما عثر في إحدى المقابر على لقى مصنوعة من النحاس، وهناك ثقافة بات وعملا وهى تعود إلى الألف الثالثة ق.م.

كما ان هناك ثقافة الميسر ولزق القريبة منها والتي تعود إلى الألف الأولى ق.م، كما عثر في سناو على جرة فخارية مزججة بالأخضر تحوي ما يزيد على ٩٠٠ نقد فضي، وأقدم قطعة نقدية تعود إلى عهد هرمز الرابع (٥٧٨– ٥٩٥م) وأحدثها درهم عباسى في عهد الخليفة المعتصم مؤرخ من سنة (٢٢٦هـ)، وسناو كانت تخضع كغيرها من المناطق المحيطة بغيرها للإمام الذي عاصمته نزوى، كما تم الكشف عن مقابر تعود للعصر الحديدي المتأخر (القرن الخامس ق.م) احتوت على لقى أثرية تعبر عن مدى التطور الذي وصلت إليه عمان في ذلك العصر، ويوجد في الناحية الشمالية من نزوى شرقي الوادي الأبيض، شمال الجناة آبار وأفلاج مهجورة تفيد الروايات المحلية بأنها كانت مستوطنة فارسية. وبالطبع فإن نزوى هي كل لا يتجزأ عن تلك الثقافات المحيطة بها لموقعها الاستراتيجي المهم، حيث أثرت وتأثرت عبر العصور المتلاحقة لتصبح ذات مكانة اقتصادية وسياسية وثقافية رفيعة.

ومن هنا فإن نزوى تبرز أهميتها كمكان استراتيجي تتوافر فيها المقومات الطبيعية التي تجعلها مركزا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا مزدهرا، وبسبب ذلك الموقع المتفرد فإن الشواهد الأثرية تحكى لنا أن نزوى كانت تتعرض لهجمات خارجية تطمع في الاستيلاء عليها مما أدى إلى الاهتمام بالجانب التحصينى للمدينة في شتى النواحي، واعتبارها بعد تطورها من مركز عبور للتجارة إلى مدينة مزدهرة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وعاصمة سياسية في أحيان أخرى ، وقد يكون من الطريف أن أشير إلى السد الذي يدعى بسد العجم

(وآخرون ينطقونه العجب) الذي يقال أنه أقيم لصد هجوم فارسي، والذي لا تزال آثاره باقية ويقع في منطقة العوينة الواقعة شرق عين الجبل على مسافة ٢كم تقريبا.

وهناك دلائل أخرى أقدم من هذه ترجع إلى العصر البرونزي المتأخر (١٢٠٠ ق. م) تشير إلى مدى مكانة المنطقة من الناحية العسكرية حيث المقبرة التي سنتطرق إليها في المحور التالي من البحث، هذا عدا تلك القلاع والأبراج والحصون والبيوت المحصنة وأسلوب العمارة المدنية المحصنة، كما نرى ذلك في الحارات القديمة ذات الأسوار الشامخة والأبواب الضخمة العتيدة والجدران المرتفعة ذات السمك الكبير.

وعندما يفكر أناس بالاستقرار في منطقة ما فإنهم يضعون لأنفسهم اعتبارات معينة قبل أن يحطوا رحالهم في ذلك المكان، وإلا صار ذلك المكان موقعا موسميا يؤتى اليه في أوقات محددة من السنة، فالاحتياط الغذائي والأمني مهم توافرها في أي مستوطنة يتم الاستقرار فيها، وتعتبر المستوطنات السكنية في نزوى والبلدان التابعة لها مكونة نسيجا معماريا متواصلا يكمن فيها استراتيجية الموقع، وتخطيط الموضع وطوبوغرافيته، وتوفر الموارد المائية والغذائية وكذلك الطابع الأمني في الموقع.

وقد أشرنا إلى أن المستوطنات تسير في خط مواز لخط سير الأفلاج، كما نلاحظ ذلك على فلج دارس، وفي حالة عدم وجوده يتم استخراج المياه بواسطة الرافعات من الآبار الارتوازية.

ونلاحظ أن المستوطنات قد تطورت من حالة المنطقة المفتوحة إلى المنطقة المسورة التى تضم كافة المنشآت المدنية والدينية والحربية وأعني بذلك الحارات القديمة المنتشرة في نزوى كما في سيبا والعقر.

ومن أقدم الأدلة الأثرية على تلك المستوطنات موقع جبل الحوراء عند حصن بوعلي الذي يقع شرقي نزوى على منحدر صخري جيري بالقرب من شرجة الحديرة وهو يعود إلى العصر البرونزي المتأخر/بداية العصر الحديدي (١٢٠٠– ١٠٠٠ق.م)، ويبدو أن الموقع قد استوطن في الفترة الإسلامية في العصور الوسطى كما تدل قطعة فخارية مزججة.

وقد تم العثور على الكثير من اللقى الأثرية في المقبرة التي تقع بين صخرتين، والتي تبدو أنها لفارس أو لقائد عسكري كان زعيماً في قومه كما تدل المعثورات التي هي عبارة عن فأس

حربي، وثلاث خناجر، واثنى عشر رأس سهم، كما عثر على أواني من الستياتايت أو الحجر الصابونى Steatite/Soap Stone، وكذلك أوانى فخارية إضافة إلى ختم دائري مصنوع من حجر الكالسيت، تحوي زخارف ونقوشا تدل على عملية الاستقرار في هذه المنطقة.

ويلاحظ على هذه المعثورات ما يلي:

– غنى الشخص المدفون ومكانته في قومه.

– وجود المعثورات الجنائزية في المقبرة دليل على اعتزاز المحارب بنفسه، وكذلك قد يكون دليلا لعقيدة البعث لدى أولئك الأقوام القاطنين هناك.

– أبرزت اللقى الآثارية تميز صناعتها عن غيرها من شبيهاتها والتي عثر عليها في شبه الجزيرة العربية في نفس الفترة، كما في واسط بوادي الجزي وسمد والميسر أو في القصيص أو جرن بنت سعود، وهيلي، وفي وادي سوق ونحوها من المواقع، حيث نرى تفردها في شكل وأسلوب القطعة والزخارف التي عليها، كالفأس مثلا الذي يتميز بكونه ذا قاطع أقرب إلى الاستقامة منها إلى الشكل الهلالي السائد، كما ان الجانب الخلفي للقاطع مستقيم الشكل ويتسم بالقوة والمتانة والذي بدوره يتصل بالجوف أو الحلقة التي يتم فيها إدخال ذراع الفأس، وتتميز تلك الحلقة بأنها ذات شكل مخروط عوضا عن أن تكون اسطوانية على غرار ما يلاحظ في فؤوس العصرين البرونزي والحديدي غالباً، كما ان نقوش الحلقة ذاتها تختلف حيث انها عبارة عن حلقتين بارزتين متوازيتين بينهما مسافة التي هى بمثابة نقطة اتصال مع القاطع إلى شفرة الفأس.

ومثل هذا تلحظه على الخاتم المصنوع من حجر الكالسيت والذي يبرز نقوشاً وطريقة نقش تختلف عن تلك الأختام التى تشتهر بها المنطقة كالأختام الدلمونية مثلاً، وتقترب أحياناً أوجه الشبه بين المواد التي عثر عليها مع ما عثر عليه في منطقة شرق ايران ولورستان، واحيانا بينها وبين المكتشف في وادي سوق، وواسط بالسلطنة وسائر المواقع الأخرى في شبه الجزيرة العربية والتي لها اتصال حضارى مع حضارات بلاد الرافدين وبلاد ملوخة والسند وإيران وبلاد الشام وما جاورها من البلدان.

وعموما فإننا نسلم بأن تلك المعدات الحربية والمواد الأخرى تتميز عما سواها في الثقافات المجاورة، وهى في نفس الوقت تشير إلى وجود صلات وتأثير تلك الثقافات كما

نرى ذلك على أواني الستياتايت أو حجر الصابون، حيث نرى النمط الزخرفي المتكرر الدائرة المنقوطة والحزوز التي هى على شكل خطوط متوازية أو مثلثات متكررة بدرجة شبه متساوية، وذلك كله يقودنا إلى تأكيد الكلام الذي قلناه من كون نزوى منطقة استيطانية تشكل أهمية خاصة كنقطة عبور للقوافل القادمة منها وإليها.

وإذا ما انتقلنا إلى مستوطنة أخرى نتبين فترة استيطان أخرى، وهو موقع كمة التي اعتمدت في استيطانها على نشاط الزراعة والرعي، واللذين يرتبطان بدورهما بوفرة المياه وخصوبة التربة، ويمكن أن يلحظ الزائر لهذه المستوطنة موقعها الاستراتيجي الذي يقع على الطريق الواصل بين نزوى وبهلا.

وتقع كمة شمال غرب ولاية نزوى، حيث تبعد من المركز مسافة ٤ كم تقريبا، وتجسد هذه المستوطنة نموذجا جيدا لفترات الاستيطان المتعاقبة والمتقاربة زمنيا، ومن خلال مقارنة القطع الفخارية التى عثر عليها في الموقع مع مثيلاتها كالتي عثر عليها في وادي عندام تبين أن المستوطنة التي تقع على السفح الصخري المطل على منطقة المزارع في نهاية الغرب من الناحية الشمالية هي أقدم مستوطنة بالبلدة، حيث تعود إلى فترة (٩٠٦هـ– ١١٦٣هـ/ ١٥٠٠– ١٧٠٠م)، وترتفع هذه المستوطنة حوالي ٢٠٠م عن سطح الأرض المحيطة، حيث تنتشر مبانيها على السفح الصخري، وقد بنيت البيوت بشكل شبه دائري، بطريقة رص الحجارة إلى بعضها بعض، والجدار يتكون من صفين متلاصقين، يستند أحدهما على الآخر، ويرتفع بعض جدرانها لتبلغ المترين.

ويلاحظ على بعض الوحدات المعمارية أنها مقسمة إلى غرف متجاورة يحيط بها سور يستند بعض منها عليه من الجهة الخلفية، ويلاحظ انتشار الموقع عمرانيا وذلك راجع بالطبع إلى الزيادة المطردة في السكان أو الحاجة إلى استحداث منشآت جديدة تؤدي غرضا معينا.

ويبدو من خلال استعراض تلك الوحدات الحجرية مراعاة الجانب الوظيفي لكل حجرة، حيثما التناسب والحجم والشكل وأسلوب البناء.

وأود التعقيب على أن قرية كمة هي ليست المثال الوحيد لمظاهر الاستيطان البشري على المنطقة الجبلية، فهناك المستوطنات في الجبل الأخضر وفي مسندم وفي ظفار بالمنطقة

الجنوبية، والتي تعكس تواؤم الإنسان مع البيئة وتكيفه مع معطيات الطبيعة، وقد أشرت إلى أن توافر الماء والتربة الخصبة على سفوح الجبال كان له دور حيوي في ظهور مثل هذه ا لمستوطنات.

والفخار الذي التقط من السطح يشير إلى غنى المستوطنة بالأوانى الفخارية وتنوعها في ألوانها وزخارفها وأشكالها وأحجامها تبعاً لأغراضها التى صنعت لأجلها، فمنها ما صنع لأغراض التخزين كالتمر والماء، ومنها للاستخدام اليومى كأواني الشرب والطبخ، ولوحظ أن أكثر أنواع الفخار انتشاراً هو فخار بهلا الذي لونه برتقالي خفيف أو يميل إلى أن يكون رمادياً ، أو أصفر برتقالي مزجج بلون بني يميل إلى الصفرة وأخضر زيتي غامق.

ثم جاءت فترة الاستيطان الثانية التي قامت على فلج كمة الذي استغل لأغراض الزراعة والري، ويلاحظ تأثير خط سير الفلج على طبوغرافية المستوطنة حيث توزع الوحدات السكنية على جانبيه، وتنتهي إلى منطقة المزارع، ونلاحظ على أن مسجد المستوطنة القديم أقيم بالقرب من مصدر المياه هذا في مكان يتيح للمصلين الماء الطاهر قبل مروره على المساكن والمزارع، ويتم استغلال مياه الفلج عن طريق وحدة تعلو مجرى الفلج (الوقبة) يمر من خلالها ليغتسل ويتوضأ من الماء الجاري باتجاه القرية، كما ان مسجداً آخر يقع في نهاية مجرى الفلج وربما يكون وجوده في تلك المنطقة حتى يستفيد منه المزارعون أثناء فترة عملهم بتلك المزارع.

ونلاحظ أن المساكن قد استخدم في بنائها الحجارة والطوب اللبن الذي استخدم بدلاً من الحجارة فقط، وقد حدث تطور في الوحدات البنائية حيث توفرت فيه ملحقات استخدمت لأغراض مختلفة كحظائر الحيوانات والمطابخ مثلا.

ويوجد خارج كمة القديمة مصلى العيد ذو التخطيط الاسلامى كالأرض الواسعة، والجدران المحيطة به، والدكة التى يصعد عليها الخطيب، كما توجد مقبرة للقرية خارج القرية والتى ايضاً روعي في اقامتها التخطيط الإسلامى حيث بعدها عن المساكن، واختيار مكانها في مكان آمن بعيداً عن مجاري المياه، وعن أماكن القاء القاذورات وعن الشارع الرئيسي للقرية حتى لا يقطعهما القاصي والدانى مراعاة لحرمة المقبرة، كما يظهر توفير منشآت خاصة آمنة لاستخدام النساء (المجازة) حتى يرتفع ضرر الكشف من قبل المارة.

ثم تاتى المستوطنة الثالثة التي تعتبر امتداداً للمستوطنة الثانية، كما أنه تم هدم بعض البيوت الطينية القديمة ليحل محلها البيوت الاسمنتية الحديثة.

ويوجد على سفح الجبل الأخضر المطل على قرية كمة في الناحية الجنوبية القريبة لمدافن على هيئة أبراج مخروطية الشكل المنفتحة على الفضاء تزيد على العشرين منها ما يمتد في خط مستقيم ومنها ما هو موزع توزيعاً عشوائياً، وهى مصنوعة من الحجر المرصوص على غرار بيوت المستوطنة الأولى.

وتضيق هذه الأبراج كلما أرتفعت إلى أعلى بحيث انها لا تحتوى على سقف ويتم الوصول إليها من خلال بويب يتسع لدخول فرد واحد، ونرى أن جزءاً من تلك البويبات يتجه ناحية الشرق وهي عادة قديمة لمسناها في مقابر بات وهيلي وأم النار وأشهر من هذه وتلك بعض مقابر مصر الفرعونية وربما يعود ذلك الى فكرة أن الاتجاه للشرق يشير إلى النور والحياة والانفتاح إلى العالم السماوي.

إضافة إلى طريقة البناء لهذه المدافن حيث القاعدة العريضة والقمة المخروطية والتي تؤدي الى ثبات البناء بشكل أكبر فانه يوجد جدار حلزوفي يساند جدار المدفن الذي قد يبلغ ارتفاعه ثلاثة أمتار وربما أكثر، ومثل هذا مشاهد في منطقة حلبان بالسيب، ولم يتم العثور في هذه المدافن على لقى جنائزية أو بقايا لعظام بشرية، وأما عن تاريخ بنائها فإن الأمل مفتوح للدراسات المستقبلية المتفحصة على أن هناك من يرى أنها قد تكون متعاصرة مع المستوطنة الأولى وربما قبل ذلك.

والحقيقة أن مثل هذه القرية ـ قرية كمة ـ بمراحلها الاستيطانية الثلاث تصلح لأن تكون مثالاً مصغراً للدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية والثقافية حيث أن تطورها حصل تبعاً لمعطيات البيئة، وتكيف سكانها مع المكان والزمان، فمن البيوت الحجرية إلى البيوت الحجرية الطينية إلى البيوت الاسمنتية، ومنها يمكن دراسة تطور الحياة المعيشية وتأثير ذلك على النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي والجانب الثقافي، وهذه المستوطنة بمراحلها الثلاث تنتمي إلى المقولة التي تقول بتأثير عامل البيئة على أسلوب المعيشة والبناء، وإن كل طراز معماري ينتمى إلى عصره، ويجب ذلك أن يتم والا فقد ديناميكيته الحيوية وكان عرضة للزوال عاجلاً أو آجلا.

العمــارة

يقول الإمام السالمي - رحمه الله - في جوهر النظام:

وجاء لا ضرّ ولاضرارا قاعدة نبني بها آثارا

هذا هو المبدأ العماري الإسلامي الذي مشت عليها العمارة الإسلامية في نزوى وفي كافة أرجاء العالم الإسلامى.

وعلى أي باحث في العمارة الاسلامية في عمان لابد وأن يرجع إلى المؤلفات الفقهية لفهم الأحكام والقواعد والنظم فيما يتعلق باختيار الموقع وتخطيط الموضع والبناء وما يحويه أو ما ألحق به من إضافات وكافة الحقوق والواجبات المتعلقة به وبمستخدميه وما يحيط به من عمائر وأراضي، ويبدو أنه من المفيد أن أشير إلى بعض من تلكم المؤلفات:-

- مؤلف الشيخ جاعد بن خميس الخروصي (أحكام المساجد والمدارس وأسوار البلدة)، (كتاب القسمة وأصول الأراضين) لأبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي (ت ٥٠٤ هـ).

وكتاب (الدلائل في اللوازم والوسائل) للشيخ درويش بن جمعة المحروقي (ت ما بين ١٠٥٩هـ و١٦٤٩م).

وكتاب (بيان الشرع) للعلامة المؤرخ محمد بن إبراهيم الكندي (٥٠٧هـ) أو (٥٠٨ هـ) وكتاب الضياء، للشيخ سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، ، وغيرها كثير لا يتسع المجال لذكره.

والحديث عن العمارة بأنواعها الثلاثة المدنية والدينية والحربية، يحتاج إلى وقت وجهد طويلين من الدراسة والبحث والمقارنة والتحليل، والخروج بنتائج طيبة تؤدي الى الاستفادة منها في مختلف الدراسات العلمية التي تفيد الباحثين المهتمين بعمارة نزوى خاصة، وبالسلطنة والمناطق المجاورة عامة لاسيما في مجالات الدراسات المقارنة، واستخراج السمات المميزة لها، والسمات المشتركة مع المناطق التي كانت لها علاقة بها والتى أثرت وتأثرت بأنماطها المعمارية كشبه القارة الهندية، وبلاد العراق والشام، وبلاد فارس ومنطقة شبه الجزيرة العربية ومصر وبلاد المغرب العربي وما سواها من ثقافات.

وموضوعات الأسطر القادمة ستكون حول تلك الفروع المعمارية الثلاثة ولكن ليس من مبدأ تفصيل المعالم الأثرية واحداً واحداً، ولكن من حيث إجمال السمات العامة المميزة لتلك المعالم والمقارنة مع غيرها من المعالم والعلاقة العمارية فيما بين تلك العمائر مع اتباع منهج الوصف والتحليل، وسيشمل ذلك الاستعانة ببعض الأمثلة من باب توقيع ما قلناه.

المساجد

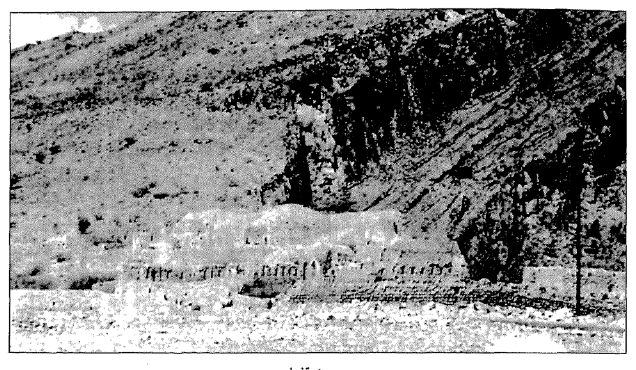
إن سبق حديثنا عن عمارة المسجد يأتي من باب ترتب أنواع العمائر الأخرى عليها غالباً وذلك منذ عهد رسول الله (ﷺ)، حيث جعل المسجد مركزا للوحدات العمارية الأخرى فالمسجد مركز اشعاع حيوى روحياً وجسدياً، فهو بيت الصلاة، وهو مجلس الشورى وهو مدرسة تشع بنور العلم، وهو مصدر الإحساس بالقرب من الله - عز وجل -.

ونرى في نزوى المساجد الجامعة، ومساجد الفروض الخمسة، ومساجد العباد في مقبرة الأئمة، كما أن هنالك المصليات الخاصة بصلاة العيد والأخرى بصلاة الميت وتتميز المصليات بوسع المساحة، ووجود جدار يحيط بها، ومحراب بسيط يشير إلى القبلة، ويوجد في نزوى الآن(•) ما يقرب من ٣٠٩ مساجد، غير المساجد الجامعة الكبيرة.

ويلاحظ على العموم أن المساجد الجامعة قليلة نسبياً مقارنة مع مساجد الفروض الخمسة، لأن ضرورة إقامة الجمعة في كل قرية من قرى المنطقة غير وارد، عكس أداء الفروض الخمسة بالطبع، وقد كان المسلمون في زمن رسول الله (ﷺ) يسمعون أذان المسجد القريب من مسجدهم مما يدل على تقارب المساجد آنذاك.

إن كل نوع من تلك المساجد تميز بخصائص تؤهله للغاية التى لأجلها أنشىء، حيث أن المساجد الجامعة كجامع نزوى الكبير، وجامع سعال، يلاحظ عليها ما يلي:

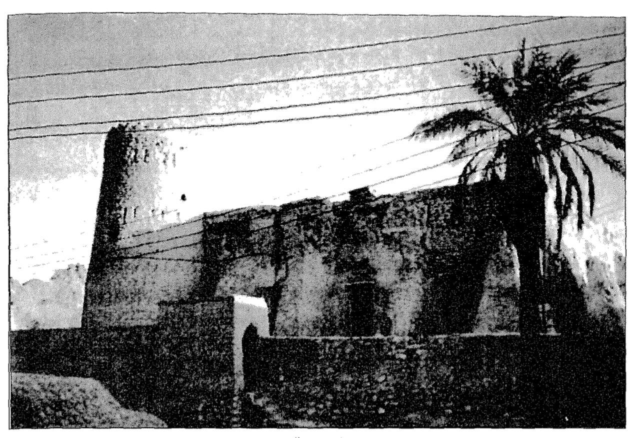
• الزمن الذي أعد فيه البحث



حصن تنوف

لعبت المساجد الجامعة في نزوى دورا مهما في النشاط التعليمي كجامع نزوى الذي يرجع تاريخ بنائه إلى السنة الثانية للهجرة أو حتى أبكر والقول بأن بناءه كان بعد اجتماع العلماء وافتائهم على جواز اقامة صلاة الجمعة خارج صحار والتى كانت عاصمة قبل نزوى آنذاك هو قول غير جازم، ذلك أن الجامع يمكن أن يكون قد نشأ كمسجد مركزي لمدينة نزوى ثم توسع في بنائه ليصبح جامعاً، وإلا فإن إقامة الإمام غسان بن عبد الله (١٩٢هـ) في نزوى مقر الإمامة في فترة إمامته كافية لأن تقام الجمعة في نزوى، ويمكن أن يكون تجديد بناء الجامع تم في زمن إمامة الصلت بن مالك الخروصي، (ت٢٧٥ هـ) ثم تم تجديده مرة أخرى وتوسيعه في عهد الامام سلطان بن سيف بن مالك اليعربى (ت ١٦٨٠م) بعد فراغه من بناء القلعة.

يلاحظ توسط جامع نزوى للبلدة وقربه من السوق بحيث يكون قريباً من مرتادي السوق من أهل المنطقة أو من خارجها، ومركزية المسجد هي سمة وجدت منذ عصر الرسول (ﷺ) ومسجد قباء بالمدينة المنورة وأصبح جامع نزوى مركزا تعليمياً تخرج منه كثير من أفاضل العلماء وهو في ذلك مماثل للدور الذى قامت به المساجد الجامعة في أنحاء العالم الاسلامي، ومن هؤلاء العلماء الامام الصلت بن مالك الخروصي والشيخ محمد بن إبراهيم الكندي والشيخ بشير بن المنذر والشيخ أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي ونحوهم كثيرون.



جامع سعال

ويعتبر جامع سعال من أقدم جوامع السلطنة وأهمها، حيث كان له دور ريادي في الناحية التعليمية لعلوم الدين، كذلك فإن محرابه الجصي الرائع الذي يرجع إلى فترة ترميمه الأخيرة في القرن السابع للهجرة (٦٥٠ هـ) يشكل ثروة زخرفية بكتاباته ذات الحروف الكوفية المزهرة وزخارفه الجصية النباتية والهندسية البديعة المنقوشة بصبر ومهارة والتي تعد من أقدم النقوش المحرابية في السلطنة إن لم تكن أقدمها وقد صنعه رجل يدعي محمدا وقام على صنعه أحد سكان سعال ويدعى أحمد بن إبراهيم، وهو يعطى مجالاً خصباً للدراسات الخاصة بالكتابة والزخرفة وطرق تنفيذ ذلك بالجص، كذلك نرى أن جدران هذا المسجد قد عمل لها دعامات استنادية حيث تقوم بدور تقوية الجدران من السقوط، كذلك نلاحظ وجود البرج الدائري في الزاوية الجنوبية الشرقية، مما قد يوحى بأهمية موقع المسجد وكذلك فائدته لرجال الحامية العسكرية للصلاة فيه، وربما كان لتلك القواعد الاستنادتية علاقة بذلك البرج من حيث السمة الحربية، ومن المؤكد أن البرج استخدم لرفع الأذان عند حضور وقت الصلاة.

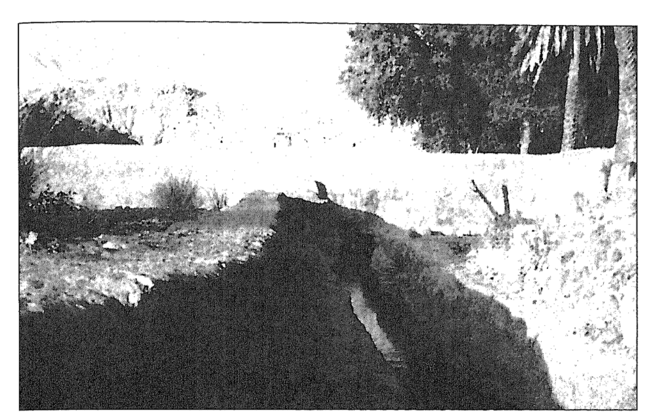
وفي ضوء الدراسة لمساجد الفروض الخمسة في نزوى تتضح النتائج التالية:

١ ـ تأثير البيئة والعادات والتقاليد، والقيم والأحكام الدينية في عمارة هذه المساجد سواء كان من ناحية المواد، أو التخطيط، أو العناصر المكونة لعمارة المسجد عموماً، أو من خلال مراعاتها للأحكام الإسلامية الخاصة بتنظيم حقوق القاطنين بجوار المسجد، حيث قاعدة لا ضرر ولا ضرار، وكذلك تأثير الفكر الإباضى الذي يميل إلى عدم الأخذ بمباهج الدنيا، وزخرفها تأسياً بالعهد الأول للإسلام، حيث يظهر ذلك في بساطة الإنشاء والتكوين والزخرفة.

٢ ـ وبالنسبة للموقع، والموضع فإنه يلاحظ:

أ ـ وقوع المساجد التى في داخل الحارات غالباً على مداخل الحارات الرئيسية، وذلك لهدف وقائي يتمثل في تجنيب أهل الحارة من نظرات وتطلعات الغرباء عن الحارة على حرماتهم، وممتلكاتهم الخاصة، أثناء تجوالهم في الشوارع وصولاً نحو المسجد.

ب ـ إستقلالية المسجد ببنائه غالباً عن ما يجاوره من مبانى، والتي تكون متلاصقة إلى بعضها بعضاً، بواسطة الجدران المشتركة، وفي هذا محاولة لتجنب الإزعاج أثناء تأديتهم لصلاتهم من ناحية، وكذلك حتى لا يكشف المصلون ـ وخاصة الغرباء عن الحارة ـ تلك البيوت المجاورة من ناحية أخرى، إضافة إلى سبب حرية التصرف في المحافظة على بناء المسجد، أو إعادة بنائه وترميمه، والحقيقة أن الأحكام الفقهية نجدها تشير إلى وجوب وجود حرم خاص بالمسجد فيما حوله، بحيث تتم الاستفادة من تلك المساحة في زيادات المستقبل لاحقاً، وكذلك في توفير الفسحة في المنطقة المحيطة بالمسجد عند خروج المصلين، ولقد اختلف في مقاس هذا الحرم، فقال بعضهم بذراعين (متر)، وبعضهم الآخر بثلاثة أذرع (متر ونصف) في حين قال آخرون بثمانية عشرة ذراعاً (تسعة أمتار)، ويزيد آخرون مساحة الحرم إلى ثمانين ذراعاً (أربعون متراً).



فلج الخوبي - نزوى

فلج الخطمين - بركة الموز

جـ - تنوعت مصادر المياه لهذه المساجد بين الأفلاج والآبار، فنرى مسجد كمة ومسجد اليعاربة ببركة الموز بالقرب من الأفلاج وذلك لاستغلال مياه الفلج من قبل المصلين، وأما الآبار فتشيع في مساجد الحارات.

د - التوافق بين تخطيط، وارتفاع المساجد وما يجاورها من مباني أخرى، وبين توزيع عناصر الإتصال والحركة، وعناصر التهوية والإضاءة، والإطلال بالطريقة التي توفر الوقاية من عيون الآخرين، وتمنع ضرر كشف حرمات الدور.

هـ - يتميز التخطيط العام للمسجد باشتماله على ثلاثة أقسام رئيسية: بيت الصلاة، والفناء، والميضأة، ويلحق به أحيانا بعض الملحقات كالمدرسة، والحاصل، ويلاحظ أن بيت الصلاة يتكون من بلاطة واحدة إلى ثلاث بلاطات غالباً.

و - يلاحظ عمل المساجد في أماكن مرتفعة عن مستوى أرضية الشارع، وذلك لأهداف نجملها فيما ياتى:-

(١) منع ضرر كشف مرتادى المسجد للدور المجاورة.

(٢) وقاية المسجد من المياه التي قد تتكون أو تسيل بعد هطول الأمطار.

(٣) الوقاية من الضوضاء والروائح الكريهة.

(٤) الوقاية من الأتربة، والمواد الأخرى، التى قد تدخل من أرضية الشارع إلى داخل المسجد.

(٥) يساعد عامل الإرتفاع هذا على زيادة التهوية، والإضاءة حيث أن المكان المرتفع هو أكثر عرضة للضوء والهواء من المكان المنخفض بطبيعة الحال.

٣- إستمرارية النمط المعماري، والتخطيطى للمساجد، منذ عصور تسبق فترة بنائها بمدة طويلة، وحتى وقتنا الحالى، ويوجد لدينا في مقبرة الرباط بمدينة ظفار أقدم مثال موجود لهذا التخطيط للمساجد منذ القرن الثامن الهجري، والذي يعرف بـ (زاوية الشيخ أبي محمد بن أبي بكر بن عيسى الظفاري) الملقب بتاج العارفين، والذي ذكره ابن بطوطة عند زيارته لظفار في القرن الثامن الهجري، والذي هو عبارة عن بيت صلاة مسقوف به بائكة واحدة موازية لجدار القبلة، تتكون من عمودين مضلعي المسقط، يتقدمها فناء مكشوف، به بئر مهجورة في جزئه الشمالي الشرقي.

- المواد والعناصرالإنشائية تتلخص فيما يلي:

الطين، الجص، الحجارة، الأخشاب، الأساسيات، المصاطب أو المسطحات المرتفعة، الجدران، الأرضيات، الأعمدة، العقود المدببة و المثلثة و المنكسرة، الأسقف والدعامات الاستنادية.

- عناصر الإتصال والحركة تتلخص فيما يلي:

الدرج، السلالم، الأبواب، الفناء، الاستطراق أو الممر الضيق.

- عناصر المنفعة وهي: بيت الصلاة، الفناء، الميضأة، الحواصل (المخازن).

المدرسة - المحاريب الخارجية والداخلية، الرخلات، الأوتاد والحبال و المعاليق.

- عناصر الوقاية والتغطية: بيت الصلاة، الحواصل (المخازن) المسقوفة، البومة (القبيبة)، الأسقف، السترات أو الدروات الجدارية، الميازيب والمسايل و المصارف المائية، مصاريع الأبواب والنوافذ، السترات الخشبية والجصية، وهنالك عنصر الميل لطرد المياه من أسطح المسجد، وهنالك الدعامات الاستنادية التى تقوي جدران جامع سعال مثلاً.

- عناصر الإضاءة والتهوية: الفناء، الأبواب، النوافذ، الفتحات العلوية وكذلك ارتفاع اسقف المساجد له دور في عملية تدويرا الهواء.

- العناصر الزخرفية: المحاريب و السترات الجصية، وكذلك الزخارف البنائية كتعدد دخلات المحاريب كما في مسجد المزارعة.

٤- يلاحظ وجود تشابه بين عمارة المساجد في عمان، وفي غيرها من مناطق العالم الإسلامي، لاسيما التي تتشابه معها في ظروفها المناخية أو من ناحية أنها على المذهب الإباضى كما نجد ذلك في مساجد الإباضية في إقليم ميزاب بالجزائر ويظهر ذلك من خلال:

أ - **البساطة في البناء والتكوين والزخرفة**، حيث إنها تشد العين والفكر ببساطتها، وتشكيلها العفوي، وذلك يظهر مِن خلال المحاريب والمنابر الطينية البسيطة، والتي تشكل كرمز للدلالة على القبلة فقط، كذلك تظهر البساطة في استخدام المواد الأساسية المتوافرة

في البيئة في عمارة المساجد كالطوب النيء والحجارة، ويلاحظ أن مسجد اليعاربة ببركة الموز (ق١١هـ) قد بنى معظمه من الحجر والجص.

ب - كذلك ملاحظة أنها تتجه بجدرانها نحو الميل كلما ارتفعت كانعكاس للامكانيات الإنشائية المحدودة لمواد البناء.

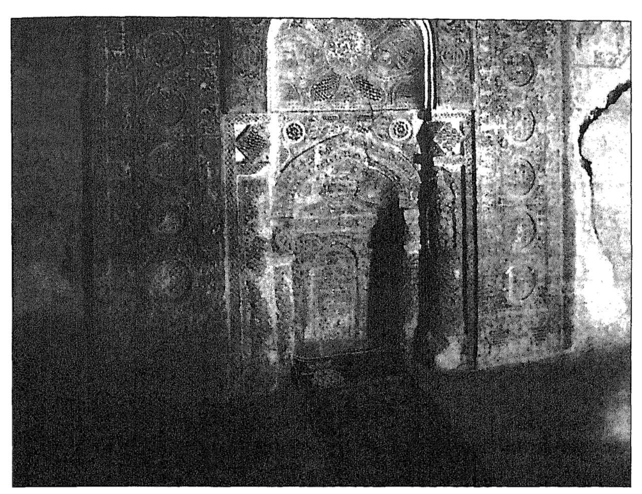
٥- **نلاحظ تأثر بعض من تلك المساجد** بتأثيرات جاءت من مختلف أرجاء العالم الإسلامي – لاسيما المناطق القريبة منها - كما نرى في نمط المحاريب الجصية ذات الكتل القالبية الجصية، حيث تأثرت وعناصرها المعمارية والزخرفية بما هو قائم في إيران واليمن، على سبيل المثال.

٦- **تعرضت بعض المساجد لعمليات** ترميم وتجديد لها بصفة كلية أو جزئية، ومن المحتمل أن تلك الترميمات والتجديدات الأخيرة أو ما سبقها قد أحدثت نوعاً من التعديل في قياسات مختلف العناصر البنائية ومكوناتها.

٧- **نلاحظ وجود إبداع معماري يكشف عن** مستوى المعمار المتقدم في مجاله، حيث نرى الحرص على تناسق وتجانس الوحدات المعمارية، والزخرفية وتجانسها، نلحظ ذلك في عمل الأدراج الجانبية الموازية لجدران المسجد. كما في مسجد الأئمة وجامع سعال، وذلك لتحقيق هدفين يختص أحدهما بمراعاة حرمة البيوت المجاورة، والآخر بضيق السكة التي يوجد بها الباب، الذي يرتفع عن أرضية الحارة، كذلك نلحظ باب سقف درج باب مسجد المزارعة قد عمل على هيئة عقود متدرجة بحيث يحافظ المعمار على ثبات الارتفاع حتى لا يصطدم رأس الداخل بالسقف.

ونلاحظ كذلك البراعة والدقة والمهارة في عمل تلك الزخارف الجصية الرائعة بمختلف أنواعها نباتية وهندسية وكتابية والتي تنم عن ذوق رفيع وقدرة على الاستغلال الجيد للفراغات والمساحات، وكذلك زخرفة جدران بيوت الصلاة بدعامات بارزة عن سمت الجدار كما في جامع سعال ومسجد الجناة والمزارعة.

ونلاحظ ذلك في المحاريب التي تنقسم إلى نوعين:



محراب جامع سعال الجصي

- **المحاريب الجصية، كما نجد ذلك في جامع سعال** (٦٥٠ هـ)، مسجد الجناة ٩٢٥ هـ وصانعه محمد بن أحمد بن سيف، ومسجد الشرجة (٩٢٤ هـ) من صنع عبد الله الهميمي المنحي، ومسجد الشواذنة (٩٣٦ هـ) وصانعه عبد الله بن يوسف.

- **المحاريب الطينية الشائعة في مسجد المزارعة**، ومسجد النصر، ومسجد الشجبي، ومسجد الوارث، ومسجد أبي الحواري. كما أن هذه المحاريب تنقسم من حيث الموضع إلى داخلية كبيرة في بيت الصلاة وخارجية صغيرة في الفناء.

٨- **من خلال تتبع أساليب تنفيذ المحاريب** وما تتضمنه من زخارف ومن خلال النصوص الكتابية، وكذلك من خلال إجراء المقارنات بينها وبين محاريب جصية أخرى تعود لفترات متقاربة منفذة في مساجد كثيرة من الولايات القريبة أو البعيدة فإننا نؤكد وجود مدرسة للنقش على الجص ابتدأت منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي ثم استمرت وازدهرت وانتشرت في مناطق مختلفة في داخلية عمان وخارجها، وذلك في القرنين التاسع والعاشر الهجريين / الخامس عشر والسادس عشر للميلاد، والتى كان من أبرز نقاشيها

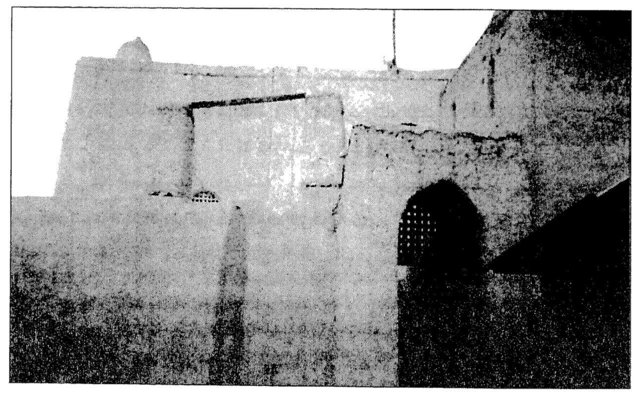
عبدالله بن قاسم بن محمد الهميمي المنحي، وكذلك مشمل وابنه طالب وحفيده علي، ومحمد بن أحمد بن سيف، ثم عيسى بن عبد الله بن يوسف (٩٣٠ هـ)، ونستطيع أن نرى ذلك من خلال المحاريب في بهلا ونزوى ومنح وسمائل ووادي بني خالد ونخل وغيرها من المناطق.

وقد تضمنت تلك الزخارف الجصية البيضاء ما يأتي:

- زخارف نباتية متشابكة ومحورة.
- زخارف هندسية متكررة.
- نصوص كتابية بخط الثلث تضمنت: كتابات تأسيسية، تتضمن عادة اسم القائم على عمارة المسجد، صانع المحراب، سنة الانتهاء من عمارة المسجد، ومن عمل المحراب والآمر بالصنع وكذلك ألقاباً دينية وفخرية، كما ان هنالك استخداما للخط الكوفي المزهر في كتابة شهادة التوحيد في أعلى واجهة المحراب.

وقد كانت تلك الزخارف منفذة بالجص الأبيض، وتعتبر هذه الزخارف ثروة حقيقية من حيث كونها سجلا توثيقيا للزخارف بمختلف أنواعها، والتي ظهرت في تلكم الفترة (ق ٧- ١٠ هـ ١٣- ١٦م).

٩- **وقفت أوقاف لهذه المساجد**، ينفق من خلالها أو من ريعها على كل ما يحتاج



مسجد المزارعة - نزوى

المسجد من أدوات وتجهيزات، وكانت هذه الأوقاف عبارة عن مزارع وبساتين وأفلاج والتي تسمى في سلطنة عمان بـ (مال المسجد).

كما عين لهذه الأوقاف، من يتولى مهمة المحافظة على هذه المساجد، وإدارة شؤونها من حيث تزويدها بما تحتاجه من فرش، وأدوات انارة، وتنظيف، وإصلاح، وتعمير وترتيب حفاظاً عليها.

وأمر تعهد المساجد وأوقافها، كانت تحكمه أنظمة فقهية وضعها العلماء الأفاضل وكتب الفقه الإباضي عامرة بذلك.

١٠- **لاحظنا تقارب مساجد الفروض الخمسة**، وقد يكون ذلك راجعا إلى كثرة القاطنين، أو بسبب تعدد القبائل أو لأسباب أخرى تتعلق بعدم القدرة على الوصول إلى مسجد يقع على مسافة من بيت أحد المصلين.

والحقيقة أن فقهاء الإباضية منهم من يجيز تجاور المساجد بشرط أن لا يتراءى أو يتقابل المسجدان، ومنهم من لا يرى بكثرة بناء المساجد متقاربة، بسبب أن ذلك قد يؤدي إلى تفرق الجماعة.(*)

والحقيقة أن الدراسات الأثرية حول المساجد لازالت مجالاً بكراً يحتاج إلى الكثير من البحث والدراسة والتوثيق الجاد والسريع إثر امتداد حركة العمران الحديثة، والتى تهدد بقاء الحارات القديمة، وما تضمه من مكونات العمارة المدنية والحربية والدينية في أرجاء عمان عموماً.

كذلك ويفعل تقادم الزمن، فإننا نرى أن عدداً من تلك المكونات المعمارية وما تتضمنه من عناصر معمارية وزخرفية، قد تعرضت فعلا إلى بعض عوامل التلف والتحوير والتي نراها على تلك المحاريب المشققة مثلاً، كمحراب مسجد سعال الداخلي.

كما نلحظ انطماس بعض من معالم الزخرفة فيها، الأمر الذى يؤدي إلى فقدانها لتلك العناصر الزخرفية المهمة، والتى تجسد أساليب الزخرفة وأنماطها في العصر الذي كانت قد نفذت فيه.

ومن هنا فإن واجب توثيق وصيانة وترميم هذه المحاريب وغيرها من العناصر المعمارية والزخرفية والتي تحتاج إلى ذلك أمر ضروري، وإلا لفقدنا تراثاً إسلامياً مهماً

(*) معارج الآمال - نور الدين السالمي ج ٦ ص٦٦

فيما يتعلق بتاريخ العمارة والزخرفة الدينية في عمان بصفة خاصة، وفي العالم الإسلامي بصفة عامة.

وتوثيق الكتابات مع بعض المساجد العمانية عمل علمي مهم بدأ الإهتمام به منذ عهد قريب، ونتطلع إلى أن تقوم الجهات المختصة بالسلطنة بتوثيق تلك الكتابات الموجودة في مختلف المساجد، وإصدار كتالوج يضم كل الكتابات الموجودة في هذه المساجد حتى يتم الاستفادة منها من قبل الباحثين في نواحي بحثية مختلفة.

كما ان عقد دراسات مقارنة بين هذه المساجد، والمساجد في الولايات الأخرى، وأيضا في المناطق الحضارية المجاورة شأنه أن يزيد المعرفة، ويضيف الجديد من ناحية معرفة مميزات عمارة المساجد في كل منطقة، والاختلافات فيما بينها، وكذلك فهم التطورات العمارية والزخرفية لهذه أو لتلك المساجد، ونواحي بحثية أخرى عديدة.

والحقيقة وجوب عمل خارطة تبين مواقع تلك المساجد القديمة، هو أمر ضروري ـ وبلا شك ـ في المجالات البحثية على المدى القريب أو البعيد.

الحارات القديمة :

تعتبر الحارات القديمة من أفضل الأمثلة المجسدة للظروف السياسية الصعبة التي كانت تمر بها البلاد أحياناً، والتي انسحبت على سائر الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والدينية اليومية، فنجد أن أفلاجاً قد وجهت لتجري بالقرب أو بداخل الحارة، وآباراً حفرت داخل البيوت وفي المساجد وعلى شوارع وسكك الحارة، ومزارع وبساتين أنشئت داخل أسوار الحارة، وأسواقاً للبيع والشر اء أحياناً، ونجد المدارس التعليمية، والسبل والمجالس العامة، إلى غير ذلك من المنشآت العمارية، التي شكلت السلوك الاجتماعى تشكيلا محصوراً داخل أسوار الحارة، وفقاً لنظام وتخطيط محدد فرضته الأحكام الإسلامية والثقافة المحلية للسكان، إضافة للظروف السائدة وقتذاك.

ومن خلال الملاحظة تبين أن مصدر الماء كان موجهاً لسير خط بناء تلك الحارات، كما نرى ذلك على مسار فلج دارس.

وقد أثرت الظروف السياسية على بناء مثل هذه المجمعات السكنية، حيث ان فقدان نعمة الأمان في بعض الفترات أدى الى عمل أسوار تحيط بتلك الحارات تتخللها أبراج مراقبة تراجع ومدافعة، وبوابات تتخلل السور من جهات مختلفة، ويعلو هذه البوبات الضخمة

الأبراج المربعة، وترى تلك الأسوار وما تتصف به من ارتفاع وضخامة.

ـ نلاحظ أن ذلك واضح في تخطيط بعض الوحدات العمارية حيث نرى المساجد وقد بنيت بالقرب من البوابات وذلك حتى لا يدخل الغرباء إلى الحارة بحثا عن مسجد للصلاة، وكذلك مراعاة لحرمة البيوت وكشف العورات، ونرى ذلك في حارة المدة حيث نرى مسجد الحارة على مدخل الصباح الغربي.

ـ نرى كذلك تأثير الأحكام الشرعية في تخطيط الوحدات البنائية حيث نرى استقلالية المساجد في الغالب عما يجاورها بحرمها الخاص بها، ونرى ذلك في تخطيط البيوت فنرى تنكيب الأبواب أي عدم تقابل أبواب البيوت المتواجهة،وذلك حتى لا يطلع اصحاب البيت على حرمات بيت جارهم المقابل عند خروجهم أو دخولهم، أيضاً نرى ذلك في طريقة تخطيط العناصر العمارية المختلفة، فنرى أن مستوى النوافذ قد عمل بطريقة لا تلتقي ونوافذ البيت المجاور له في خط واحد وذلك لنفس الغرض، أيضاً وجود السترات التي تستر أهل البيت عن أعين الناس، ونلاحظ كذلك تأثير الأحكام الإسلامية على طريقة عمل المسايل والميازيب ومصارف المياه، حيث أن جعلها تصب أو تسيل المياه على الشارع أو على جدران البيوت المقابلة لهاَ غير مسموح به للضرر الذي تلحقه بالمارة والمنشأة.

أيضا يظهر تأثير الأحكام الإسلامية على موضع محل الكنيف (الزولي، المترب، أو السنذاس) حيث يعمل في موضع بعيد عن مهب الريح حتى لا يتأذى الآخرون.

ويوجد على مدخل البوابات ما يعرف بالصباح، حيث يقضي فيه الحراس أوقات حراستهم على الأبواب، كما ويصبح مجلساً عاماً لأهل الحارة بعد فراغهم من الصلاة لا سيما صلاة العصر، وأود الاشارة إلى أن كثيراً ما نلحظ أن المساجد تقع بالقرب من بوابات الحارة لأغراض أمنية.

يشتمل البيت في تخطيطه العام على:

أ ـ الفناء

ب ـ الحجرات التحتية (الصفة)، والحجرات العلوية التي تحيط بالفناء

جـ ـ السبلة الخاصة بالضيوف.

د ـ المير أو غرفة السامان أو المخزن.

هـ ـ الكنيف.

و ـ زرب الحيوان.

ز ـ الإيوان والذي ينفتح على الفناء من جانب واحد.

ح ـ المطبخ.

إلى جانب السبلات الخاصة داخل البيوت توجد هنالك سبلات خاصة بأهل الحارة، فيها يتشاورون، وفيها يجتمعون في الأفراح والأتراح، ومن ذلك سبلة ردة الكنود والتي تقع في مواجهة بيت الشيخ العلامة القاضي سعود بن سليمان الكندي، وكذلك في حارة المدة.

كما ويلاحظ وجود المنشآت التعليمية كالمدارس وذلك لتعلم علوم الدين واللغة ومبادئ الحساب، ولقد رأيت مدرسة حارة المدة التي يصعد إليها بواسطة درج، حيث تقع فوق بوابة صباح المدة الشرقية. كذلك تتوزع بعض الدكاكين الصغيرة التي تبيع المواد الغذائية، وفيها الحرفي يمارس حرفته التي ورثها عن آبائه.

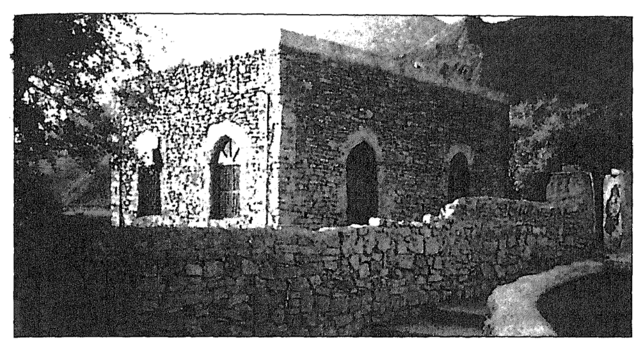
يستطيع الداخل تلك الحارات أن يرى العقود المتتالية والتي تأخذ العقد المدبب غالباً، كذلك الأبواب المنقوشة المزخرفة والمعمولة من الأخشاب القوية.

المـــدارس

أما المدارس والتي نستطيع استشفاف بعض السمات التي تتصف بها، وهي سمات لا تجاوز قواعد البساطة في الزخرفة والبناء، مع مراعاة الغرض الذي أنشئت لأجله.



مسجد الامام محمد بن إسماعيل



مسجد اليعاربة ـ بركة الموز

وقد كانت المساجد تقوم بدور المدرسة لكافة الشرائح العمرية، حيث كانت تعقد الحلقات العلمية في مختلف العلوم.لاسيما علوم الدين واللغة والحساب وكان يتم ذلك في صحن المسجد أو في داخل بيت الصلاة، وأشهر مدرسة مسجد هي مدرسة جامع نزوى التي خرجت علماء فطاحل، وكذلك مسجد الشواذنة الذى بني في العام السابع من القرن الأول الهجري حيث كان من أهم مراكز نشر العلم وذلك من خلال علماء نزوى المعروفين كالعلامتين أبى عبد الله عثمان الأصم وابي على الحسن بن سعيد (ق ٣ هـ).

وهناك مدارس جامع سعال، ومسجد الشيخ البشير بن المنذر، ومسجد محمد بن الحواري (٣ هـ)، ومسجد محمد بن روح (٣-٤ هـ)، وغيرها كثير.

وفي فترة لاحقة تواكب التعليم في المساجد مع وحدات بنائية ملتحقة بالمسجد، أو معمولة بصفة مستقلة، ومن ذلك نجد مدرسة الجليلين حيث أشارت المصادر إلى أن العلامة أبا علي الحسن بن أحمد النزوي (ق ٦،٧ هـ ١٢، ١٣م) أقام مدرسة لتدريس علوم الشريعة على نفقته الخاصة، استقطبت عدداً كثيراً من طلاب العلم، حتى أصبح من كثرة عددهم يشكل الانفاق عليها عبئا من قبيل الإنفاق على المصابيح وزيتها والكتب وغيرها من المتطلبات لدرجة أن أحداً عرض عليه تحمل بعض من نفقات المدرسة فرد عليهم بأنه طالما يطني النخلة من البلالية بألف درهم أو بما يساوي قيمتها فلا حاجة له للإعانة «والبلالية بستان بسفالة نزوى يقع بها مسجد في الجهة الجنوبية منها».

كذلك قام الشيخ العلامة أبو القسام سعيد بن محمد بن عبد الله الشجبي (ق ٦ هـ) بالحاق مدرسة بالمسجد لتحفيظ القرآن الكريم وأوقف عليها وقوفا.

كذلك فإن هنالك بعض المدارس المنتشرة في داخل الحارات كما في حارة ردة الكنود، وحارة المدّة حيث بنيت الأخيرة فوق باب الصباح الشرقي. وهناك مدرسة أقامها الشيخ أبو بكر أحمد بن محمد بن صالح العقرى النزوى (ت ٥٤٦ هـ) لتدريس علوم الشريعة وأصول الدين ومن أشهر خريجيها الشيخ أحمد بن عبد الله الكندي صاحب كتاب المصنف.

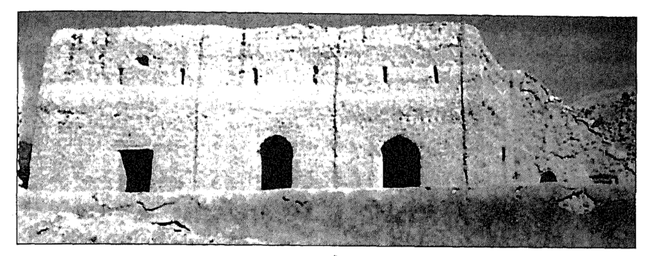
ويلاحظ على تلك المدارس ما يلي:

ـ أن تلك المدارس تواكب إنشاؤها في القرن السادس الهجري مع المدارس التي أنشأها الفاطميون والأيوبيون في نفس الفترة وكان الغرض منها في البداية نشر المذهب الشيعي بالنسبة للفاطميين والسني بالنسبة للأيوبيين حيث تطورت المدارس بعد ذلك فيما يتعلق بجميع شئونها من بناء وتقسيم ووقف وتعليم، وكان الأيوبيون فد نشروا تلك المدارس في اليمن وما جاورها ويبدو أن عمان قد تأثرت بذلك التيار التعليمي.

ـ **تتكون المدرسة من وحدة بنائية للتعليم** ومن مخزن لوضع أدوات المدرسة كالحصر، والمصابيح وزيوتها، والكتب، ونحوها من المواد والأدوات.

ـ **يتخذ شكل المدرسة في الغالب شكلا مستطيلا** ذا مدخل واحد في الغالب، وفتحت بها نوافذ للإضاءة والتهوية ودخلات للمنفعة لوضع المصاحف والكتب، أو المصابيح وأما سقفها فقد عمل من جذوع النخل أو الأشجار الأخرى وفوقها سعف وليف ثم طبقة من الطين، وتوجد ميازيب للتخلص من المياه التي تتجمع فوق السطح عند هطول الأمطار كعناصر للوقاية، ومثل هذه المساريب قد عملت للمدرسة من الداخل، وأحيانا يتم عمل مصاطب أو درجات للإرتقاء إلى مدخل المدرسة.

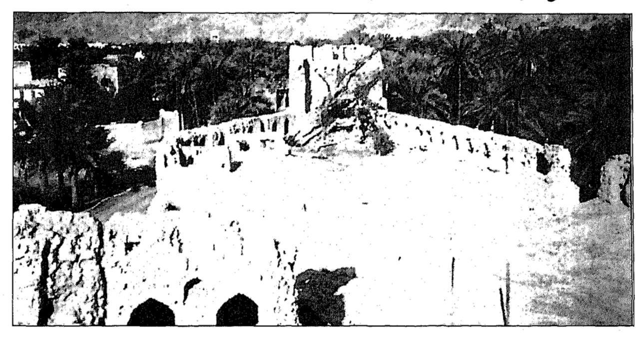
ـ **الحرص إداريا على أداء المدارس لدورها** واستمراريته، وذلك عن طريق الأوقاف التي وقفت لها، أو العلماء الحريصين على استمرارية هذه المدارس.



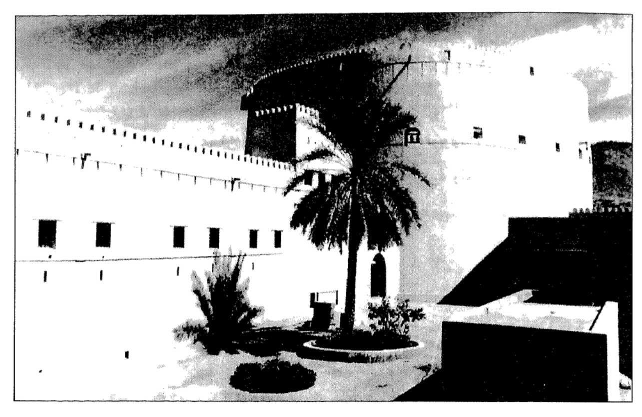
مسجد الأئمة - نزوى

- كانت المدارس جزءا من المسجد ثم وفي مرحلة لاحقة عملت كجزء من الوحدات الإنشائية داخل مساحة المسجد ثم تطورت لتصبح وحدات مستقلة مع الحرص على إبقائها قريبة من المسجد ويظهر هذا الاتصال بالمسجد حتى تكون علاقة الطلاب وثيقة منذ نعومة أظفارهم، ولتعويدهم على ممارسة الشعائر الدينية على وجهها الصحيح، على الرغم من أن من العلماء كالإمام السالمى لا يرى عمل المدارس داخل المساجد لما يقع من ضرر من جهة الطلاب الصغار، بإحداث الضوضاء والصخب وتوسيخ المسجد ونحو ذلك، ومثل هذه المدارس تتشابه مع مثيلاتها من المدارس في البلدان المحيطة بنزوى كبهلا ومنح وإزكي وادم، حيث تعتبر نسيجاً واحداً وهو ما ينطبق على كافة ضروب العمارة.

مدخل إلى دراسة العمارة الحربية Militar Yarch



حصن بيت سليط



قلعة نزوى

تتمثل العمارة الحربية في تلك الحارات المحصنة بالأبراج، والأسوار العالية، والأبواب القوية الضخمة، كما نرى ذلك في حارات المدة وردة الكنود والعقر وحجفان ونحوها.

وفي تلك الحصون والقلاع والأبراج التي تجثم على نقاط اتصال الطرق التجارية أو على موارد المياه، أو فوق قمة جبل كبرج القرن تقوم بدور الرقيب وخط دفاع يرصد حركات العدو، كما قد تكون الحصونَ والقلاع مقرا لإقامة الحاكم أو القاضي منها يحكم ويسوس الرعية تعاونه في ذلك الحاميات العسكرية كما يظهر ذلك في قلعة وحصن نزوى وحصن الوارث. وفي تلك القلاع والحصون والأبراج التي تجثم على نقاط اتصال الطرق التجارية كحصن بيت سليط الذي يشرف على فلج دارس وعلى طرق نزوى الشمالية، وقد بناه عبدالله ابن محمد الكندي (ق ١١هـ)، أو على الموارد المائية كبيت الرديدة الذي يشرف على فلج الخطمين والذي بناه الإمام سلطان بن سيف في القرن الحادي عشر الهجري، أو فوق قمة مرتفع يقوم بدور المراقب وخط دفاع معتمد عليه في الملمات برصد تحركات العدو الذي يريد أن يأخذ أهل البلدة على حين غرة ونرى ذلك الدور في برج القرن على رأس الجبل الغربي (ق١٤هـ) وقلعتي فرق اللتين بناهما الشيخ هلال بن زاهر الهنائي، ليرصد بوابة نزوى الجنوبية، ومن الحصون والقلاع ما تكون مقرا للحاكم أو للقاضى والوالي والعساكر

منها حكم وسياسة الرعية، وخير مثال على ذلك حصن نزوى الذي بني في عهد الإمام محمد بن عبد الله اليحمدى في القرن الثاني للهجرة ، ثم توسع في بنائه لاحقاً.

وتلك الحصون والبيوت المحصنة والقلاع والأبراج كثيرة العدد تشهد على تلك الفترة الحرجة التى كانت تمر بها عمان أحيانا، وكذلك على أهمية نزوى الاقتصادية والسياسية وكذلك على المهارة والخبرة في تنفيذ مثل تلك العمائر العتيدة وتشييدها، ومن تطويرها من فترة لأخرى بحسب التحول والتغير في النظم والأساليب العسكرية الدفاعية والهجومية كالتحول عن المنجنيق إلى المدفع.

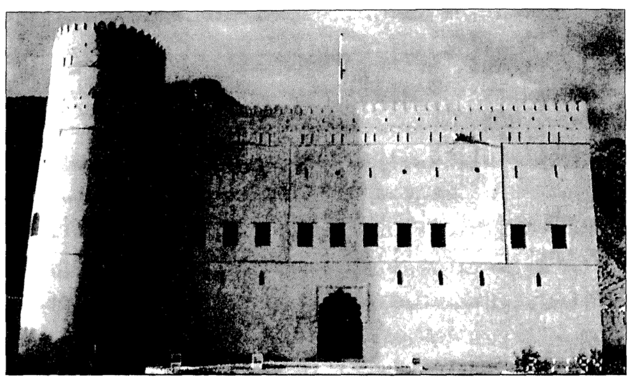
وكانت عمارة نزوى الحربية عرضة للتأثير والتأثر من قبل الثقافات المجاورة، كما إن هناك من يعتقد بوجود بقايا مستوطنات فارسية من الفترة الساسانية المتأخرة شمال الجناة على ضفاف أحد فروع وادى كلبوه، ومثل ذلك في شمال غرب بسيا في سلوت حيث يوجد حصن وأسوار دفاعية تدل الملتقطات السطحية كالفخار على سكنى هذا الموقع منذ أواخر الألف الأولى قبل الميلاد وحتى القرن الثامن عشر الميلادي.

ويبدو أن المنطقة الواقعة بين وادي سيفم ووادي بهلا كانت محل استيطان من قبل الفرس بسبب خصوبة التربة وتوفر المياه، وذلك يؤدي بالضرورة إلى وجود حاميات عسكرية، تقوم بدور الحامي لتلك المستوطنات، والحقيقة أن هنالك مستوطنات وتحصينات مسورة تعود للألف الثالثة ق. م في التلال الواقعة في الناحية الشرقية التى يتاخمها وادي بهلا والسهل شمال سلوت، مما يدل على أهمية الموقع وما يحيط به من مناطق مجاورة.

وعموماً فإن تلك الوحدات العسكرية لم تكن لتوجد لولا الضرورة والحاجة إليها ونستطيع أن نرى ذلك في العدد الكبير لتلك المنشآت الحربية التي تتوزع على مناطق نزوى حيث يربض حصن تنوف مرصد آخر لبوابة نزوى الشمالية بناه محمد بن الصلت الريامى (ق١١هـ)، وحصن سيق الذي بناه الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربى (ق ١٢هـ) وهنالك بيت الملعب في الشريجة من الجبل الأخضر بناه سليمان بن سيف النبهاني (ق ١٢هـ)، حصن الوارث بن كعب الخروصى (ق ٢ هـ).

كذلك الأبراج التي كان منها ما يحرس الأسواق كبرج غويرا أمام بوابة سوق الصنصرة، ومنها ما كان يعلو البوابات الضخمة، أو يقع في الزوايا الركنية كبرج ردة الكنود، أبراج

حارة المدة العالي والسافل والجنوبى والشرقي، وبرج المزارعة الواقع على مدخل حارة العقر الجنوبي، وبرج محلة السويق، وبرج ردة ألبوسعيد، وفي بركة الموز برج المقاصير، والحيل والشريعة وغيرها ويلاحظ أن تلك الأبراج والقلاع تأخذ غالباً الشكل الدائري الذي يضيق في بعض منها كلما ارتفع إلى أعلى حيث إن ذلك يساعد قوة على ثبات ومكانة البرج، وكذلك توسيع دائرة المراقبة، كما إن البناء الدائري يوفر نسبة ١١.٣٣٪ من تكاليف للبناء عن الأشكال الأخرى كالمربعة ونرى ذلك في قلعة فرق وفي بيتي الرديدة ببركة الموز.



بيت الرديدة - بركة الموز

ونعتقد أن بداية انشاء المواقع المحصنة المحاطة بالأسوار كان مع تلك المناطق ذات الطابع الاقتصادي، بما تضمه من تجارة وصناعة وزراعة وتعدين، سواء كان ذلك محلياً أو يتم بطريقة دور الوسيط التجاري، ومع تنامي ذلك الموقع الاستراتيجي يضبح محلاً لأطماع الغزاة وقطاع الطرق للسيطرة عليه، لذا كان وجوب عمل التحصينات حوله أمراً ضرورياً، ونزوى هي من ذلك النوع من المناطق ذات الأهمية الاقتصادية التى تطورت إلى أهمية سياسية وثقافية، كما لمسنا ذلك وكانت تلك العمائروالتحصينات الحربية المنشأة والتي تزود بمقومات المعيشة والدفاع كالملاجيء الآمنة للسكن، ومواضع للدواب، وأماكن

للعبادة، ومصادر المياه كالآبار والأفلاج، ومخازن لمختلف المواد الغذائية والأدوات الضرورية للأسلحة.

ولقد تكفلت تلك المبانى الحربية لأن تقوم بدور إعاقة العدو من التقدم والاقتراب من المستوطنة، وكذلك صعوبة الخطوط الدفاعية كلما توغل العدو داخل هذه المباني، وتحقيق أكبر خسارة لأفراد العدو من خلال خطوط الدفاع المتوالية والحيل المعمارية الحربية، ويجري كل ذلك بتوظيف كل الإمكانيات والعناصر البنائية والإنشائية ابتداء من أبراج المراقبة وحتى الأبواب السرية التي تستخدم للتموين والهروب بأمان في حالة الهزيمة، وقد تكون قلعة نزوى مثالاً حياً لذلك، حيث الباب الضخم، والخندق الذى يتقدم بابها، والسلالم المنكسرة والآبار والسقاطات والسرداب الذي يقع شرق القلعة بطول ١٩، ٣٠ م.

وقد رأينا عامل الارتفاع في كثير من تلك المباني كبرج القرن وابرأج الجبل الأخضر وقلعة نزوى، وذلك بقصد السيطرة على ساحة القتال أو ركوب الموقع كذلك فإن مدى الرمى سيكون أطول في حالة الارتفاع. ويساعد عامل الارتفاع درجة انحدار المرتفع، وصعوبة تسلقه بسبب درجة ميلانه أو صلابة وملاسة الحجارة المكونة له.

وأما الأسوار فتنشأ لأغراض حماية الأماكن في المناطق المنخفضة وكذلك لإعاقة العدو من الولوج إلى داخل التحصينات المرتفعة، وساتراً عن ضربات العدو عند استخدامه للمجانيق مثلا، والأسوار الدفاعية تنقسم إلى أسوار دفاعية سلبية تقوم بوظيفة الإعاقة المعمارية للعدو بارتفاعه الشاهق وضخامة سمكه، ونرى أمثلة ذلك في سور بهلا، وفي حارات نزوى، وهنالك الأسوار الدفاعية الإيجابية المزودة بالأبراج ومرامي السهام أو المدافع والبنادق، وسقاطات لضرب ومنع العدو من الاقتراب من الموقع وأثناء الاقتراب منه وعدم تمكينه من استغلال الزاوية الميتة أي حيث يلتصق بأسفل الجدار من مكان لا يتمكن المدافعون من النيل منه.

ويلاحظ ان الأسوار تختلف في اشتمالها على الخطوط الدفاعية والتي تتمثل في سطح السور من أعلى حيث يزود بشرافات علوية على مسافة منتظمة، وبارتفاع حوالي المتر ويسير الجنود فوق هذا السور، ويراقبون العدو، وفي حالة الهجوم يرمون العدو من المرامي المعدة في المسافات المحصورة بين الشرافات التى يختفي الجنود أحيانا وراءها، ويصعد إلى مستوى سطح السور بسلالم جانبية محاذية للسور من الداخل في الوسط أو في منطقة

الأركان، وتتعدد هذه السلالم لتسهيل الحركة والتزويد.

كما إن اتساع سطح السور يوفر سهولة الحركة الفردية أو المزدوجة ويختلف هذا الاتساع من تحصين إلى آخر، وعلى العموم فإن سمك الأسوار الضخم يساعد كثيراً في متانة الأسوار وصعوبة ثقبها أو اختراقها، ولسنا في حاجة إلى التأكيد إلى أن ذلك متعلق بمواد وأسلوب البناء وكل ذلك يمكن ملاحظته في حصن وقلعة نزوى وبيلا سليط وبيت الرديدة.

وأما الأبراج فمنها المربع ومنها المستدير وشبه المستدير ويلاحظ أن الأخير منتشر بين الأبراج المستقلة أو المتصلة ببناء الحصن أو القلعة وأما المربعة فنجدها فوق مداخل الحارات كحارة المدة وردة الكنود وقد يعود ذلك إلى سهولة عمل ذلك الشكل حيث يوافق قاعدة تخطيط البوابة وأغلب الأبراج في منطقة الدراسة المستقلة أو المتصلة عملت لأغراض الدفاع الإيجابي حيث تؤدى وظيفة المراقبة وضرب العدو كبرج قلعة نزوى ويلاحظ أن العناصر الدفاعية تتطور وحداتها مع تطور التقنيات والأساليب الحربية، حيث نرى استخدام المزاغل arrow sladds لرمي السهام أو التي عملت بطريقة تمكن المدافعين من ضرب العدو وليس العكس ثم استعيض بالفتحات الدائرية عند استخدام البنادق، حيث عملت بشكل مستقيم أو مائل، كذلك وعند اختراع المدافع تم التوجه إلى عمل الفتحات الواسعة لتناسب وحجم ماسورة المدفع، كما تم بناء الأبراج بناء متينا، وتم عمل منصة للبناء منصته قوية، كما عملت منصة الإطلاق مفتوحة لمنع حدوث اختناق من الأدخنة المتصاعدة من المدافع، وتجمع قلعة نزوي كل تلك الخصائص، ومثل ذلك نراه في قلعتي الجلالى والميرانى، ولا ننسى أن ظهور المدفع قد ساهم في التقليل من بناء الأبراج بفعل مداها الواسع.

وإذا ما جئنا لأبواب تلك التحصنات فسوف نجدها قد عملت بطريقة أمنية حيث يظهر ذلك في كبر الحجم كالمصاريع وقوة الخشب المصنوع منه، وارتفاعه عن مستوى سطح الأرض وفي عمل فرخة (بويب) في أحد مصراعيه، وكذلك بناء البوابات بالحجارة كما نرى المدخل ذا المرافق كما في حصن نزوى والممر المظلم المتعدد الاتجاهات والحفر عند هذه البوابات والسقاطات كسلالم قلعة نزوى السبعة.

ونستطيع إجمال المرافق في القلاع والحصون بحسب الوظيفة التي أنشئت من أجلها فيما يلى:

- مصادر للمياه، كالآبار والأفلاج والأحواض الواسعة.

- إسطبلات للخيول أو مرابط.
- ثكنات للجند.
- مخازن المؤن والسلاح.
- مساكن الحكام والقضاة.
- أماكن للعبادة.

وأما السقف فيلاحظ أنه معمول غالبا من جذوع النخل أو من خشب الكندل، ثم مواد سعفية، ثم طبقة من الطين أو الجص أو الاثنين معا.

وبالطبع فإن العنصر الزخرفي يصبح في هذا النوع من المباني ثانوياً غالباً.

المقابـــر

تعتبر المقابر سمة من سمات التطور الثقافي لدى الإنسان وانتقاله من طور اللامبالاة بجثة أخيه الإنسان إلى طور التوجه إلى مواراة الجثة بالتراب والحجار والمواد الأخرى، وقد تنوعت المقابر من فترة لأخرى ومن مكان لآخر، حيث تظهر مختلف أساليب الدفن فمن الحفرة البسيطة إلى التلال الهرمية إلى المصاطب التي تعلو المقابر مروراً بالأهرامات والجبانات حتى ظهور الإسلام في أنحاء العالم الإسلامي حيث توجهت نحو اسلوب بنائي مختلف يقوم على البساطة وحفظ جثة الميت الطاهرة وفق ضوابط شرعية محددة لموقع المقبرة وبعيدة عن أيدي العابثين، ومع العصور الإسلامية المختلفة ظهرت الأنماط البنائية المختلفة للمقابر، فمنها المزارات والمقامات ومنها ما ظهرت فيها أساليب التغطية كالقباب المختلفة الطرز، وكذلك انتشرت فيها الزخارف النباتية والهندسية والكتابية.

وقد كان للعادات والأفكار الاجتماعية والمعتقدات الدينية أثرها في بناء المقابر وطريقة تشكيلها وذلك تبعاً لاختلاف إثنولوجي (عرقي) بين مختلف شعوب العالم، كما يظهر ذلك في العصور الاسلامية المختلفة حيث نجد الاختلاف واضحاً بين المقابر في إيران والمقابر في عمان مثلا فنجد طابع الفخامة والتنوع البنائي والزخرفي في إيران بينما يشيع في عمان النمط الذي كان يستخدم في العصور الإسلامية الأولى في عمل القبر.

وليس معنى ذلك أن عمان تتبع نسقاً واحداً في عمل المقابر، بل إن الاختلاف واضح جداً

فيما بين مختلف مناطق السلطنة لعوامل ثقافية واجتماعية.

أما نزوى فنرى أن انماط الدفن فيها من خلال الأدلة الأثرية الحالية تظهر على هيئة:

أ ـ نمط المقابر التى تعود إلى أواخر العصر البرونزي المتأخر/ بداية العصر الحديدي (١٢٠٠– ١٠٠٠ ق. م)، وقد أشرنا إلى هذا النوع من المقابر في الفصل الماضي والذى عثر عليه في جبل الحوراء.

ب ـ نمط المقابر الإسلامية الأولى، وهذا النمط يعتبر هو السائد بين أنماط المقابر في نزوى وفي السلطنة عموماً، وتتلخص طريقة هذا النوع فيما يلى:

ـ حفر حفرة بارتفاع قامة الإنسان وطول المتوفي، ويتم تقسيم الحفرة إلى جزأين أحدهما أعمق من الآخر يتم وضع جثة الميت في أحدها والآخر يستخدم كموضع للأفراد الذين يقومون بإنزال جثة المتوفي برفق إلى القبر، حيث يقوم الأفراد انفسهم بعمل اللحد ، ويوجّه المتوفي نحو القبلة واللحد عبارة عن قوالب طينية مجففة قد أعدت مسبقاً يتم صفها طوليا بشكل مائل نحو جدار المقبرة أو بشكل أفقى، ويتم سد الثغرات فيما بين القوالب بالطين الذى يقوى التماسك فيما بينها، و بعد الانتهاء من عمل اللحد يتم إعادة التراب الذى أخرج منها سابقاً لردم المقبرة، ويوضع قالبا طين فوق كومة تراب القبر التى يتم رش الماء فوقها لترصينها، ويحيط البعض القبر بحجارة حتى لا تتداحى كومة التراب فوق القبر ولا تزول وقت هطول الأمطار.

٣– أما النمط الثالث فهو ما يعرف بقبور الشواهد وهي لا تختلف عن النمط الثانى إلا من حيث وجود الشواهد، وخير مثال على ذلك مقبرة الأئمة التى تقع خلف الجبل الذي يعلوه برج القرن على الطريق الواصل بين العالية ومنطقة الشعبية الجنوبية أمام مصلى العيد بالولاية ، وهذه المقبرة يبدو أنها نواة المقبرة الحالية التي اتسعت حولها والتى تمتد وتنتشر مقابرها على مساحة واسعة، وتسمى هذه المقبرة ايضاً بمقبرة العباد لوجود تلك المساجد التي تعلو الهضاب المرتفعة حول المقبرة والتي كان يتقرب فيها الصالحون، وأما سبب تسميتها بمقبرة الأئمة فلكثرة من دفن بها من الأئمة الكرام الذين بويعوا بالإمامة، ومن هؤلاء:

ـ الإمام عبد الملك بن حميد العلوي (إمامته ٢٠٧ هـ– ت. ٢٢٦ هـ).

- الإمام الصلت بن مالك الخروصي (إمامته ٢٣٧ هـ- ت. ٢٧٥ هـ).
- الإمام راشد بن سعيد اليحمدي النزوي (إمامته ٤٢٥ هـ- ت. ٤٤٥ هـ).
- الإمام حفص بن راشد بن سعيد اليحمدي (إمامته ٤٤٥ هـ - ت. ؟).
- الامام مالك بن الحواري بن مالك (إمامته ٨٠٩ هـ- ت. ٨٣٢ هـ).
- الإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي (إمامته ٨٨٥ هـ- ت. ٨٩٤ هـ).
- الإمام ناصر بن مرشد اليعربى (إمامته ١٠٢٤ هـ- ت. ١٠٥٠ هـ).
- الإمام سلطان بن سيف اليعربي (إمامته ١٠٥٠ هـ- ت. ١٠٩١ هـ).
- الإمام محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي (إمامته ١٣٣٨ هـ- ت. ١٣٧٣ هـ).

وتتجاور القبور الثلاثة الأخيرة حيث يتوسط قبر الإمام سلطان قبري الإمام الخليلى والإمام ناصر، وهنالك أسماء أخرى كثيرة يمكن تبينها من خلال قراءة الشواهد التي توجد على القبور، حيث يمكن بذلك التعريف بمكان دفن بعض العلماء والأئمة الذين لم يشر المؤرخون إليهم ربما لعدم معرفتهم هم أيضاً بذلك.

وتظهر بعض شروط المقبرة الإسلامية على هذه المقبرة، ومن ذلك نرى أنها قد اختير لها مكان آمن بعيداً عن مجاري الوديان والشرجات، كما أنها معتدلة المسافة بمعنى أن موقعها ليس ببعيد عن المستوطنة حتى لا يتعب المشيعون من طول السير، وليست بالقريبة حتى لا تصل الروائح التي قد تنبعث منها إلى المناطق السكنية، كذلك سهولة الوصول إليها ووجود مساحة كافية يمكن استخدامها في المستقبل لأغراض الدفن.

وتضم هذه المقبرة مجموعة من الشواهد التى عملت من حجر الصلف الرسوبي الذي يسهل نقشه بفعل خاصيته الجزيئية وامثلة قليلة منها عملت من حجر الجرانيت وحجر الرخام والحجر الرملي، وتختلف هذه الشواهد في أشكالها وأحجامها وطرق تنفيذها، فبالنسبة للشكل فإننا نلاحظ ان منها ما هو مستطيل ذو رأس مستدير أو مشذب أو هرمي ومنها ما هو دائري صغير الشكل، ومنها ما هو مربع، ومنها ما هو غير مستقيم شكله، كذلك فإن بعض الشواهد عملت على الصخور الطبيعية دون التدخل في شكلها مما يدل علي أن عملها كان يتم بسرعة.

وقد نفذت النقوش الكتابية عليها بطريقة النقش الغائر والنقش البارز، والأخير يتم بتفريغ ما حول الكتابة المراد تنفيذها، غير أن النقش الغائر هو السائد في تلك الشواهد، كما نفذت الكتابة على جانبيٍ الشاهد أحياناً أخرى.

ونرى أن الكتابة قد اتخذت في الغالب المسار الأفقى قد يكون لطبيعة سطح أو حجم أو شكل الحجر دور في تغيير مسار النقش، بحيث نرى الكتابة اتخذت شكلا مستديراً أو مربعا أو أي شكل آخر من الأشكال الهندسية، كما نلاحظ أن الصانع قد قام بالكتابة على الهوامش، وعلى جوانب الشواهد ربما لضيق المساحة الموجودة لديه.

وتتم عملية تأطير المنطقة المراد كتابة النقوش عليها، وأحياناً يكون الإطار مزخرفا بزخارف هندسية كالمثلثات والدوائر وكذلك النباتية، كما نلاحظ تلك الخطوط المحفورة لتشكل جزءا من زخرفة الإطار أو خلفية للكتابة أو فواصل بين خط أفقي وآخر.

ويلاحظ أن خط الكتابة على هذه الشواهد يأخذ هيئة خط الثلث أو الرقعة، وأسلوب تنفيذها يدل على أنها لم يتم عملها بتلك الدقة التي نراها على الشواهد. في بعض أنحاء العالم ا لإسلامى.

ويلاحظ أن بعض الشواهد قد كتب عليه من الجهتين، حيث يتم ذكر الآيات القرآنية في وجه ومعلومات توثيقية سكن المتوفى في الوجه الآخر.

وموضوعات الكتابة تتلخص فيما يلى:

- البسملة مع ورود بعض الآيات القرآنية التي لها علاقة بالموت والثواب والعقاب واليوم الآخر، والصلاة على النبي - محمد صلى الله عليه وسلم -.

- ورود بعض الحكم التي لها علاقة بالزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

- نص توثيقي يذكر صاحب القبر، وسنة وفاته باليوم والشهر والسنة الهجرية، كما يسبق ذكر صاحب القبر كلمات (كالوالد) والشفيق والشيخ.

والحقيقة أن دراسة مثل هذه الشواهد لها أهميتها للباحثين في تخصصات ونواحي متعددة، حيث أن وجود مثل هذه الشواهد يدل على أن صناعة الشواهد منذ القرن الثالث الهجري في نزوى، كما أن الشواهد تفيد في دراسة تطور الخط العربى لاسيما الخط الثلث،

وقد تسد دراسة هذه الشواهد فراغاً في سلسلة تطور الخط، للخروج بحصيلة طيبة حول تطور الخط العربي، وعمل الدراسات المقارنة مع الشواهد الأخرى في السلطنة كما في صلالة (مقبرة الرباط، ومقبرة العلويين)، كذلك فإن دراسة الشواهد تفيدنا في التعرف على بعض أسماء الاعلام كالائمة والعلماء وتتبع الفترات التى عاشوا فيها، وعمل سلسلة متصلة بالأئمة الذين حكموا عمان إذا ما عرفنا أن الشواهد تعتبر من أوثق الأدلة الأثرية ألتي يمكن الاستعانة بها في تاريخ المنطقة خصوصاً وعمان عموماً.

كما أن دراسة أساليب تغير الكتابة تعطينا فكرة واضحة عن صناعة الشواهد، من حيث أنواع النقش المستخدم والمواد والأدوات وطريقة الإعداد لعمل النقش وكيفية استغلال المساحات والفراغات.

ويجب عند إرادتنا لدراسة شاهد قبر أن نذكر ما يلى:

١ ـ وصف الشاهد، من حيث مادة الصنع، واللون، والشكل، والحجم، والمقاسات الطول والعرض والسمك، كذلك يشمل ذلك وصف حالة الشاهد (مشطوف، مكسور، مثقوب)، وكذلك وصف سطح الشاهد (أملس، خشن، مموج)، كذلك ذكر حالة محتويات الشاهد واضحة أم أنها تعرضت للعوامل الجوية، وبالتالى فلا نستطيع تبين القراءة والنقوش، كذلك ينبغي ذكر موقع الشاهد والمكان المحيط به وتوثيق كل ذلك بالتصوير والرسم والكتابة.

٢– كذلك فيجب تصنيف موضوعات الشاهد الكتابية والزخرفية ومحتوياتها من حيث أسلوب التنفيذ ونوع الخط وحجم الكتابة واستغلال المساحات وكيفية تخطيط النص، وهل توجد فواصل خطية بين كل سطر وآخر، وما هي خطة الصانع عند كتابة النص كان يذكر البسملة أولاً ثم الآيات القرآنية ثم إسم المتوفي ثم الختام بالصلاة علي النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهكذا، كذلك فيجب وصف فيما إذا كان النص متناسقا من حيث توازن الخطوط والكلمات والتناسب فيما بينها وكذلك فيما إذا كان هنالك تناسق بين العناصر الزخرفية والكتابية.

وعند نقل النص من الشاهد يجب ترقيم الأسطر ونقل جملة السطر بكاملها كما هي ثم الانتقال إلى السطر الآخر، ويجب عمل نقط بين قوسين للاشارة إلى عدم معرفة الحرف أو الكلمة، ويمكن إتمام الكلمة أو الجملة الناقصة في حالة التأكد من أن ذلك هو الأصل

الناقص، ومع ذلك فيجب وضع تلك التتمة بين قوسين أيضا.

وأسوق إليكم بعض نصوص الشواهد، والتى نجدها مكررة في أجزاء كثيرة منها:

ـ نقش على شاهد أحد القبور بالحفر الغائر عشرة أسطر على لوح غيرمنتظم الشكل مصنع من حجر الصلف، ما يلي:

١ ـ هذا القبر هو قبر الثقة خلف بن قاسم بن خلف.

٢ ـ الرمحي الذي كان يسكن عقر نزوى.

٣ ـ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء.

٤ ـ وتنزع الملك ممن تشاء وتعز.

٥ ـ من تشاءوتذل من تشاءبيدك.

٦ ـ الخير إنك على كل شيءقدير.

٧ ـ تولج الليل في النهار وتولج.

٨ ـ النهار في الليل وتخرج الحي.

٩ ـ من الميت وتخرج الميت من الحي.

١٠ ـ وترزق من تشاء بغير حساب.

٢ ـ شاهد يتكون نصه من سطر واحد من جهة الظهر.

١ ـ هذا قبر عامر بن راشد (   )

ومن الواجهة:

١ ـ توفي الشيخ عامر.

٢ـ بن راشد بن عمر بن راشد

٣ـ بن عمر بن (   ) يوم (الأحد).

٤ ـ رابع من شهر رجب سنة.

٥ ـ سبعين ومائة.

وهذا شاهد يبلغ طوله ٤٨ سم وعرضه ٢٧ سم وسمكه ٢ سم مصنوع من حجر الصلف رأس الإطار عمل على هيئة مثلث وهذا نص الشاهد (عشرة أسطر)..

١ ـ رسول الله

٢ ـ لا إله إلا الله محمد

٣ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم.

٤ـ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم.

٥ ـ يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة.

٦ـ فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور. ذلك الدار.

٧ ـ الآخرة نجعلها للذين لا يريد (ون) علوا في (٠١) الأرض و(لا) فساد (١).

٨ ـ والعاقبة للمت (ق) ين هذا قبر الشيخ سليمان بن عبد الله

٩ ـ بن سليمان بن بلعرب العقري النزوي وصلى اللهم على سيدنا.

١٠ ـ محمد النبي وآله وسلم.

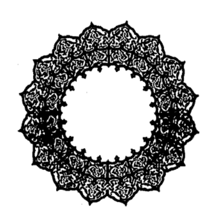
وعلى العموم فإن الملاحظات العامة نجملها في الآتي:

يلاحظ أن كثيراً من الشواهد مكسور أو مشطوف أو انفصلت طبقته السطحية عن باقي الشاهد وذلك يعود إلى طبيعة الحجر الذى هو مكون من طبقات رسوبية.

ـ غالباً يبتدىء النص بالبسملة، ثم نص قرآني، ثم اسم المتوفي وتاريخ وفاته، وقد يعقب ذلك الدعاء له (كغفر الله له) وقد نرى أن النص يبدأ بالتعريف بصاحب القبر (هذا قبر فلان)، أو «هذا قبر الوالد الشفيق» (توفي الشيخ) وقد يتخلل هذه النصوص حكم أو أبيات شعرية أو جمل تذكر بالآخرة وتدعو إلى نبذ الحياة الدنيا، ويختتم النص بالصلاة على النبي وعلى آله وصحبه وسلم ونلاحظ ان كثيراً من الحروف في الكلمات ناقصة وقد يعود ذلك إلى صغر المساحة أو عدم الانتباه، كما أن التشكيل والتنقيط لا يلتزم به، ويلاحظ وجود تاريخ لبعض الشواهد دون الأخرى، وبعضها لا يوجد بها اسم المتوفى، كما أن بعض الشواهد كتب عليها من الوجه والظهر.

ـ يلاحظ انتشار قطع فخارية متنوعة مزججة أو عادية، ويدل ذلك على كثرة القاصدين لهذا المكان طلبا للبركة كما يلاحظ وجود مساجد تعلو المرتفعات المحيطة بالمقبرة، وهي التي تعرف بمساجد العباد، لكثرة القاصدين والمترددين إليها، طلبا للتقرب إلى الله بجوار الأئمة الصالحين والعلماء العاملين، عسى الله أن يتقبل منهم أوباتهم إليه ويوفقهم في حياتهم الدنيا والآخرة، وييسر لهم مطالبهم. وذلك ليس من الدين في شيء وجعل هذه المساجد في مكان مرتفع عن سطح المقبرة هو من باب حرمة المسجد، وكذلك خشية اعتبار

تلك المقابر قبلة يتوجه إليها الناس بالدعاء حيث جاء النهي عن ذلك كما أثر عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - وكذلك فإن بناءها في ذلك المكان يوفر جوا من الوحدة والخشوع والتوجه الكلي نحو الله - عز وجل وحده - ويلاحظ أن هذه المساجد المرتفعة تتكون من بلاطة واحدة وقد عملت أساساتها بالحجارة والجص، ثم إن جدرانها عملت بالطين، أما السقف فقد عمل بجذوع يعلوها السعف والليف وفوقها طبقة طينية، كذلك فإن محاريبها عبارة عن دخلات في حائط القبلة ذات عقد مدبب، وتتسم هذا المساجد عموما بالبساطة في البناء ولا نرى شيوع العناصر الزخرفية بها وهي تتفق بذلك مع نمط المساجد العمانية التقليدية.



الخاتمـــة :

ها هو بحثنا قد شارف على الانتهاء ولما ينته معين نزوى وفيض بحرها من الكشف عن عقود نظمت من جمان، ولا يسعني في هذه الأسطر القليلة القادمة إلا أن أشير إلى نقاط مهمة وتوصيات مستقبلية آمل أن نتكاتف معاً على تحقيقها - إن شاء الله تعالى.

وقد ظهر لنا أن نزوى من أهم المناطق التى استوطنت منذ القديم، بفضل جمعها للمقومات الحيوية، مما أعطاها دوراً رياديا على العصور، اقتصاديا، واجتماعيا، ثقافياً وسياسياً.

إن دراسة نزوى من جوانب مختلفة هو أمر ضروري، وعاجل وذلك حتى لا نفقد هذا التراث الثري الزاخر بسبب عوامل الزمن والطبيعة والتغيرات الثقافية كالتكنولوجيا والعمليات التنموية.

تتعدد الدراسات التي يجد الباحثون فيها معينا لا ينضب من الدراسات، فهنالك الدراسات الأثرية، بمختلف جوانبها منذ المستوطنات القديمة لما قبل التاريخ، وحتى العصور الاسلامية، ودراسة عناصرها المختلفة من الآثار المنقولة والثابتة، كذلك هنالك الدراسات الأثنوغرافية، التى يمكنها أن تبحث في الحرف والمصنوعات اليدوية من المواد والأدوات وتطور الحرفة وتطور المصنوعات واختلافها في منطقة إلى أخرى أو مقارنتها بغيرها من المصنوعات سواء كان على مستوى محلي أو على مستوى الثقافات المحيطة حيث أثرت وتأثرت بها في أساليب تنفيذ المصنوعات، وأنواعها، والنقوش الزخرفية النباتية والكتابية والهندسية والحية الآدمية والبشرية (على قلتها)، ودور العادات والتقاليد والأحكام الدينية في توجيه تلك الصناعات، فمثلا تصوير الأشياء الحية هي من الأمور غير الشائعة، فتلك الدراسات تخرج لنا العلاقات التي كانت سائدة بين مختلف الثقافات. كما أن دراسة تطور الزخارف يتيح لنا التعرف على تطور الخط مثلا. كذلك فهنالك الدراسات الفولكلورية والخاصة بتوثيق الفنون والعادات والتقاليد وكل ما يمت للمجتمع النزوي بصلة، حيث الرقصات الشعبية المختلفة والتي تقام في مناسبات مخصوصة احياناً، والأشعار، والأناشيد والقصص والحكاوى الشعبية والتي من خلالها يعبر المجتمع عن بيئته المحلية، وعن صلاته الحضارية، وعن معاني ورموز ذات أغراض

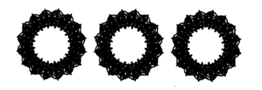
محدودة، ولاننسى الدراسات اللغوية، والتي تقوم بتسجيل اللهجة الدارجة وعلاقتها باللغة العربية، ومقارنتها مع اللهجات الأخرى المجاورة وكذلك في التعرف على الكلمات الدخيلة من الأصلية والتي توحي بالصلات مع الثقافات الأخرى كالفارسية والهندوسية، ككلمة (دروازة) والتي تطلق على بداية مدخل الباب، أو على البوابة كلية من باب اطلاق الجزء على الكل وكلمة «كلبوه» وأصلها «جلبوه» بالفارسية أي الزهور، ويدخل في ذلك كله دراسة دور الثقافات المعاصرة في تغيير تلك السمات الأثرية والأثنوغرافية والفولكلورية واللغوية.

هذا عدا الدراسات الأخرى العلمية، كعلوم تأثير جيولوجية المنطقة على السكان، الزراعة وأساليب الزراعة والري التقليدية، والطب الشعبي وعلوم النباتات والأعشاب، والصناعة كصناعة التمور كذلك العلوم التاريخية، كتاريخ الطرق التجارية، تاريخ المنشآت العمارية، تاريخ الأدب والمنشآت، تاريخ الصناعة، تاريخ الأفلاج، وغير ذلك.

كذلك فإن التخطيط لإقامة مشاريع سياحية مستقبلية هو أمر مهم، فنزوى مصدر جذب سياحي بمقوماتها الطبيعية والبشرية والحضارية، ومن هنا فيمكن التفكير في إقامة مشاريع تعود بالنفع على المنطقة بشكل خاص.

كما أنني أدعو في النهاية إلى تأسيس مركز للدراسات الثقافية في نزوي ليقوم بدوره في حفظ وتوثيق ثقافة المنطقة بشكل خاص، والمنطقة الداخلية بشكل عام وإخراج الدراسات حولها لكي يتم الاستفادة منها مستقبلا إن شاء الله.

نسأل الله التوفيق والعون والسداد لعمل ذلك إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله و بر كاته.



المصادر والمراجع

- أحمد بن محمد بكر الفرسطائى النفوسى (ت ٥٠٤ هـ)- القسمة وأصول الأراضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية- ط ١، تحقيق وتقديم: محمد صالح ناصر وبكر بن محمد الشيخ/ بلحاج، مكتبة الضامرى- السيب- سلطنة عمان ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م.

- إيروس بلد يسيرا- الكتابات في المساجد العمانية القديمة، وزارة التراث القومي والثقافة.

- حمد بن سيف بن محمد البوسعيدي (ت ١٩٢١م)، كتاب إرشاد السائل من أجوبة المسائل، ط ١، مكتبة الضامرى للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عمان- ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م.

- حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت (ت ١٨٥٧م)- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان- تحقيق: عبدالمنعم عامر- وزارة التراث القومي والثقافة.

- درويش بن جمعه بن عمر المحروقي، الدلائل في اللوازم والوسائل، تحقيق: عبدالمنعم عامر، ومحمد الهادى هارون- وزارة التراث القومي والثقافة- ١٩٨٠م.

- ربيع حامد خليفة- الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، ط١- الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر- ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢.م.

- زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي- دار الرائد العربى، بيروت، لبنان- ١٤٠١هـ/ ١٩٨٦م.

- سالم بن حمود السيابي- إسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان- المكتب الإسلامي- دبي- الإمارات العربية المتحدة،-١٩٦٥م.

- سالم بن حمود بن شامس السيابي- عمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة.

- سعيد السالمى- قرية كمة (بحث تخرج) ١٩٩٦- قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس، سلطنة عمان.

- سلمة بن مسلم العوتبى الصحارى - الضياء، ج ٥ ، وزارة التراث القومي والثقافة.

- الشيخ سيف بن حمود بن حامد البطاشى- إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان، جـ٢.

- الشيخ عبدالله بن حميد السالمي (ت ١٩٩٢م/ ١٣٣٢هـ)- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جـ١.

- الشيخ عبدالله بن حميد السالمى، جوهر النظام في علمى الأديان والأحكام (ت

١٩١٢م)، جـ١، وجـ٢، ط١١ تعليق الشيخين أبي إسحاق اطفيش وإبراهيم بن سعيد العبري.

- محمد أحمد المقدسى (ت ٣٨٠/ ٩٩٠م)– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم– تقديم وتهميش وفهرسة: محمد مخزوم– دار احياء التراث العربي، لبنان– ١٩٧٨م.

- محمد عبد الستار عثمان– الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي (دراسة أثرية معمارية)– د ار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر– ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- محمد عبدالله اللواتي (ابن بطوطة، ت ٧٢٥ هـ) رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، جـ١– تحقيق وتقديم وتعليق: علي الكتاني - مؤسسة الرسالة، الظهران، المملكة العربية السعودية - ١٩٨٥م.

- الشيخ محمد يوسف اطفيش (١٩١٤م) - شرح كتاب النيل وشفاء العليل، وزارة التراث القومي والثقافة.

- مكتب نائب رئيس الوزراء لشؤون مجلس الوزراء (قسم الدراسات) - القلاع والحصون في عمان (د.ن) - مسقط - سلطنة عمان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

- مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدي - كتاب لباب الآثار الواردة على الأولين والمتأخرين الأخيار، جـ ٦، وزارة التراث القومي والثقافة.

- ناصر بن منصور الفارسي - نزوى عبر الأيام (معالم وأعلام) ط١ - ١٤١٥هـ ١٩٩٤م - نادي نزوى - مطابع النهضة - سلطنة عمان.

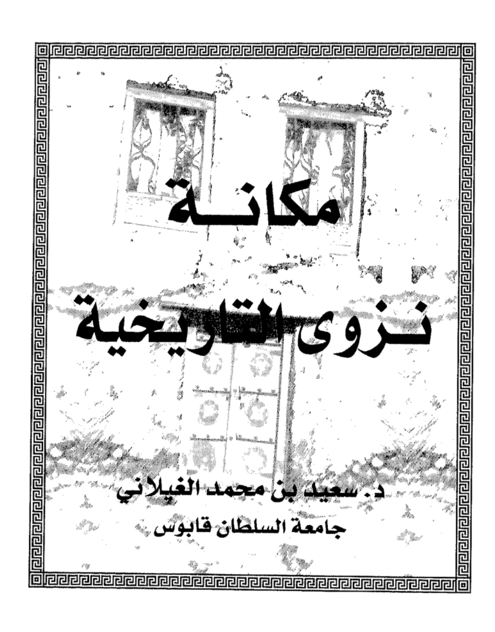
- الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩١٦م) نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر.

- هشام الصفدي وآخرون - الدليل الأثري والحضاري لمنطقة الخليج العربي - مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط١ ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م - الرياض - المملكة العربية السعودية.

- وزارة الإعلام - عمان في التاريخ - دار إميل للنشر المحدودة، لندن، بريطانيا - ١٩٩٥م.

- وزارة الأوقاف والشؤون الدينية - دليل المساجد في سلطنة عمان، ط١ .

- يعقوب البوسعيدي - مساجد الفروض في حارة البلاد بمنح، ١٩٩٧، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة السلطان قابوس.



مكانة نزوى التاريخية

د. سعيد بن محمد الغيلاني
جامعة السلطان قابوس

تقديم :

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

فقد كلفتني وزارة التراث القومي والثقافة، ممثلة في المنتدى الأدبي المشاركة بندوة مكانة نزوى عبر التاريخ، والموضوع الذي بصدد بحثه يتعلق بمكانة نزوى كعاصمة تاريخية في عُمان.

وقبل الخوض في غمار هذا الموضوع، لابد لنا من أن نسلط الضوء على هذه المدينة العريقة، الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ.

ذكر ياقوت الحموى المتوفى ٦٢٦هـ: «نزوة بالفتح ثم السكون، وفتح الواو، والنزو، والمرة الواحدة نزوة». ويذكر أنها «جبل بعُمان وليس بالساحل عنده عدة قرى كبار يسمى مجموعها بهذا الاسم».

فيما نجد في رواية أخرى أنها سميت بهذا الاسم «نسبة إلي عين ماء كانت في موقع الجامع»، وقيل أيضا: «إن اسمها مشتق من التنزه، وذلك لكثرة بساتينها، فهي مدينة تكثر فيها الخمائل، والمياه. وقد يكون اسمها مرتبطاً بمورد ماء كان تحت قلعتها، وهذا أقرب من غيره، وذلك لأن (النَّزّ) في اللغة بفتح النون وكسرها يعني ما يتحلب من الأرض من الماء».

وتعتبر مدينة نزوى من مدن عُمان القديمة. وهى مدينة التاريخ والعلم والتراث، وقلعة الأصالة والمجد الأمثل الشامخ، وكما عبَّر عن ذلك مولانا صاحب الجلالة في خطابه التاريخي بمدينة نزوى العامرة بمناسبة العيد الوطني الرابع والعشرين المجيد سنة ١٩٩٤، **«كان لها دور بارز في مسيرة الحضارة العمانية لايزال يتألق نوراً وضياءً، ورفعة وجلالا، لقد كانت نزوى معقل القادة والعظماء، وموئل العلماء والفقهاء، ومرتاد الشعر والأدباء فأعظم بها من مدينة لها فى قلوب العُمانيين منزلة عالية».**

وأرى أن هذا أعظم ما قيل فى حق هذه المدينة التي لها في قلوبنا جميعاً محبة وتقدير كبيران.

يذكر ناصر بن منصور الفارسي «أن نزوى جاءت نشأتها على يد عرمان بن عمرو الأزوى، وذلك قبل ما يقرب من ستة آلاف وخمسمائة سنة، ولما جاء الفرس بعد ذلك لم يغيروا أسماء البلدان، ولكنهم أطلقوا بعض الاسماء الفارسية، وهناك الكثير من الأمثلة على ذلك في نزوى مثل أسم بستان خوارزم، وبستان ميرزه، وكرادسيين، ووادي كلبوه، الذي حرف اسمه الفارسي حيث كان يعرف اصلاً بوادي جلبوه، أى وادي الزهور باللغة الفارسية.

لا تسعفنا المصادر والمراجع أيضاً عندما نتعرض للخوض فى تاريخ هذه المدينة العريقة قبل الإسلام، وهذا مما يجد فيه الباحث صعوبة كبيرة لا يستطيع حيال ذلك إلا أن يتحلى بالصبر، وعسى أن تظهر لنا بعض الدراسات الحديثة تسد بعض الفقرات من تاريخ هذه المدينة العريقة، فلا نجد من ذكر لها في القرن الأول للهجرة، إلا عند التعرض لحياة الإمام جابر بن زيد، حيث تحدد المصادر التاريخية مولده بين (١٨ – ٢٢) من القرن الأول الهجري في بلدة فرق من أعمال نزوى. وهو من قبيلة اليحمد إحدى قبائل الأزد ويشير أحمد ابن سعود السيابي على أن والده كان صحابياً «فقد ساق أبو بكر الحصاص فى كتابه احكام القرآن حديثاً من رواية جابر بن زيد عن أبيه عن رسول الله (ﷺ) - الإمام جابر بن زيد - ص١٣٨ ندوة من اعلامنا».

هاجر جابر بن زيد من مواطنه عُمان إلى البصرة، وهناك كما يشير الدكتور عوض خليفات أخذ يتزود بالعلم والمعرفة، وخاصة فيما يتعلق منها بعلوم التراث والحديث وما يتصل بهما، ولقد تتلمذ على أيدي كبار الصحابة والتابعين، وأخذ عنهم الحديث والتفسير وعلوم اللغة والأدب، ويروى عنه أنه كان يقول «أدركت سبعين بدرياً فحويت ماعندهم إلا البحر» عبد الله بن عباس.

من المعلوم تاريخياً إن الإمامة الأولى على عهد الإمام الجلندى بن مسعود قامت في عمان سنة ١٣٢هـ، حيث بويع بالإمامة كإمام ظهور، وكان للتنظيمات والمجالس السرية التي اتخذها الإمام أبو عبيدة دور كبير في ذلك، وكان لحملة العلم إلي عُمان الفضل في إقامة هذه الإمامة وهم بشير بن المنذر النزواني ومنير بن النير الجعلاني، وموسى بن أبي جابر الأزكوي، ومحبوب بن الرحيل ومحمد بن المعلى الكندي.

وكان من سوء طالع الإمامة أن تصادف قيام الدولة العباسية وأحس العباسيون خطر الإباضية في عُمان، لذا سعوا للقضاء عليها، وتم لهم ذلك بواسطة الجيش الذي أرسلوه إلى عُمان بقيادة خازم بن خزيمة، وتم لهم ذلك سنة ١٣٤هـ وأظهر العُمانيون شجاعة كبيرة، ولم يستطع خازم من هزيمتهم إلا بالحيلة. ولست هنا بصدد ذكر ذلك.

وفي هذه الفترة تقاسمت عُمان ـ كما يشير الدكتور نايف عيد ـ ثلاث قوى، تتمثل في الوجود العباسي الذي اقتصر على المناطق الساحلية من عُمان، وأنصار الإمامة الذين اعتصموا بالجهات الداخلية في عُمان بعيداً عن بطش العباسيين وعمالهم، اضافة إلى قوة بعض القبائل العُمانية..

لم يستمر الحال كما هو عليه، حيث لم يسلم العُمانيون بهذه الهزيمة التي أعطتهم دافعاً أكبر مما كانوا عليه، وبدأوا يعدون القوة لإعادة تنظيم أمورهم من جديد بشكل أكثر دقة وتنظيماً عما كانت عليه، وبنشاط زائد، وذلك من أجل إعادة ظهورهم مرة ثانية على مسرح الأحداث. **وكان للجهود والاتصال الكبير بين عُمان والبصرة التي كان يوجد بها القيادة** المركزية إذا جاز التعبير ـ وكل الجهود كانت تبذل من هناك. وكان يلي أمر الدعوة في هذه الفترة الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وتولى الأمر بعده الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي الذي كان له الدور الكبير في توجيه الأحداث السياسية في عُمان، وتشير المصادر إلى ازدياد أواصر الاتصال بين البصرة وعُمان في تلك الفترة، ولقد أثمرت تلك الجهود إعلان الإمامة للمرة الثانية في عُمان.. وكان ذلك تحديداً في شهر رمضان سنة ١٧٧هـ بعد معركة المجازة.

ويذكر مهدي طالب هاشم في كتابه (الحركة الإباضية في المشرق العربي) أن الإباضية اشتركوا في موقعة المجازة بقيادة محمد بن المعلى الكندي، مع غسان بن عبد الملك؟ وعللوا إجازة ذلك في هذه الفتوى «جواز الخروج مع الظالم على من هو أظلم منه» كما ذكر السالمي في تحفته، لذا نفهم مما سبق أنهم تعاونوا مع غسان ضد بني راشد بن النضر الجلندي.

انتهز العمانيون فرصة ذلك الانتصار، واصبحت الظروف مناسبة لإعلان الإمامة الثانية بعُمان ويشير الأزكوي إلى ذلك فيقول «ثم إن الله منّ على أهل عُمان بالألفة على الحق وأزالوا

ملك الجبابرة» وكان من أهم النتائج بعد ذلك تعيين العمال على ولايات عُمان وقام هؤلاء الولاة بجمع الصدقات الشرعية من أهلها، وتوزيعها على مستحقيها من المسلمين.

ويذكر السالمي أنهم رجعوا إلى منطقة منح بعد وقعة المجازة، وأرسلوا إلى مدينة إزكي رسلهم تدعو الفقيه الاباضي موسى بن أبي جابر الأزكوي للحضور لتقرير مستقبل الإمامة الجديدة، ويذكر أن موسى بن أبي جابر كان مريضا في تلك الفترة. وتم ذلك الإجتماع في منح، من هنا كما نلاحظ بدء دور نزوى كعاصمة سياسية يبرز من بعده هذه الأحداث. وكان ممن حضر هذا الاجتماع ايضا من حملة العلم بشير بن المنذر ومحمد بن المعلى وهما من تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، والذين كانوا قد تلقوا دروسهم في الفقه والسياسة لديه في مدرسة البصرة، التي كانت مركز إشعاع الفكر الإباضي آنذاك.

ولست هنا بصدد البحث عن تاريخ الإباضية، ولكن كل همي في هذه الدراسة هو إبراز مكانة نزوى التاريخية التي اصبحت عاصمة لعُمان في هذه الفترة، حيث أن العاصمة السياسية لعُمان كانت مدينة صحار، وقبلها مدينة دباء، لكن من هذه الفترة أصبحت مدينة نزوى هي المركز الإدارى الأول في عُمان.

من خلال ذلك الإجتماع اتفق أهل الحل والعقد من فقهاء الإباضية على أن يتولى أمرهم الإمام محمد بن عبد الله بن أبي عفان، وهو كما يذكر السالمى من قبيلة اليحمد العُمانية، لكنه نشأ في العراق، ومثلما يذكر مهدي طالب هاشم أنه يبدو أن محمد بن أبي عفان، كان قد اشترك في قتال راشد بن النضر، ويشير إلى أنه كان أحد القادة الذين أداروا هذه المعركة، وتم اعلان الإمامة كما يذكر السالمي في الأول من شوال سنة ١٧٧هـ.

وكما نلاحظ مما سبق ذكره من خلال اجتماع أهل الحل والعقد الذين كانوا حريصين على وجود شيخهم ورئيسهم موسى بن أبي جابر حاضراً معهم في هذا الإجتماع الهام، لم يطمح في الوصول إلى الإمامة، بل انه هو الذي قام بتوزيع المناصب على نحو ما استقرت عليه مشورتهم، وذلك تجنباً للطموح الشخصي، حيث كان كل همه في نجاح ما كانوا يصبون له جميعاً وهو اعلان الإمامة مرة ثانية بعُمان، وقد عبر عن هذا الرأي الشيخ أبو المنذر بشير بن المنذر فقال: «قد كنا نرجو أن نرى ما نحب والآن قد رأينا ما نكره» أشار إلى ذلك الأزكوي.

ويضيف السالمي ثم قال له «قد كنا رجوناك يا أبا علي أن تسير بهذه الدولة» ويفهم مما سبق أن الاتجاه السائد في تولي هذا الأمر كان ينصب علي موسى بن أبي جابر، ولكنه آثر المصلحة العامة وتخلى عن الاطماع الشخصية في حب تولي السلطة، وهذه هي من أهم الأمور التي كان الإباضية يحاربون من أجلها. واختلفوا فيها من مناصريهم سواء كانوا من الدولة الأموية أو العباسية الذين ابتدعوا مسألة توريث العهد للأقرباء.

نزوى: عاصمة الإمامة الثانية:

يأتي اختيار نزوى عاصمة ثالثة لعمان كما سبق أن ذكرت بعد كل من دباء(*) وصحار على التوالي، به الكثير من التوفيق، حيث أن نزوى - كما أشرنا - قبل اتخاذها عاصمة لعمان، كانت مدينة مشهورة، ولعبت دوراً هاماً في تاريخ عمان ووقعت بها العديد من الأحداث الهامة، **خاصة في تلك الفترة ما بين الإمامة الأولى والثانية، ويذكر أن غسان بن سعد الهناني** تمكن من نهب نزوى عندما هزم بني نافع وبني هميم سنة ١٤٥هـ وقتل الكثير من أهلها في تلك الفترة. وهذه الهزيمة أدت إلى تدخل قبيلة الحرث الذين تحركوا من إبرا ومعهم رجل من بني بكر اسمه زياد بن سعيد البكري، الذين تمكنوا في النهاية من قتل غسان بعد أن قدموا على هدم المنازل وقطع النخل.

أيضا يذكر أن راشد بن النضر قبل هزيمته في موقعة المجازة نفهم أنه كان يقيم في نزوى، ولما هزم ترك مدينة نزوى، ونفهم مما سبق أن نزوى كانت قد برزت في تلك الفترة كعاصمة لعمان، حيث كان يقيم بها راشد بن النضر.

مما سبق هدفت إلى إيضاح أهمية مدينة نزوى قبل اتخاذها عاصمة لعمان، ولم أهدف إلى التعرض للخلافات التي حدثت بين أهل عُمان، ولا يفرحنا التعرض لتلك الحروب فيما بين الأهل، ولكن ذلك الاختلاف حصل بعد المحبة والوئام، وكان لإعلان الإمامة دور كبير في لم شمل أهل عُمان مرة ثانية تحت لوائها.. ونسيان أحداث الماضي.

أما السبب الذي اختيرت من أجله مدينة نزوى عاصمة سياسية لعمان.

يذكر لنا الشيخ سالم بن حمود السيابي في كتابه العنوان عن تاريخ عُمان، كان هدفاً

(*) اعتمد الباحث على ما ورد في المجلد الثاني من كتاب «ياقوت الحموي ص٤٣٥ والتي يشير فيها المؤلف إلى أن دباء كانت قصبة عمان.

استراتيجيا عسكرياً، فالعاصمة السابقة صحار بالرغم من أنها تقع في مكان متميز وفريد، لكن هذا الموقع سهل وصول الغزاة والطامعين إليها لذا بقي عرشها مهددا دائماً، وكان أهلها يعيشون في قلق من تعرض الطامعين لها ويعني هذا تهديدا لمقر الزعامة السياسية لعمان، سواء من البر أو البحر.

نتيجة لذلك كان تفكيرهم الصائب - كما أرى - في نقل مقر عاصمتهم إلى نزوى التي تقع في قلب عُمان وتبعد كثيراً عن البحر ويحميها الجبل الأخضر من جنوبها وهو بمثابة السور، إضافة إلى أنها تبعد عن حدود عُمان الغربية، والتي كانت دائماً الطريق الذي يقدم فيه غزاة عُمان الذين اعتادوا دائماً القدوم من الشمال الغربي، كما أشار إلى ذلك نفس المؤرخ في كتابه (عُمان عبر التاريخ).

لذا غدت نزوى بعد ذلك هي كرسي الإمامة في عُمان ومقر بيت الإمامة، وزادت اهميتها وعلت مكانتها بعد فترة الإمام محمد بن عبد الله بن أبي عفان، الذي خلفه الإمام الوارث بن كعب الخروصي سنة ١٧٩هـ، والذي بلغت نزوى في عهده مرحلة الذروة، وأطلق عليها بعد ذلك خاصة في فترة إمامة غسان بن عبد الله اليحمدي الذي تولى سنة ١٩٢هـ «بيضة الإسلام» حيث كان يقيم بها وكما يشير السالمي أن بيت الإمامة كان في العقر. وتعتبر العقر إحدى قرى مدينة نزوى العامرة. وسميت بهذا الإسم لإنها منطقة متحصنة بالجبال.

أما قبل هذه التسمية كانت تسمى تخت ملك العرب، وكما يشير نور الدين السالمي أن لهذه المدينة مدائح في كتاب سير العرب، وفي كتاب سير العجم تركها كما يشير خوفاً من الإطالة، وأقول ليته كتبها، حيث ستضيف لنا الكثير مما لا نعرفه عن هذه المدينة.

وتشير المصادر العُمانية أن شهرة هذه المدينة إزدادت منذ أن اصبحت عاصمة لعُمان وللعلم كانت في إمامة المهنا بن جيفر قد بلغت الذروة، حيث كان عنده بنزوى سبعمائة ناقة، وستمائة فرس تركب عند أول صارخ هذا غير باقي الخيل والركاب في سائر ممالكه،.

أما العلامة الصبحي يذكر أنه بلغني أنه كان عند المهنا بن جيفر تسعة آلاف مطية، أو ثمانية آلاف، وكانت هذه لبيت المال، أما عساكره بنزوى فقط عشرة آلاف مقاتل.

وأقول مما لا شك فيه كون المدينة اصبحت العاصمة فهي بلا شك ستكون عوامل الجذب إليها كثيرة حتى إنه يقال كان عدد السكان بسعال وهي محلة من نزوى أربعة عشر ألفاً..

فمن خلال هذا نستطيع القول بأن نزوى كانت في تلك الفترة مكتظة بالسكان وهذا حال العواصم دائماً.

لم تستمر الأمور كما عليه ومثلما جنت نزوى - كونها عاصمة - الكثير من الشهرة والمكانة العالية. فهي تعرضت أيضا للخراب وأبشع ما تعرضت له كان على يد الوالي العباسي محمد بن نور، ومصادرنا التاريخية تطلق عليه اسم محمد بن بور، وأقول من الأفضل أن نطلق عليه الاسم الصحيح وهو ابن نور..

حدث في تلك الفترة إنقسام بين أهل عُمان في فترة إمامة عزان بن تميم الخروصي سنة ٢٧٧هـ وهي الفترة التي بدأ بها إمامته بعد عزل راشد بن النضر، ولعل أهم الاحداث - كما أسلفت - هو ذلك الإنقسام الذي حل بين العُمانيين أنفسهم والذي أدى بالتالي إلى أن يستعين كل من محمد بن القاسم وبشير بن المنذر وهما من النزارية بمحمد بن نور والي البحرين من قبل الخليفة العباسي المعتضد بالله[*] (٢٧٩ - ٢٨٩هـ) واسمه أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم العباسي.

لنرجع للحديث عن محمد بن نور الذي طلب من هذا الوفد أن يذهب إلى الخليفة العباسي السابق الذكر في بغداد، يخبرانه بالأمر ويطلبان منه المساعدة والنصرة، وفي جملة القول أمر الخليفة واليه وأعطاه العهد على عُمان. لذا استعد محمد بن نور وجمع عساكره والتي كان معظمهما من نزار، واشترك معهم ناس من طي كانوا يسكنون في بلاد الشام. وقيل إن جيشه بلغ خمسة وعشرين ألفاً، والفرسان ثلاثة آلاف وخمسمائة ولديهم الكثير من العتاد والعدة.

وصل ابن نور إلى جلفار وافتتحها ووصل بعد ذلك إلى توام سنة ٢٨٠هـ ويذكر أن الناس تخاذلت عن الإمام عزان.. ووصل محمد بن نور إلى نزوى التي سلمت له، لإن الإمام كان قد تحرك إلى سمد الشان ولحق به الوالي العباسي هناك ودارت معركة وأبلي فيها الإمام ومن كان معه بلاءً حسناً ولكن الكثرة تغلب الشجاعة كما هو معروف، وحلت الهزيمة على أهل عُمان وقتل عزان بن تميم.

(*) الخضري الشيخ محمد بك، الدولة العباسية، ص٢٠٣، دار الفكر اللبناني، ط١، ١٩٩٤م.
الطبري، م٥ ص٦٠٥، ط٢، ١٩٨٨ بيروت.

ومهما يكن من أمر نرجع للحديث عن نزوى حيث يرجع إليها الوالي العباسي وارتكب بها وبأهلها أبشع الجرائم، ودفن الأنهار، واحرق الكتب، ويذكر أنه اقام ببهلا، وجعل على نزوى عاملاً من قبله هو أحمد بن هلال. وشهدت هذه الفترة من الزمن تدهور الحال بعُمان مدة اربعين سنة من بعد وقعة ابن نور.

وشهدت عمان بعد ذلك العديد من الأحداث وليس هذا موضوع هذه الدراسة، التي نركز فيها على مكانة نزوى التاريخية.

بالطبع ظلت هذه المدينة تلعب دوراً هاماً في تاريخ عُمان، وعندما آل الأمر إلى بني نبهان في عُمان (٥٤٩ - ١٠٣٤هـ) أيضاً اتخذوها عاصمة لهم في تلك الفترة ونفهم ذلك عندما نتعرض للاحداث التي تمت في سنة ٦٧٥ هـ حيث يشير الدكتور عبد الله الحارثي خرجت قبيلة آل الريسي على سلطة ملوك بني نبهان في عهد الملك كهلان بن عمر بن نبهان، تناصرها قبيلة الحدان وذلك لضغينة بينهم وبين ملوك بني نبهان، حيث قصدوا عقر نزوى مقر ملك بني نبهان في تلك الفترة الذي لما علم بأمرهم خرج بمن معه من العسكر وأهل العقر ليصدوهم عن دخول نزوى.

وعندما علم المهاجمون بخروجهم، سلكوا طريقاً آخر ليتجنبوا الاشتباك معهم ثم ليدخلوا نزوى وهي خالية من المدافعين عنها، فتم لهم ما أرادوا، ودخلوا دون أن يتصدى لهم أحد، واقتحموا سوقها ونهبوا ما بها ثم أضرموا فيها النيران التي امتدت كما يشير الحارثي إلى مخازن جامعها، فاحترقت بمحتوياتها، من ضمنها العديد من الكتب، وبعد ذلك نهبوا المنازل، وسلبوا الأموال وسبوا النساء، واضيف هذا على ما ذكرته عن الأهوال التي مرت بها هذه المدينة كونها عاصمة أيضاً.

ونجد في احداث ٨٣٩هـ عندما عقدت الإمامة لمالك بن الحوارى كان ذلك بمدينة نزوى وأرسل منها حملة إلى مدينة الرستاق لاخضاعها وكانت بقيادة عبد الله الملقب بالهول ولم تستمر نزوى عاصمة وحيدة لبني نبهان، حيث نجد أنهم في بعض الفترات ينقلون مقر عاصمتهم إلى مدينة بهلاء كما حدث ذلك في فترة سليمان بن مظفر بن سلطان بن محسن الذي جعل من مدينة بهلا مركزاً لحكمه ومما يذكر له أنه وجد البلاد فيه تلك الفترة.

وعندما انتقل الأمر إلى اليعاربة بعد أن اجتمعت كلمة أهل الحل والعقد إلى الإمام ناصر

بن مرشد سنة ١٠٣٤هـ كما جاء في سيرة الإمام ناصر بن مرشد لابن قيصر استطاع أن يوحد البلاد، ويهمنا هنا أن نشير إلى نزوى التي سار إليها بجيشه بعد أن قدمت إليه رسل من أهل نزوى كما يشير السالمي يدعونه إلى ملكها فأجابهم إلى ذلك، فتلقاه أهلها بالكرامة ودخلها على حال السلامة ونزل منها بالعقر، وأقام فيها العدل والإنصاف. ويذكر أنه أمر ببناء حصن في عقر نزوى أو كان قديماً قد بناه الإمام الصلت بن مالك، فأتم بنيانه وفي العهد يبرق نجم هذه المدينة مرة ثانية ويعلو شأنها كما كانت وأكثر وخاصة في عهد سلطان بن سيف بن مالك ابن عم الإمام ناصر بن مرشد الذي بنى قلعة نزوى والتى تعرف بالشهباء أو مهما قلنا في حقها لا نستطيع أن نعبر عنه وقيل في بنائها استمر اثنتى عشر سنة، وأنفق في بنائها الكثير من الأموال.

ثم إنتقل الأمر بعد ذلك إلى الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف، الذي نقل العاصمة في عهده من نزوى إلى جبرين وعمرها وبنى بها حصناً وأقام فيه ولا يزال هذا الحصن شاهداً على تلك، ويعد الآن تحفة معمارية، لا يجد من يزوره إلا الإجلال والإكبار لهذا العمل الذي يعد مفخرة من مفاخر العمران في هذه البلاد.

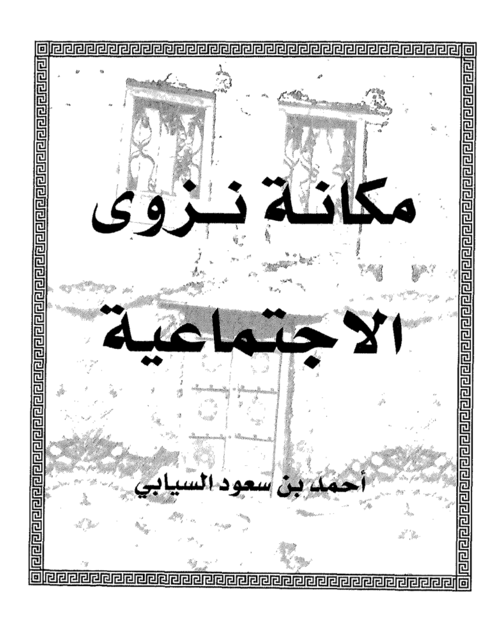
وبعد ذلك انتقل مقر الحكم من جبرين إلى الرستاق وكان ذلك في عهد الإمام سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف الذين بنى قلعة الحزم، وبذلك أُصبحت الرستاق العاصمة الرابعة لعُمان.

وفي الختام ارجو أن أكون وفقت في هذه الدراسة، فإن كان ذلك هذا ما نشدته وإن كان هناك تقصير فيها فالكمال لله وحده.

أشكر وزارة التراث القومي على هذه الجهود الجبارة التي تبذلها في تسليط هذه الاضواء على تاريخ عُمان، ومدن عُمان التي بلا شك لعبت دوراً حضارياً كبيراً في تاريخ الإسلام، وساهمت مساهمات واضحة في حضارة الإسلام واتمنى أن تستمر مثل هذه الندوات الخاصة بالمدن العُمانية، وإن كانت لي من أمنية أتمنى أن يتذكر القائمون على المنتدى الأدبى عاصمة عُمان الأولى مدينة دباء(*) وتسلط عليها الأضواء شأنها شأن بقية مدن عُمان الكبرى.

(*) المرجع السابق، ياقوت الحموي.

أقام المنتدى الأدبي ندوة دارت فعاليتها حول محافظة مسندم، وسلطت فيها الأضواء على تاريخ المحافظة بما فيها دباء ، وذلك في الفترة من ١٩ - ٢٠ من شهر رجب ١٤٢١هـ ، الموافق ١٦ - ١٧ أكتوبر سنة ٢٠٠٠م.


مكانة نزوى
الاجتماعية
أحمد بن سعود السيابي

الموقـــع

تحتل مدينة «نزوى» موقعا متميزا في الخريطة الجغرافية للسلطنة، فهي تقع في وسط منطقة الجوف من عُمان، ومنطقة الجوف هي المنطقة الممتدة من بلدان العوامر شرقاً وحتى جبال الكور غرباً، فهي بهذا تقع في جوف الجوف، ومعنى الجوف هو المطمئن من الأرض، فقد جاء في القاموس «الجوف المطمئن من الأرض، ومنك بطنك وموضع بناحية عُمان»(١)

وتقع في السفح الجنوبي للجبل الأخضر العتيد فهو حارسها وحاميها وخط الدفاع من الجهة الشمالية، يقول الشيخ سالم بن حمود السيابي «وتقع نزوى في سفح الجبل الأخضر من الجنوب بين جبال هي سورها، في فضاء صالح؛ غير مكتظة بالجبال من كل جهة، ذات أنهار وبساتين ونخل باسقة في جو مناسب»(٢)

ويقول عنها ياقوت الحموي «نزوة: بالفتح ثم السكون وفتح الواو، والنزو الوثب، والمرة الواحدة نزوة: جبل بعُمان وليس بالساحل عنده عدة قرى كبار، يسمى مجموعها بهذا الاسم»(٣)

وبطبيعة الحال فإن تعريف الحموي صاحب معجم البلدان لنزوى ووصفه لها كان عن بعد، فهو لم يزرها، ولم يتعرف على وضعها وطبيعتها عن كثب، وقد تعددت الأقوال حول سبب تسميتها، فمن قائل «انها سميت باسم عين ماء تقع شمالي القلعة كانت تسيل في وادي كلبوه».

كما ان هناك قولا بأنها «سميت باسم جبل يقع في الجهة الغربية منها.

ومن قائل بأنها «سميت نزوى لانزوائها وانكماشها».(٤)

ولعل أقرب الأقوال هو القول القائل بأنها سميت باسم الجبل الذي يقع في الجهة الغربية منها إذا ما صحت تسمية ذلك الجبل بهذا الاسم، فقد جاء في القاموس المحيط «النزوة» جبل في عُمان.(٥)

(١) القاموس المحيط، ج١، ص٥٥٩. ترتيب الطاهر الزاوي.

(٢) العنوان، ص٦٤

(٣) معجم البلدان، ج٥ ص٢٨١

(٤) ناصر الفارسي، نزوى معالم واعلام، ص١٧

(٥) القاموس المحيط، ترتيب الزاوي، ج٤، ص٣٥٩

وأحيانا تسمى بعض المدن بأسماء جبالها.

أما تسميتها باسم عين الماء التي تصب في وادي كلبوه، فتحتاج إلى إعادة نظر، وذلك لأن وادى كلبوه ليس مجراه الحالي ضاربا في القدم، وإنما هو من فعل بعض ملوك النباهنة الذي حول مجراه السابق من غربي «نزوى» إلى مجراه الحالي عندما احدث فلجاً غربي «نزوى».

يقول العلامة أبو مسلم البهلاني الرواحي ـ رحمه الله ـ «وحسبك من نزوى كيف تتخللها الأودية كوادي الأبيض ووادي العين المعروف الآن بوادي كلبوه، وقد كان هذا الوادي يمر غربي نزوى فأحاله عن مجراه بعض ملوك النباهنة، لكونه أحدث فلجا غربي نزوى فخشي إضراره به وصار مضرا بالحوائر التي هي شمالي القلعة ولو أريد الآن ردّه إلى مجراه الأول لم يكن ممكنا»[٦]

بين أن هنالك إشكالا حول هذا القول يثير وصف المقدسي لنزوى عندما يصفها قائلاً «في حد الجبال، كبيرة، بنيانهم طين والجامع وسط السوق إذا غلب الوادي في الشتاء دخله، وشربهم من انهار وآبار»[٧] والمقدسي عاش في القرن الرابع الهجري أى قبل ظهور النباهنة حكاما على عُمان. وقد ذكر في وصفه لها وجود الجامع وبأنه وسط السوق، وأن الوادي عندما يكون غزيرا يدخله وهذا الوصف ينطبق على وادى كلبوه والجامع والسوق الحاليين اللهم إلا إذا كان المقصود بالجامع هو جامع سمد نزوى، وأنه كانت هنالك سوق حوله، وهو أمر بعيد على ما يبدو.

كما ان ذكر اسم «نزوى» بجانب ذكر اسمي سمد وسعال، ينحصر الاسم على منطقة العقر وما حاذاها من الجهة الغربية لوادي كلبوه، وهذا التحديد كثيرا ما يرد في الكتب الفقهية العُمانية. يقول أبو مسلم البهلاني «وعليه فلو خرج من نزوى مسافرا فدخل سمد لم يقصر إلا من حيث يقصر أهل سمد، وكذا سعال وسمد»[٨].

ونقل عن أبى سعيد الكدمى، رضي الله عنه «أن نزوى وسعال وسمد في معنى الصلاة للمسافر في القصر والتمام أنها قرية واحدة» [٩] فهذه العبارات وأمثالها توحي بأن اسم

(٦) نثار الجوهر، ج٢، ص٣٧٩

(٧) المقدسي

(٨) النثار، ج٢، ص٣٧٨

(٩) نفس المصدر، ص٣٧٧

«نزوى» يضيق ويتسع حسب الحال والقرينة والعرف.

ونظراً لما تتمتع به «نزوى» من جمال الطبيعة وحسن المنظر والبهجة والنضارة فقد وصفها الكثيرون بذلك فهي عند الرحالة ابن بطوطة، قاعدة بلاد عُمان تحيط بها البساتين وتحف بها الأنهار.

حيث قال «ثم وصلنا عُمان، وهي خصيبة ذات أنهار وأشجار وبساتين وحدائق، ونخل وفاكهة كثيرة مختلفة الأجناس، ووصلنا إلى قاعدة هذه البلاد وهي مدينة «نزوى» مدينة في سفح جبل تحف بها البساتين والأنهار»(١٠)

كما وصفها الشيخ سالم بن حمود السيابي ـ رحمه الله ـ بأنها «بين جبال وتعتبر تلك الجبال كالسور المانع لها، غير أنها في فضاء صالح لم تضغط عليها الجبال حيث أُنها في منبسط من الأرض لذلك فهي مدينة تحتوي على بساتين تتخللها الأنهار أي الأفلاج الكبيرة وبها النخل باسقات كما أن مناخها معتدل مناسب فهو يقول: «وتقع نزوى في سفح الجبل الأخضر من الجنوب بين جبال هي سورها، في فضاء صالح غيرمكتظة بالجبال من كل جهة، ذات أنهار وبساتين ونخل باسقة في جو مناسب»(١١) ولهذا التميز الجغرافي والمكاني والطبيعة الجميلة كانت نزوى مهيأة لوجود آليات وعوامل المكانة الاجتماعية التي جعلت منها سيدة البقاع ومقر العدالة ومأزر العلماء والفضلاء والأخيار وقاعدة مملكة العروبة والإسلام وبعد أن تعرفنا على موقعها وأهميته فلنتعرف على مكانتها الاجتماعية.

ـ المكانة الاجتماعية لنزوى :

نالت «نزوى» مكانة اجتماعية سامقة ومنزلة عالية، وفي نظري أن نزوى اكتسبت تلك المكانة الراقية من عاملين أثنين هما:

– **الأول: باعتبارها مقرا للحكم.**

– **الثاني: وجود العديد من العلماء بها.**

ولنتحدث عن هذين العاملين:

---

(١٠) تحفة النظار، تحقيق طلال حرب، ص٢٨٤

(١١) العنوان، ص٦٤

أولاً: مقر الحكم:

صارت نزوى مقرا للحكم وعاصمة للمملكة العُمانية من بداية عهد الإمامة الثانية تلكم الإمامة التي تبدأ من عام ١٧٧هـ في عهد الإمام محمد بن أبى عفان اليحمدي وتنتهي في عام ٢٨٠هـ بمقتل الإمام عزان بن تميم الخروصي وهزيمة العُمانيين على أيدي الجيش العباسي بقيادة محمد بن بور وقبل هذه الإمامة، أي الإمامة الثانية كانت هناك الإمامة الأولى التي تسنم عرشها الإمام الجلندى بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ الذي كان أول إمام بعُمان، بين عامي (١٣٢هـ - ١٣٤هـ) والتي انتهت بمقتل الإمام الجلندى ومعظم جيشه على يد القائد العباسي خازم بن خزيمة وجيشه العباسي.

على أنه كانت العاصمة للإمامة الأولى هي صحار، خزانة الشرق وعروس الدنيا، وقبل ذلك كانت العاصمة متنقلة بين صحار التي هي على البحر وتوام (البريمي) التي هي مما يلي الجبل.

وعندما تهيأت الظروف بتشكيل الدولة وإقامتها في إطارها الإمامي رأى أولئكم القادة الميامين والسادة المكرمون نقل العاصمة العُمانية من صحار إلى نزوى، وفعلاً عند ظهور دولة الإمامة الثانية تم نقل العاصمة واتخاذ نزوى عاصمة للدولة العُمانية.

إننا إزاء قرار خطير وعظيم في التاريخ السياسي، وفي المفهوم السياسي فلابد لنا من التعرف على الأسباب التي حدت بقادة تلك الدولة ودعائم قيامها وسدنة نظامها السياسي، أو على الأقل محاولة التعرف على تلك الأسباب التي دعتهم إلى اتخاذ ذلك القرار الخطير.

هل كان نتيجة تقويم للهزيمة التي حلت بالإمامة الأولى التي كانت سببا في القضاء عليها، وفي مقتل الإمام الجلندى بن مسعود، ومعظم جيشه واصحابه؟.

أم كان نتيجة تحليل للمعركة التي كانت فيها الهزيمة المذكورة والتي دارت في جلفار (رأس الخيمة) باعتبار أن هذا المكان غير بعيد عن العاصمة صحار؟.

أم أن ذلكم القرار، كان بناء على أن الأشخاص الذين قامت عليهم تلك الدولة هم من منطقة الجوف وما جاورها من عُمان؟.

أم أنه تم بناء على مسح جغرافي دقيق؟ ووجدت نزوى بأنها المكان المناسب كعاصمة للدولة العُمانية، نظرا لوجود عوامل طبيعية تجعل من نزوى مكاناً مهيأً وآمناً.

إنه لابد من محاولة التعرف على الإجابة حول هذه التساؤلات عن الأسباب، على أنه لا يمنع من أن تكون هذه الأسباب كلها مجتمعة أدت إلى نقل العاصمة وان كان الشيخ سالم ابن حمود السيابي - رحمه الله - يعلل نقل العاصمة من صحار إلى نزورى بأنه كان نتيجة اشتداد الغارات الأجنبية على صحار بحيث صار عرش الزعامة في صحار مهددا دائماً، وكون نزوى بعيدة عن ذلك فهي مأمونة من غارات الأعداء لكونها واقعة في قلب غُمان، حيث يقول «وذلك أنه لما اشتدت الغارات الأجنبية على مركز الزعامة العُمانية إمامة كانت أو سلطنة، وتوالت الغزوات بتوالي الغزاة، وبقي عرش الزعامة في صحار مهددا دائماً في قلق جعلها – أي نزوى – العُمانيون عرش مملكتهم ومقر سلطانهم، ومأمن إمامتهم، ومنتدح مهماتهم» إلى أن قال: «وكانت نزوى مأمونة من غارات الأعداء إذ هي في قلب عُمان الداخلية، والحال لا طيارات ولا سيارات ونحوها، فإذا نزل الغازى لعُمان، وارتفع خبره إلى نزوى، قامت عليه عُمان بعدها وعديدها وسدت الثغور في وجهه وطاردته حتى فل حده، وضعف جنده، وقل عدده، فيقنع من الغنيمة بالإياب، ويبقى عرش الإمامة ثابتاً في مأمنه»(١٣)

على كل حال، فقد تم نقل العاصمة من صحار إلى نزوى منذ بداية عهد دولة الإمامة الثانية (سنة ١٧٧هـ) وهكذا أصبحت نزوى عاصمة المملكة العُمانية لوقت طويل في تاريخ عُمان، وقويت فيها دولة الإسلام، وارتفعت رايته عالية شامخة خفاقة تحمل معاني العدل والحق والحرية والمساواة، وصارت نزوى قاعدة هذه المعاني الإسلامية الإنسانية النبيلة وسيدة مناطق النفوذ العُماني العادل المستقيم.

وفي عصر تلك الدولة - أي الإمامة الثانية - وبالتحديد في عهد الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي (١٩٢هـ - ٢٠٧هـ) قال الشيخ السالمي - رضي الله عنه - «وفي زمانه - أى الإمام غسان - سميت نزوى بيضة الإسلام وكانت قبل ذلك تسمى تخت ملك العرب» (١٤) ومعنى بيضة الإسلام كما جاء في لسان العرب «جماعتهم، وبيضة القوم أصلهم والبيضة أصل القوم ومجتمعهم»، يقال «أتاهم العدو في بيضتهم» وقوله في الحديث: «ولا تسلط عليهم عدوا من غيرهم فيستبيح بيضتهم»، يريد جماعتهم وأصلهم أي مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم، أراد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعهم»(١٥) وهذه التسمية تدل

(١٣) العنوان، ص٦٤

(١٤) تحفة الأعيان، ج١ ص١٢٥

(١٥) لسان العرب، ج٧ ص١٣٢

على الأهمية الكبيرة التي أحرزتها نزوى حيث أصبحت حوزة الإسلام وساحته ومجتمعه واصله لما شهدته من قوة شوكة المسلمين وعلو قدر الإسلام، وسمو الحق، وارتفاع ألوية الجهاد الإسلامي، وظهور العدل، نظرا لما كانت عليه الدولة من عظمة وقوة، ففي تلك الفترة تم إنشاء أسطول بحري قوي لتأديب القراصنة ولحماية الثغور والسواحل، كما كان للدولة قوة بريّة كبيرة كفيلة لدحر أي عدوان خارجي أو داخلي.

وقد بلغت قوة الدولة في عهد الإمام المهنا بن جيفر (٢٢٦ – ٢٣٧هـ) مبلغاً جعلها يحسب لها ألف حساب وحساب مما جعلها في مصاف الدول الكبرى.

ولنستمع إلى الإمام السالمي وهو يقول: «واجتمعت له من القوة البرية والبحرية ماشاء الله، قيل انه اجتمع له في البحر ثلاثمائة مركب مهيأة لحرب العدو، وكان عنده بنزوى سبعمائة ناقة وستمائة فرس، تركب عند أول صارخ، فما ظنك بباقي الخيل والركاب في سائر ممالكه».

وقال العلامة الصبحي «بلغني أنه كان عند المهنا بن جيفر تسعة آلاف مطية أو ثمانية آلاف مطية قال ولعلها لبيت المال فيما يحكي عنه ثقات المسلمين، وكانت عساكره بنزوى عشرة آلاف مقاتل، وهؤلاء بنزوى خاصة، فكيف بعساكر غيرها»[١٦]

إن قوة ضاربة كهذه، جديرة بأن تجعل للدولة هيبة رهيبة وموقفا حاسما وقد أخذت تلك القوة تنمو وتزداد في عصر أولئكم الأئمة العظام منذ بداية عهد الإمام الوارث بن كعب (١٩٢هـ) وحتى آخر عهد الإمام الصلت بن مالك (٢٧٣هـ) مرورا بالأئمة غسان بن عبد الله وعبد الملك بن حميد والمهنا بن جيفر - رضي الله عنهم أجمعين -.

ونجد الإمام الصلت بن مالك سرعان ما أمر بتجهيز اسطول مكون من أكثر من مائة سفينة لاسترداد جزيرة سقطرى من نصارى الأحباش تلبية للواجب المقدس لاستغاثة الزهراء الشعرية في عام ٢٥٣هـ وهو أمر ينبىء عن استعداد قوي وسرعة تحرك تنبىء عن قوة حاضرة وجاهزة على اتم الاستعداد.

أما تسمية نزوى «تخت ملك العرب» فهي تسمية جديرة بالبحث والتحليل والتخت كما جاء في لسان العرب لابن منظور «التخت وعاء تصان فيه الثياب»[١٧]

(١٦) التحفة ج١، ص١٥٠

(١٧) لسان العرب، ج٢، ص١٨

ومعنى ذلك أن نزوى صارت وعاء ملك العرب، أي أنها حاوية للملك العربي وحامية له، كالوعاء الذي يحوي ويحمي ما بداخله، وهو تعبير فيه ما فيه من الدلالة على عروبة المملكة العُمانية ويشير ضمنيا إلى افتخار عربي بوجود دولة عربية إسلامية عُمانية عاصمتها نزوى، ولكن ما مدى صحة هذا التعبير وما مدى انطباقه على تلك المملكة ونزوى العاصمة؟.

فقبل أن نلقي نظرة على الأوضاع السياسية في تلك الفترة التاريخية، يجدر بنا أن نعرف أين هي عُمان آنذاك في الخريطة الجغرافية؟ لنستمع إلى ياقوت الحموي، وهو في القرن السابع الهجري. يحدد لنا عُمان جغرافياً حيث يقول «عُمان اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند في الإقليم الأول طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هجر تشتمل على بلدان كثيرة»[١٨] ولم يعد خافيا أن هجر المذكورة هي الإحساء حالياً في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية ومعنى ذلك أن عُمان كانت يومذاك تمتد من سقطرى جنوبا وإلى الإحساء شمالاً وغرباً.

على أن إلقاء نظرة سريعة على الأوضاع السياسية في تلك الفترة التاريخية - أي في عهد دولة الإمامة الثانية في عُمان - بقوتها العسكرية الآنفة الذكر، ومساحتها الجغرافية التي مر ذكرها قبل قليل نجد - فعلاً - أن عُمان كانت تعتبر من أقوى الممالك العربية إن لم تكن أقواها على الإطلاق فهي تهيمن على مساحة واسعة من شبه الجزيرة العربية ولا توجد قوة في شبه الجزيرة العربية تضاهيها آنذاك، لذلك كانت تنفرد بسلطان قوي ونفوذ فاعل ناهيكم بأن الخلافة العباسية كانت تخضع لنفوذ فارسي وآخر تركي وبعدهما إلى العديد من هيمنة وتسلط الشعوب الأعجمية، الأمر الذي أذهب عنها صفة العروبة وطغت على الحياة العامة فيها عادات تلك الشعوب وسلوكهم وأخلاقهم واصبح الملقب بالخليفة ليس في يده شيء من الأمر أو النهي وإنما كما يقول فيهم الشاعر:

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا　　　　وما من ذاك شيء في يديه

إذن كان إطلاق تسمية «تخت ملك العرب» على نزوى عاصمة المملكة العُمانية آنذاك يدل على أن التسمية كانت في محلها، والتعبير صحيح، ويحمل الدقة والموضوعية.

---

(١٨) معجم البلدان، ج٤، ص١٥٠

هذا وبعد أن تحدثنا عن العامل الأول من عوامل المكانة الاجتماعية لنزوى ننتقل بالحديث عن العامل الثاني.

ثانياً: وجود العلماء

من العوامل التي أكسبت نزوى مكانة اجتماعية بارزة هو ما شهدته من وجود عدد كبير من العلماء بها على مر التاريخ سواء كان أولئكم العلماء الذين ولدوا ونشأوا فيها أو الذين انتقلوا إليها، بحكم كونها عاصمة المملكة العُمانية، فمنذ عهد الإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد الأزدي ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ الذي ولد ونشأ في قرية فرق إحدى قرى نزوى وهي لا تزال تشهد وجود ذلك العدد من العلماء والفضلاء والأخيار في كل زمان وحين، ويظهر لي أن لحملة العلم إلى المشرق وهم مجموعة العلماء الذين تلقوا العلم في البصرة على يد الإمام المحدث الفقيه الربيع بن حبيب الفراهيدي ـ رضي الله عنه ـ دوراً مهما وبارزاً في القيام بنهضة علمية في عُمان ولا سيما في منطقة الداخل ـ نزوى وما حولها ـ هيأت لهم ومكنتهم من القيام بإعادة الإمامة وإقامة الدولة، وكان أولئكم العلماء وهم موسى بن أبي جابر الأزكوي وبشير بن المنذر النزوي ومنير بن النير الريامي الجعلاني ومحمد بن المعلى الكندي ومعهم محبوب بن الرحيل القرشي، قد عادوا إلى عمان بمعية إمامهم وشيخهم الربيع بن حبيب صاحب الجامع الصحيح في الحديث النبوى الشريف (مسند الإمام الربيع) وصاحب الفتاوى الفقهية الكثيرة المبثوثة في كتب المذهب.

وقد باشر الجميع التدريس والفتوى، غير أن الإمامين موسى بن أبى جابر وبشير بن المنذر فيما يظهر أكثرهم تلاميذاً بدليل وجود العديد من العلماء الذين ينقلون عنهما مما يوحي بصلة التتلمذ.

وعندما حالفهم التوفيق الإلهي بتكوين جيل من أهل العلم والصلاح، بذلك أرضية جيدة وهيأوا مناخاً مناسباً تمكنوا من إعادة الدولة وإقامة كيان سياسي مبارك.

ويرى بعض الباحثين أن إعادة الإمامة الثانية كانت من تخطيط الإمام الربيع بن حبيب[١٩] ولكنه توفي قبل التمكن من ذلك، وواصل تلاميذه المعروفون «بحملة العلم إلى المشرق» العمل على ذلك من بعده وعلى رأسهم وفي مقدمتهم شيخ المسلمين موسى بن أبي

(١٩) ولكنسون، بنو الجلندى في عُمان، ص٢٦

جابر، الذي كان يدير الأمور ويدبرها بأمر الله، وهو ملقى على سريره ومشدود على حاجبيه بعمامته نتيجة الكبر والعجز والمرض.

ونتيجة لتلك الجهود التي بذلها أولئكم العلماء فقد صار لعُمان رصيد ضخم من العلماء حازت نزوى على النصيب الأكبر منهم، حتى ضرب بذلك المثل، فشبه العلم بطائر باض بالمدينة وفرّخ بالبصرة، وطار إلى عُمان يقول الإمام السالمي في جوهره البديع[٢٠]

وبعضهم إلى عُمان انتقلا	وضربوا في الانتقال مثلا
بطائر فرّخ في العراق	ولعُمان طار بانطلاق

ويعنون بذلك بأنه باض العلم بالمدينة بوجود الرسول الكريم العظيم (ﷺ) وصحابته الكرام رضوان الله ـ عليهم وبأنه فرّخ بالبصرة لانتقال كثير من الصحابة إليها ووجود الكثير من أئمة التابعين وتابعي التابعين كإمام التابعين أبي الشعثاء جابر ابن زيد، وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والربيع بن حبيب وغيرهم ـ رحمهم الله ـ.

وبأنه طار إلى عُمان، بوجود العديد من العلماء العُمانيين وغيرهم الذين درسوا بالبصرة وجاءوا إلى عُمان، ومنهم البعثة العلمية التي عرف أفرادها بحملة العلم إلى عُمان وهم موسى بن أبي جابر وبشير بن المنذر ومنير بن النير، ومحمد بن المعلى، ومحبوب بن الرحيل، وبعدهم امتلأت الساحة العُمانية بالعلماء والأئمة والصالحين.

ويصف أبو الحسن البسيوي الإمام غسان بن عبد الله ويقول «وكان في أيامه جملة من العلماء»[٢١] ويقول الشيخ السالمي عن عهد الإمام المذكور «وكانت تلك الأيام صدر الدولة، وقوتها وجمة العلماء»[٢٢]

الأمر الذي يعطينا دلالة واضحة عن كثرة العلماء بعُمان، وبطبيعة الحال وضرورة الأمر فان غالبيتهم كانوا في ربوع نزوى وحوزتها الميمونة.

ويذكر كتاب «مسيرة الخير» نزوى بالقول «ولا تكتسب أهميتها من كونها عاصمة سياسية في عصر من عصور عُمان القديمة، وإنما كذلك باعتبارها المحفوظ كواحدة من

(٢٠) جوهر النظام، ج٤، باب العلم

(٢١) السالمي تحفة الأعيان، ج١، ص١٢٢

(٢٢) التحفة، ج١، ص١٢٤

مراكز تخريج الفقهاء في علوم الدين الحنيف على امتداد الرقعة الإسلامية الشاسعة»[٢٣]

ومما يعجب له المرء ويلفت انتباهه أن ظهور الموسوعات والمطولات الفقهية كان في نزوى، فهناك بيان الشرع في ثلاثة وسبعين مجلداً للشيخ محمد بن إبراهيم الكندي، وكتاب الكفاية للشيخ محمد بن موسى الكندي في واحد وخمسين مجلداً وكتاب المصنف للشيخ أحمد بن عبد الله الكندي في اثنين وأربعين مجلداً وكتاب التاج لأبي عبد الله عثمان الأصم في واحد وخمسين مجلداً، وغيرها من الكتب التي هي أقل أجزاء وأصغر حجماً من هذه الكتب المذكورة ولكنها تعتبر من المطولات والموسوعات الفقهية أيضا.

ولعل هذا الأمر مرجعه ومرده إلى توافر المراجع والكتب في حوزة نزوى نظراً لوجود العلماء الكبار الذين غالباً ما يقتنون الكتب الكثيرة ويعملون على جمعها، ويبذلون الغالي والنفيس في الحصول على أكبر عدد منها، حتى انه وجدت مكتبات متعددة في نزوى عامرة بشتى أصناف الكتب، وبعض تلك المكتبات ارتبط بالعائلات والأسر والقبائل فيها، ولا ريب أن الواجب يحتم على هذه العائلات ذات المكتبات إظهارها ووضعها بشكل يليق بها ويقيمتها العلمية حسب التطور الحاصل في الحياة العامة وفي المجالات العلمية فحسب علمي أن كثيرا من تلك المكتبات أصابها التلف نتيجة الإهمال والطريقة التي حفظت بها، ولعل الأخرى في طريقها إلى التلف إن لم يحسن حفظها وفق الطرق الحديثة والأساليب الجديدة، والأمر في هذا العصر لا يحتاج إلى كبير عناء، وإلا سوف يكون مصيرها إلى التلاشي وهناك تحدث الخسارة الكبيرة في التراث الفكري العُماني، كما حدثت من قبل لكثير من مفردات هذا التراث الفكري العريق الذي يحمل فكر وحضارة أمة، وكم عانى التراث الفكري في الماضي من ضياع جزء لا يستهان به، فيكاد نصف الكتب العُمانية أو ما يقرب من النصف تذكر ولا تبصر، حلت بها عوادي الدهر، وذهبت بها يد التلاشي، والإهمال وعدم المحافظة عليها من أسباب فقدانها.

وكم من كتب مفقودة أن لو كانت موجودة لأمدتنا بالكثير من المعلومات في مختلف فنون العلم والأدب والتاريخ والأنساب واللغة والطب والحكمة وغيرها، على أننا إذا ما طالعنا قائمة أسماء العلماء العُمانيين التي هي لوحة الشرف العُمانية فإننا نجد العديد من أسماء تلك القائمة أو اللوحة مرتبطة بنزوى ومما يلاحظ أيضا ظهور أسر وعائلات علمية في نزوى يتوارث أفرادها العلم، والعلم ـ طبعاً ـ لا يورث بالمفهوم الوراثي المعروف.

(٢٣) مسيرة الخير، ص٢٠

لا يورث العلم من الأعمام ولا يـرى بـالليـل فـي المنـام

لكنـه يحصـل بـالتكـرار والدرس في الليل وفي النهار[٢٤]

ولكنه يظل ينتقل بين أفرادها كابراً عن كابر، فهناك أسرة الشيخ محمد بن صالح وذراريه وهم من بني قرة من عبد القيس وهناك أسرة آل مداد وهم من النعب من قضاعه، وهناك قبيلة الكنود وهي قبيلة معروفة، ومعظم علماء هذه القبيلة ان لم نقل جميعهم هم من نزوى.

ولا شك أن للمسجد في نزوى دوراً بارزاً في تخريج أولئكم العلماء والأئمة حيث كان العديد من مساجدها مراكز إشعاع علمي ومقرات إيحاء نوراني بل كانت محيطات روحانية.

ولا ينسى التاريخ دور جامع سمد الذي أنشىء في العصر النبوي كما يقال وقد ارتبط بهذا الجامع عدد كبير من العلماء، وجامع العقر أو جامع السوق (جامع السلطان قابوس) حالياً كانت له مخرجات كبيرة من أهل العلم عبر التاريخ، وقد كانت فترة ازدهاره العلمي، في عهد الإمام محمد بن عبد الله الخليلي - رضي الله عنه - ولا تزال بركة ثمرته العلمية مشاهدة حتى اليوم بوجود العديد من المشايخ الذين تخرجوا منه، ويقف اليوم هذا الجامع المبارك شامخاً بشكله المهيب الجميل بعد أن أمر بتجديده حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد - حفظه الله -

وهناك مساجد أخرى ارتبط ذكرها ببعض العلماء الذين أقاموا فيها حلقات العلم والتدريس والإفتاء، مثل جامع سعال، ومسجد الشواذنه، ومسجد ابن روح، ومسجد عزان بن الصقر وغيرها من المساجد.

ومما هو معروف عند أهل عُمان أن نزوى تعتبر من أكثر البلدان والمدن العُمانية وجودا بالمساجد فهي مدينة المساجد، وقد أشار إلى ذلك كتاب عُمان في التاريخ الذي ألفه عدد من المؤرخين العرب وأصدرته وزارة الإعلام بالسلطنة فقد جاء فيه «تقع نزوى في المنطقة الداخلية بعُمان وهذه المنطقة مهمة جدا وذلك لما تزدان به من مساجد، ولما قدمته للمجتمع العُماني من أساطين العلماء»[٢٥] والظاهر أن المسجد كان جزءاً

(٢٤) جوهر النظام

(٢٥) عُمان في التاريخ، ص٢٩٦

مهما من الكيان الاجتماعي بالنسبة إلى أهل نزوى، فهو مدار الكثير من أمور حياتهم فابن بطوطة يذكر عنهم بأنهم «يجتمعون للأكل في صحن المسجد ويأكل معهم الوارد والصادر»[٢٦]

وبما أننا ذكرنا دور المسجد في نزوى يجدر بنا أن نذكر مساجد العباد فهناك عدد من المساجد يطلق عليها مساجد العباد، وتقع خارج المساكن ويذهب إليها من كان يريد الخلوة والانقطاع للعبادة والتلاوة والذكر، بعيداً عن مشاغل الحياة وزخارف الدنيا وبهرجتها، فيجد المتعبد فيها بغيته ومتعته الروحية ليعيش مع صفاء النفس وصدق اليقين.

تراهم في ضمير الليل صيّرهم　　　　مثل الخيالات تسبيح وقرآن

وقد شهد لنزوى بهذه المكانة الاجتماعية المتميزة العديد من القادة والعلماء والأدباء والشعراء والرحالة.

يقول جلالة السلطان قابوس بن سعيد ـ حفظه الله ـ واصفاً إياها بأنها مدينة التاريخ والعلم والتراث وقلعة الأصالة والمجد الشامخ حيث يقول: «مدينة نزوى العامرة التي كان لها دور بارز في مسيرة الحضارة العُمانية لا يزال يتألق نوراً وضياءً ورفعة وجلالا، لقد كانت معقل القادة والعظماء وموئل العلماء والفقهاء، ومرتاد الشعراء والأدباء، فأعظم بها مدينة لها في قلوب العُمانيين منزلة عالية ومكانة سامية وقدر جليل»[٢٧] ان هذا التقدير والإجلال والذكر الجميل والإشادة الحسنة من قبل القائد جلالة السلطان المعظم ليدل ذلك على ما لنزوى من مكانة خاصة ومنزلة اجتماعية سامية.

ويذكرها الشيخ سالم بن حمود السيابي مبجلا لها أيما تبجيل حيث يقول في حقها: «فكانت حظيرة العلماء، ودائرة الأئمة، ومأوى الصالحين الأخيار والفضلاء الأحرار، ومجتمع العلماء، ومحط الأفاضل الأصفياء بغير نكران، ويا لتربتها وما حوت من علماء المسلمين جما غفيراً، وحوت في صحائفها من الأتقياء عدداً وفيرا، والحال أكبر شاهد، وأصدق ناقد»[٢٨]

ويذكر ياقوت الحموي بأن نزوى كانت تمارس فيها بعض الصناعات لا سيما

(٢٦) تحفة النظار، ص٢٨٥

(٢٧) مسيرة الخير، ص٢٢

(٢٨) العنوان، ص٦٥

المنسوجات فيقول: «يعمل فيها صنف من الثياب منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها ومآزر من ذلك الصنف يبالغ في أثمانها، رأيت منها واستحسنتها»(٢٩).

ومن المعلوم أن وجود الصناعات وتطورها مرهون بالتطور الحضاري العام لأي بلد، وهذا دليل على ما شهدته نزوى من تقدم واستقرار وازدهار في شتى المجالات وهكذا حظيت نزوى بالإشادة وجميل الذكر وحسن الثناء لما لها من مكانة في أوساط الأمة يقول الشيخ السالمي: «قال في بعض السير، ولها مدايح في كتاب سير العرب وفي كتاب سير العجم تركت خوف الإطالة»(٣٠).

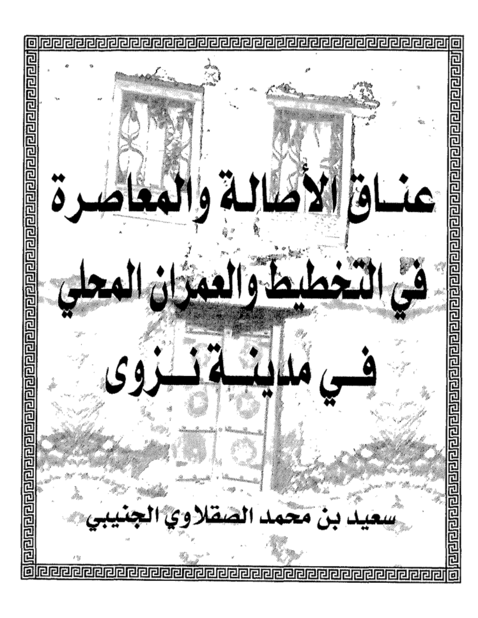
ومعنى كتاب سير العرب أي الكتب التي ألفها العلماء العرب، وهكذا كتاب سير العجم أي الكتب التي ألفها علماء أعاجم.

ولعل أفضل وصف شعري لنزوى ألقي على مسامع الدهر وصغت إليه أفئدة المؤمنين ماجاء عن أبي مسلم ـ رحمه الله ـ في ملحمته النونية الرائعة حيث يقول:

وافرق بها البيد حتى يستبين لها ... فرق على بيضة الإسلام عنوان
فان تيامنت الحوراء شاخصة ... لها مع السحب اكناف وأحضان
فحط رحلك عنها انها بلغت ... نزوى وطافت بها للمجد أركان
هنالك انزل وقبل تربة نبتت ... بها الخلافة والإيمان إيمان
انزل على عرصات كلها قدس ... للحق فيهن أزهار وأفنان
انزل على عذبات النور حيث حوت ... أئمة الدين بطنان وظهران
أرض مقدسة قد بوركت وزكت ... تنصب فيها من الأنوار معنان
قامت بها قبة الإسلام شامخة ... حتى تواضع بهرام وكيوان
تعاقبت خلفاء الله منصبها ... منذ الجلندى وختم الكل عزان

(٢٩) معجم البلدان، ج٥، ص٢٨١

(٣٠) التحفة، ج١، ص١٢٥


عناق الأصالة والمعاصرة
في التخطيط والعمران المحلي
في مدينة نزوى
سعيد بن محمد الصقلاوي الجنيبي

تمهيـــد :

إذا كان التخطيط العمراني لمدينة نزوى القديمة ينطق بروح الأصالة التي تعني في المفهوم العام التمسك بقيم شكلية، ومعنوية ذات مضامين خاصة، انطلاقا من ثوابت أرستها المعطيات الثقافية والحضارية للمجتمع، فإن التخطيط العمراني المعاصر لمدينة نزوى يخرج على المألوف في شكله، ويختلف إلى حد ما عن السائد، في معانيه ومضامينه. ويبتعد عنه في أساليب معالجته الإنشائية، توافقاً مع منطلقات العصر الفكرية والثقافية، والمتطلبات التكنولوجية، والحاجات الإنسانية النفسية، والاجتماعية، وتفاعلات الأنشطة الاقتصادية والصناعية.



رسم توضيحي : صورة جوية توضح العمران المحلي لمدينة نزوى مع القلعة والمزارع

إن مدينة نزوى كسائر المدن العمانية العريقة تتعلق فيها الأصالة بالمعاصرة، فيتحد السائد بغير السائد، ويتماهى المألوف مع غير المألوف، دون خروج فج على قيم اجتماعية موروثة، ودون شطط في التعامل مع الشكل والتخطيط العمراني المعاصر. فأنتجت نسيجاً حياً، تجسد ملامحه رسالة بصرية حضارية تستنطق التاريخ. وتستظهر تجليات المكان. وتكشف عن حقب الأزمان في مشهد متنوع من البساطة، وتكريس صراحة التعبير المعمارى، وعدم المبالغة، انحيازا إلى البيئة العمانية في تكويناتها الطبيعية، وإلى المجتمع فى بنيته الهيكلية، وإلى تطلعات المنجز منه نحو مستوى افضل

للمعيشة والاستقرار السكاني. تتوافر فيه عوامل الراحة، والأمن، والسلامة، والصحة والبيئة.

تزخر مدينة نزوى باعتبارها مركزا حضاريا في سيرة التاريخ العماني بالعديد من مفردات التخطيط العمراني متمثلة في حاراتها المسورة، قديماً، والمنفتحة حديثا، وأزقتها المتعرجة ودروبها المنكسرة، وطرقها الضيقة، ثم شوارعها الجديدة المستقيمة، وأسواقها التقليدية ومساجدها الصادحة بذكر الله، ومساكنها القديمة والمعاصرة، وكذلك قلاعها وبروجها الشامخة فوق رؤوس الجبال وعلى الهضاب، وسوقها التي تعج بتفاعلات الأنشطة الاقتصادية في عرصات المدينة وحوانيتها التقليدية والمعاصرة، فضلا عن سبيل الري وسائله وأبنيته وقنواته.

لذا فإن هذه الورقة تسعى إلى تسليط الضوء على جوانب عديدة من هذه المفردات، وتحاول إيضاح مواطن التطور العمراني في تخطيط المدينة وعناصرها المعمارية بغرض عرض مظاهر التغير الحضاري، وتوضيح أثر انعكاس التفاعلات الثقافية والحضارية، والانفتاح على الآخر والتحاور معه في أبنية مدينة نزوى المعاصرة.

وتخلص الورقة إلى أن البيئة الطبيعية بمناخها وتضاريسها ومظاهر سطحها قد لعبت في التخطيط العمراني لمدينة نزوى القديمة دورا بالغ الأهمية ينبغي أن يراعي أهمية هذا الدور في تخطيط مساحة المدينة، وتحديد الاستعمالات المختلفة، وأن تتأكد أهميته فى تخطيط الأبنية بفراغاتها الخارجية والداخلية، وأن يؤخذ هذا الدور في الحسبان عند وضع التصاميم الإنشائية للأبنية والطرقات وغيرها.

وحرصت الورقة على إيضاح المواد المستخدمة في الإنشاءات القديمة والتي كانت مستخرجة من بيئة إقليم مدينة نزوى، أن يتم الاستفادة من هذا الانسجام بين طرق الإنشاء المختلفة، مع المواد البيئية دون إضرار أو إخلال، للحصول على تنمية مستديمة.

وتؤكد الورقة أن أساليب الإنشاء التقليدية التي شيدت بواسطتها صروح مدينة نزوى العريقة هي أساليب يمكن تطويرها وتطويعها لتتلاءم مع المتطلبات العصرية للإنسان

المعاصر في نزوى، وتحث هذه الورقة على أهمية مراعاة الجانب الاجتماعي في التخطيط العمراني وعدم إهمال الحاجات النفسية والسلوكية، وان دراسة التغير السكاني، والثقافي ينبغي أن يؤخذ في الحسبان عند وضع المخططات العمرانية.

وتشدد الدراسة على أهمية تأصيل مفهوم عناق الأصالة بالمعاصرة وتكثيف حضوره في الثقافة العمانية المعاصرة لأن ذلك يمثل جسرا طبيعيا لتعبر عليه تحولات المجتمع العماني بثبات دون فقدان الهوية، ودون تعريض الخصوصية والحرمة إلى اهتزاز.

عبقرية الموقع :

تتمتع مدينة نزوى بأهمية تاريخية عظيمة في مسيرة التاريخ العماني. ويعزى تاريخها إلى ما قبل الاسلام[1]. وقد ساعدها على ذلك عبقرية المكان الذي تتبوأه في وسط المنطقة الداخلية من عمان. وظلت عاصمة عمان في عهود الإمامة لفترات متعاقبة، ومهوى روحياً تشع معاهده المتعددة، ومدارسه المتنوعة، ومجالسه المختلفة، في الطالبين العلم، وفي الراغبين الثقافة، وفي الباحثين نور المعرفة.

ولعبت المدينة دوراً اقتصادياً هاماً، إذ كانت مركزاً لتبادل السلع والمنتجات القادمة من الولايات المختلفة، فضلاً عن كونها منتجاً ومصدراً لسلع ومنتجات شتى منها: المصنوعات الفنية وأشهرها الخناجر، والغذائية وأشهرها الحلوى، والحديدية: الحربية وأشهرها السيوف والبنادق، والسلمية وأشهرها مستلزمات البناء. واشتهرت المدينة بمنتجاتها الزراعية من التمور، والبسر، والعسل، بالإضافة إلى منتجات السعفيات، والفخاريات، والمنسوجات، وغيرها كثير.

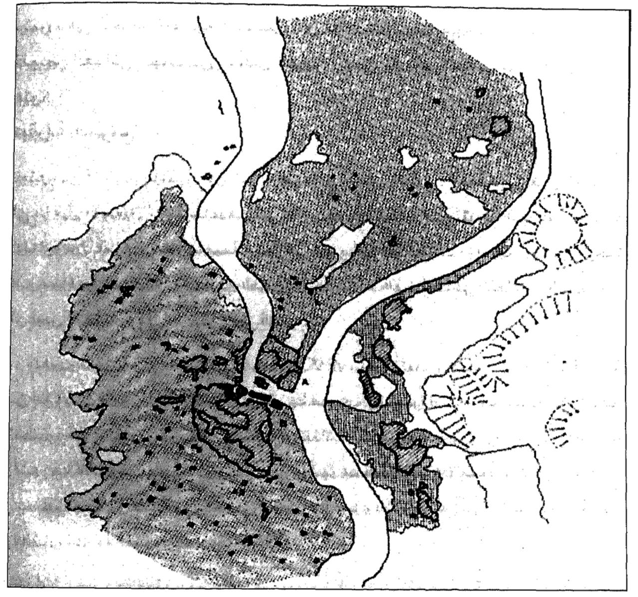
وكان لعبقرية الموقع دور فاعل في تميزها، إذ كانت تقع في كنف سفح وأسفل الجبل الأخضر. يقسمها واديان امتدت أكبر مساحة من العمران على ضفافهما، ويلتقيان عند نقطة هامة شكلت مفترق طرق تربط مدينة نزوى بمدن وولايات السلطنة. وقد أفضى ذلك إلى تقسيمها عمرانياً إلى منطقتين مسورتين هما: العلاية، والسفالة[2]. ويذكر الشيخ سليمان بن

---

(١) سليمان بن خلف الخروصي: ملامح من التاريخ العماني، الطبعة الأولى، مسقط ١٩٩٥و ص٣٢٢

(٢) P.M.Costa. Note in Settlement Patterns. The Journal of Oman. The Ministry of National Heritage and Culture, PP: 269-277, Vol.2 Muscat 1983

خلف الخروصي سبعاً من محلات نزوى الأثرية وهي: «السويق، والردة، وهما في سمد نزوى، والمدة وجحفان، والحاجر، والمجميل، وسعال»[٣]. ويمكن اعتبار هذه الحارات في الاصطلاح العمراني المعاصر متوائماً مع مصطلحات المجاورات السكنية. ولعل محلة.العقر كونت النواة الأولى لمدينة نزوى كما يلمح إلى ذلك الشيخ سليمان بن خلف[٤]



رسم توضيحي : صورة جوية توضح العمران المحلي لمدينة نزوى مع القلعة والمزارع

وساعد التباين في تضاريسها على تكوين مستوطنات وتجمعات عمرانية شيدت على أراض أقل صلاحية للزراعة: سهلية؛ وأخرى جبلية. اعتمدت هذه التجمعات - في الحصول على حاجتها الزراعية والغذائية - على مساحة مزروعة بعدد كبير من النخيل يقدر بحوالى

(٣) سليمان بن خلف الخروصي: ملامح من التاريخ العماني، الطبعة الأولى، مسقط ١٩٩٥و ص٣٢٢ – ٣٢٤
(٤) نفس المرجع

٢٥.٠٠٠.٠ نخلة [٥]. وأصبحت هذه المزارع محوراً اقتصادياً هاماً ترتب على وجوده قيام منشآت عمرانية (مثل مخازن التمور والغلال والبسر الخ..)، ومصانع البسر مثل (تركيبة البسر أو مغلى البسر)، ومصانع العسل (مناضد الدبس) الخ.. وتشييد بنية تحتية (مثل الأفلاج والسواقي ووسائل الري المختلفة الخ..) تقوم على خدمة هذا القطاع. وتعرف المنشآت والأبنية العمرانية في المصطلح المعاصر بالمباني والمنشآت الزراعية يقوم على تخطيطها وتجهيزها وتنفيذها مختصون في هذا المجال. وهذه المباني ليست محل الدراسة.



رسم توضيحي : صورة تبين طرق المدينة ومعالجة الخصوصية

(٥) H.A.Z. Al-hinai; Ph.D Thesis Natural Cooling Techniques For Buildings in Hot Climates. Crandfield Institute of Technology. England 1992. pp: 35-40

الإدارة المحلية

تتم إدارة المدينة محلياً عن طريق سلطتين: أحدهما أهلية ويمثلها شيوخ القبائل ورشدائها وأعيانها؛ والأخرى رسمية ويمثلها والي الولاية وعسكره ويتبعه قاضي الولاية. وهذا النظام الإداري المحلي في السلطنة مستقى من مبدأ التعاون والتشاور والمشاركة في إدارة المجتمعات وهو مطبق بصورة عامة في جميع مناطق المدن العمانية. إذ تتم إدارة شئون المدينة بالتشاور والتفاهم مع جميع الأطراف المعنية بشئون القبيلة والمجتمع. أما فيما يتعلق بالأحكام القضائية فإن قاضي الولاية وهو يمثل السلطة القضائية في هذا الصدد ـ وكان يتبع في ذات الوقت إداريا والي المدينة ـ مخول بالحكم فيها حسب الشريعة الإسلامية وعلى الوالي وعسكره التنفيذ.

ولذلك فإن المنشآت المعمارية المخصصة لهذا الغرض كانت تتناسب مع وظيفتها. فمجلس القبيلة (أو السبلة) يتيح للشيوخ والرشداء والأعيان الاجتماع والالتقاء للتشاور والتحاور في شئون المجتمع، وتمثل القلعة أو الحصن السلطة الرسمية. ويصبح وجودها قرب السوق، وقرب جامع المدينة مهماً، يسهل عملية الاتصال بها، ويقوي مركزيتها، باعتبار أن الوالي (سلطة الإدارة السياسية والتنفيذية)، ومركز القاضي (السلطة القضائية)، ومركز الحرس أو العسكر (السلطة الأمنية).

ومع انطلاقة العهد الجديد طرأ التغير الكبير[٦] على نمط الإدارة المحلية في تسيير شئون المجتمع، واتساع عملية التنمية الحضرية في المدينة. وأخذت كل وزارة حكومية تخصص فرعاً يمثلها يقوم على أداء وظيفة إدارية وتنموية محددة، فانفصل الأمن بمركز الشرطة عن عسكر الوالي، وانفصل القضاء بمحكمته. واصبح الوالي يمارس مهمته في سياق إداري حديث. ولم تعد هذه الإدارات مجتمعة تحت سقف الحصن وقلعته. فقد خرجت مبانيها عن النسيج العمراني المتوارث، فامتدت المدينة. ولم تتقمص نسقها المعماري، إذ أوجدت نماذج لم تكن مألوفة في تخطيطها، وواجهاتها، ومواد بنائها، وألوانها، وتفاصيلها المعمارية. ولكنها تتلامس مع أصالة المدينة، وإيحاءات عناصرها المعمارية.

---

(٦) وزارة الإعلام: مسيرة الخير، المنطقة الداخلية، ولاية نزوى، مسقط ١٩٩٥، ص:٢٤ ـ ٣٩



رسم توضيحي : صورة توضح جانباً من الإدارة المحلية حسب التقاليد المتبعة(*)

الميـــاه :

تزود مدينة نزوى بالمياه بواسطة مصدرين رئيسين هما: فلج دارس في العلاية؛ وفلج الغنتق في السفالة. وبجانب هذين الفلجين الرئيسين، أجريت أفلاج مساعدة منها: «فلج صنوت، وفلج أبو ذؤابة، وفلج الخوبي، وفلج السعالي، وفلج الدنين، وفلج العين»[7]. وهذه المياه تصل إلى التجمعات العمرانية التي امتدت على ضفاف الواديين، وإلى المزارع. ويقوم بإدارتها مختصون تواضع عليهم، وأقرهم أهل المدينة. وارتضتهم إدارتها المحلية بسبب خبرتهم الطويلة، وبصيرتهم الراشدة، ومعرفتهم الدقيقة بشئون إدارة وإصلاح وصيانة الأفلاج وسواعدها وسواقيها، وتوزيع مياهها. فيحصل كل مواطن من أهل المدينة أو مستفيد على نصيبه المقرر من المياه. ويدفع في المقابل ما يفرض عليه من التزامات مالية وأدبية وهذا النظام المائي المتوارث يمكن اعتباره فيما يعرف اليوم بشبكات المياه للمدن والتجمعات العمرانية.

وكما تحتاج عمارة شبكات المياه المعاصرة عددا من المنشآت المعمارية وعددا من العمليات الهندسية في المساحة والهيدرولوجيا والتخطيط والتصميم والتنفيذ، كذلك الحال بالنسبة لنظام المياه (الأفلاج) المتوارث. إذ تطلب وجوده التعرف على مصادر ومنابع

(٧) سليمان بن خلف الخروصي: ملامح من التاريخ العماني، الطبعة الأولى، مسقط ١٩٩٥، ص٣٢٢

(*)المرجع: دونالد هولي: (عمان ونهضتها الحديثة)، ص٧٣

المياه (أم الفلج أو عينه)، ثم التخطيط لكيفية جلبه للتجمعات العمرانية وللمزارع، وتوزيع حصصه عليها. فنشأ عن ذلك عمارة الأفلاج وصيانتها. واستخدم في ذلك تقنيات بنائية محكمة في أساليب تنفيذها، واستخدام مواد بنائها التي كانت متصالحة مع الطبيعة ومحافظة عليها، وفي نظرنا يمكن تصنيفها ضمن مصطلح التنمية المستدامة. مفردات هذه العمارة ينبغي أن تدرس باستفاضة في مبحث مخصص لذات الغرض.

المسكن :

يمكن تصنيف المساكن في نزوى بحسب الفصول إلى (بيت شتوي، وبيت صيفي)، وبحسب المكان الجغرافي إلى (مسكن المدينة، مسكن المزارع، مسكن القرى الجبلية)، وبحسب الظاهرة الاجتماعية إلى بيت حضري (مسكن الحضري)، بيت ريفي (مسكن البيدار)، بيت رعوي (مسكن الشاوي). وبحسب الهيئة إلى مسكن محصن (بمعنى له طابع تحصيني كبيت الرديدة وبيت سليط وغيرهما)، ومسكن غير محصن (بمعنى ليس له طابع تحصيني وقد مثلت هذا النوع سائر المساكن). وبحسب المواد إلى بيت حجري وبيت طيني وبيت سعفي.

ولكل من هذه التصنيفات مسوغاتها. ولكل صنف من هذه المساكن تخطيطها المتوائم مع معطيات الوضع الاقتصادي، ومعطيات الوظيفة، والبيئة: التضاريس، والمناخ. وتوافقت جميعها في استخدام نفس مواد البناء الأساسية. ومع التطور الحضري المعاصر في بنية ونسيج العمران في المدينة، واكب هذه التصنيفات أنماط أخرى من المساكن المعاصرة يمكن تصنيفها في المساكن المبنية بالمواد الثابتة (المشيدة بالطوب الأسمنتي)، والأخرى في المساكن المبنية بالمواد غير الثابتة (وهي المساكن الجاهزة المصنعة من ألواح الخشب الحبيبي وغيره). وبحسب الملكية إلى ملكية خاصة وتشمل المساكن المملوكة والمؤجرة، وملكية عامة وتشمل المساكن التي شيدتها الحكومة لإيواء المسئولين والموظفين الحكوميين. وبحسب النوعية إلى مساكن اجتماعية شيدتها الحكومة لذوي الدخول المحدودة والضعيفة، ومساكن شيدها المواطنون انفسهم. ويجدر بنا أن نوضع بإيجاز مكونات أنماط المساكن التراثية في نزوى.

مسكن الحضري :

ويقصد به المسكن الذي يشغله الإنسان أو المواطن الحضري الذي يستقر في المجتمع

المديني النزوي. كما يمكن تسميته بالمسكن المديني وذلك بنسبته إلى المدينة أو بنسبته إلى المجتمع المديني. وهو ذات المسكن المسمى بالبيت الشتوي وذلك لاستخدامه في الفصول الباردة، يقابله المسكن الصيفي الذي يبنى في المزارع ويستخدم في فصل الصيف. وجاء هذا التصنيف من النظام السائد في المجتمع الذي يتحرك تحت وطأة القيظ إلى المزارع، ليقضي فيها فترة الصيف ناعما بطقس مريح، ومستمتعاً بأيام جميلة يقضيها بين المزارع الوارفة بالخضرة، والبساتين الغناء بشتى الأطايب، ثم يعود قافلا متربعاً بعد انقضاء الصيف مزوداً بمحصول وفير مما جناه من طنائه، أو من استطنائه أو بيعه محصوله أو حصاده من التمر والدبس وغيره.

وخططت المساكن الحضرية ضمن النسيج العمراني للمدينة لتتلاءم مع اعتبارات الحياة حيث الاكتظاظ السكاني. وحيث يمكن أن تجرح الطرق الضيقة حرمة المسكن فينبغي حمايته بحجب الرؤية الخارجية كلية أو تقليل آثارها عن طريق الاعتماد على الحلول المعمارية أو قوانين البناء (فقه العمران). ويمكن لها أن تخترق خصوصيته فينبغي صونه بإيجاد صيغة معمارية تعتمد على الفصل في الحركة داخل الفراغ المعماري وأحيانا استعماله. وحيث حركة الناقل والمنقول، والحامل والمحمول، والعامل والعاطل، والخاصة والعامة من المارة، وحركة النقل النشطة والمتواصلة، فينبغي تأمينه. وحيث الندرة في توفر الأرض الصالحة لبناء مساكن بمساحات كبيرة، فينبغي التوسع رأسيا عوضاً عن التوسع الأفقي. وحيث متطلب الحاجات الاقتصادية والاجتماعية، فينبغي استغلال طوابقه (أدواره) وفراغاته المعمارية. وحيث متطلب العوامل البيئية وبخاصة المناخية، فينبغي توجيه المسكن، وملاءمة تخطيطه وجدرانه العريضة، وتجميعه مع غيره في نسق تتلاصق جدران المساكن فيه كي توفر أكبر قدر من اكتساب أو فقدان للحرارة.

لقد أملت تلك المعطيات تأثيراتها على نمط تخطيط المسكن الحضري، وعلى شكله. وبنيت أغلب مساكن المدينة حول حوش مركزي. وتتدرج ارتفاع المسكن من طابق إلى طابقين فثلاثة طوابق.وأصبحت مركزية الحوش عاملا هاما في الإضاءة والتهوية وتلطيف الطقس للمستويات السفلى من المسكن، ومجمعا لحركة التوصيل والتلاقي في المسكن. والحوش عميق وضيق أحياناً.. ونظرا لوجوده ينفتح المسكن في حالات كثيرة على الداخل.

الجدران بها فتحات ولكنها لا تواجه الأماكن العامة. وحواجز الأسطح (الذروة) ترتفع بحيث تمنع الرؤية من الداخل كي لا تجرح الخارج، وتمنع الرؤية من الخارج كي لا تخترق الداخل. ويمثل المجلس في المسكن النزوي التراثي الغرفة (الفراغ) المشتركة التي تستخدم اجتماعياً للزوار، واقتصاديا كمعمل (ورشة) لصاحب المسكن. ولذلك يموضع المجلس عادة في المسكن المكون من طابق بقرب المدخل. وحين يستخدم الطابق الأرضي للتخزين، يموضع المجلس في الطابق الأعلى. تتمتع الغرف (الحجرات) بتهوية وإضاءة جيدة عن طريق النوافذ الطولية أو المربعة الصغيرة والصريحة، وأحيانا تكون الغرف صغيرة معتمة قليلة الإضاءة تكتسبها عن طريق المراقات، أو الفتحات العلوية. ويكون السلم غالباً مفتوحاً يقود إلى الأدوار العلوية أو إلى السطح حيث تجفف التمور. وتموضع دورات المياه في أماكن بعيدة عن الحجرات. أما المطبخ فيموضع في الجزء المفتوح من الحوش. ويتم توفير الماء عن طريق الوسائل التقليدية المتبعة، ويوصل مباشرة إليها.



رسم توضيحي: صورة توضح جانبا من نقش السقف واستخدام الخط. «دونالد هولي: مرجع سابق، ص٣٧»

هذا النوع من المسكن مبني بالطوب الطيني. وللطوب الطيني خاصية ضعيفة في توصيل الحرارة. فحيث تنخفض درجة الحرارة في الشتاء يوفر هذا الطوب قدراً من التدفئة، وحيث ترتفع درجة الحرارة في الصيف فإنه يوفر قدرا من التبريد، نظرا لضعفه في فقدان واكتساب الحرارة. وجدرانه عريضة لا تقل عن ذراع (٥٠ سم تقريباً)، وتختلف العروض باختلاف الطوابق والارتفاعات. تثبت العوارض (الجسور) من جذوع النخل على وسادة في الجدار بمسافات متقاربة، ثم تفرش وتثبت مواد التسقيف المكونة، من الدعون، والسميم، والعصابات من الزور والعسق، وفوق ذلك يفرش الطين المعجون بالتبن، أو تفرش طبقة من الصاروج. وتصلح أي تملس وتنعم حتى تحمي السقف من الأمطار والشمس والضغط ويمتاز عدد كبير من المساكن بسقوفها المطلية بالألوان الزاهية، وكتبت عليها آيات من القرآن الكريم[٨]، وأبيات من الشعر.

وبالرغم من محاولة المواطن العماني - في تخطيط وبناء مسكنه - التمسك بالقيم الاجتماعية الثابتة المتعلقة بالخصوصية التي استطاع أن يوفرها بالفصل في الحركة والاستعمال داخل المسكن، إلا أنه لم يوفق كثيراً في توفير الحرمة بحجب اختراق الرؤية من الخارج إلى الداخل، ومن الداخل إلى الخارج، بسبب قوانين التخطيط والبناء المعاصرة التي لم تسعفه في تحقيق ذلك.

وبالرغم من الاستعاضة بالتبريد والتكييف الصناعي عن توجيه المسكن نحو مهب الرياح، وعن الحوش المركزي بقاعة مركزية مسقفة تتوسط المسكن أو تأخذ جانباً منه، إلا أن ذلك حرمه من الاستمتاع بالبيئة الخارجية في شمسها الطاهرة، وهوائها النقي، وسمائها الصافية، ونجومها اللامعة، واصبح تفاعله مع المحيط الخارجي للمسكن غير مألوف. وفي ذلك أثر ينعكس على صحة الساكن.

وبالرغم من استعاضته بالطوب الأسمنتي عن الطوب الطيني، وبالأسقف الخرسانية عن الأسقف المشيدة من الجذوع ومشتقات النخيل، وبطرق البناء المعاصرة عن طرق البناء المحلية، إلا أن ذلك لم يساعده في تخفيض كلفة المسكن، ولا تخفيض درجات الحرارة في الصيف، ولا زيادة التدفئة في الشتاء، ولا منع التشققات، وتسرب الرطوبة. وهو ما يستوجب البحث عن مواد، وطرق، وأساليب فعالة.

(٨) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد، وعادل صلاحي وتحقيق محمد بيبي، مؤسسة ستايسي الدولية، لندن ١٩٧٦، ص٣٧

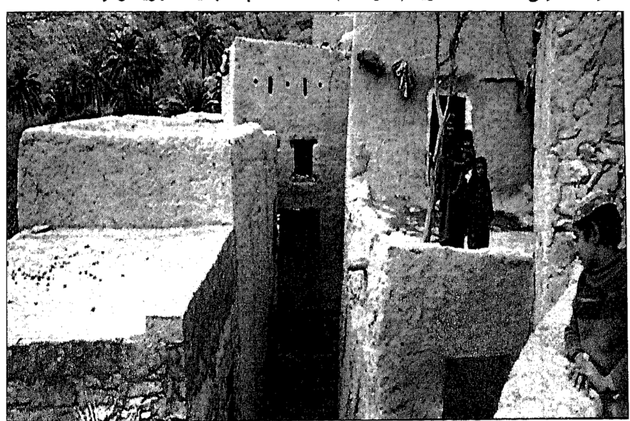
مسكن البيدار

يشغل هذا النوع من المساكن شريحة سكانية تسمى البيادير، ومفردها بيدار وهم الفلاحون، فكما ان لفظة الفلاحين مشتقة من الفلاحة فإن لفظة البيدار مشتقة من البيدر وجمعها بيادر، وهي لفظة فصيحة، وهؤلاء إما أن يعملوا لصالحهم، أو أن يعملوا لصالح غيرهم من ملاك المزارع أو الطناة أو المستطنين.

وقد خططت هذه المساكن لتتناسب وظيفتها مع متطلباتهم، ومع إيقاع حركة حياتهم. فتوفر لهم الدعة والطمأنينة، وتكسبهم الراحة والسكينة.

يبنى المسكن في المزارع من دور واحد (طابق)، وأحياناً دور (طابق) وغرفة علوية كبيرة، وله سلالم خارجية تقود إلى سطح المسكن الذي يستغل لأغراض النوم صيفاً، ولتجفيف التمر والبسر في النيار.

جدرانه مبنية من الطوب الطيني غير المشوي، ملحومة بملاط من الطين. وسقفه مشيد بجذوع النخل ومشتقاته من الدعون والسميم (مفردها سمّة)، ثم تفرش فوقه طبقة من الطين أو الصاروج لحماية المسكن من الأمطار. تتوفر في المسكن نوافذ تفتح على المزرعة، بالإضافة إلى الفتحات العلوية (المراقات) أعلا الأعتاب لتجديد التهوية والإضاءة.



رسم توضيحي: صورة توضح نمطا من مساكن القرى الجبلية

مسكن القرى الجبلية

في ولاية نزوى قرى واقعة في الجبل الأخضر لها طبيعتها وخصائصها المكانية، وظروفها البيئية التي انعكست على عمارة المساكن المحلية فيها. لقد خططت أغلب المساكن لتكون مستطيلة الشكل. يلائم بناؤها تضاريس الجبال الصخرية، وأسطح مدرجاتها المنبسطة، والمساكن ذات سطوح منبسطة، وتبعث أقواس سلالمها الحجرية الشعور بقدم [٩] المكان وتاريخه.

وقد خططت الأدوار السفلية من المساكن للحيوانات، أما الأدوار العلوية فتتخذ قاعة لمعيشة الأسرة، وفيها غرف استقبال الضيوف. وشيدت جدرانها من الأحجار ملحومة بملاط من الصاروج أو من الطين. وسقفت المساكن بالأخشاب والسعفيات، ثم غطيت بطبقة من الصاروج وأحياناً من الطين للوقاية من الأمطار. وتوضع أحيانا سقوفاً من شرائح الحجارة حتى تسد الفرجات بينها.

مسكن الشاوي (الراعي)

هذا المسكن أقرب إلى المأوى، ومستواه المعماري يختلف عن مسكن الحضري، أو مسكن البيدار، أو المسكن في القرى الجبلية. ولكنه يلبي حاجات شريحة سكانية، وهم الرعاة أو الشواوي. يتكون المسكن غالباً من غرفة واحدة، تبنى جدرانها من الأحجار المرصوفة فوق بعضها بغير ملاط من الصاروج أو الطين للحمها[١٠]. ويبنى السقف من الأخشاب والسميم والدعون، ثم يصرج بطبقة من الصاروج، أو يمسح بطبقة من الطين. بمعنى أن طبقة من الصاروج أو الطين توضع فوقه لتساعد في تماسكه، ولتحمي المسكن من تساقط الأمطار. ويندر وجود النوافذ، ولكن توجد فتحات صغيرة علوية صغيرة مربعة وأحياناً طولية رأسية يطلق على مفردها مراق أو مبراق، وذلك بغرض تجديد التهوية والإضاءة داخل الغرفة.

المسجد

تحتوي مدينة نزوى عددا من المساجد الأثرية المشيدة وفق معايير وأساليب العمارة المحلية والتي كانت ولا تزال في لحمة النسيج العمراني تخدم حارات المدينة المتنوعة. يستقر جامع المدينة قرب السوق، والقلعة، ليكون ملتقى أهل المدينة وسكانها. يتفرقون

---

(٩) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي، وتحقيق محمد بيبي، مؤسسة ستايسي الدولية، لندن ١٩٧٦، ص١٢٢

(١٠) A. Cain, F. Afshar, J.Norton: The Indigenous Built Environment of Oman its problems and potentials for contemporary Planning, and design, Nov. 1974, p:164

منه راجعين إلى مساكنهم، أو ذاهبين إلى أعمالهم ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ صدق الله العظيم.

يذكر ناصر بن منصور الفارسي ثمانية عشر مسجدا وجامعاً[11] أثرياً في مدينة نزوى، تتعاقب في سلك زمني يبدأ بمسجد الشواذنة الذي شيد في العام السابع من القرن الأول الهجري، يتبعه مسجد سعال في العام الثامن من نفس القرن.

وفي عهد الإمام الوارث بن كعب (١٧٢هـ - ١٩٢هـ) بني مسجد النصر وكان اسمه سابقاً مسجد السوقية، ويليه مسجد الشيخ في عقر نزوى في العقد التاسع من القرن الثاني الهجري.

ويأتي بناء مسجد الشجبي في مطلع القرن الثالث الهجري، يليه مسجد أبي الحواري. وفي ذات القرن بنى العلامة عزان بن الصقري اليحمدي مسجد غلافقاً، وبنى العلامة الحسن بن زياد النزوى مسجد الحسن. كما بنى مسجد الأئمة ومسجد الشروق.

وبنى العلامة محمد بن روح مسجد روح في مطلع القرن الرابع الهجري، كما بنى العلامة مخلد بن روح بن عربي الكندي مسجد مخلد في نفس القرن، ولعل مسجد أبي الحسن قد بني في ذات القرن.

وفي القرن الخامس الهجري بنى العلامة أحمد بن محمد الهنقري مسجد ابن الهنقري. وبنى الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي غسان النزوي مسجد أبي عبد الله.

وفي مطلع القرن العاشر الهجري بنى الإمام محمد بن اسماعيل الحاضري مسجد الإمام محمد بن اسماعيل. وبنى الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (١٦٤٩ - ١٦٨٨م) مسجد اليعاربة في القرن الحادي عشر الهجري، كما شيد الشيخ مسعود بن رمضان بن راشد النبهاني مسجد ابن أبي رمضان. وزخرت المدينة في العهد الزاهر بكثير من المساجد، وأهمها مسجد السلطان قابوس.

مسجد الشواذنة

يمكن اعتبار مسجد الشواذنة أحد نماذج العمارة المحلية للمساجد في نزوى، ويقع هذا المسجد في قلب مَحلة العقر. ويلاحظ عيه أنه مستطيل ولكنه عميق الشكل، بمعنى أن محرابه يتوسط الضلع الأقصر من المستطيل، وليس العكس. وتوافقاً مع مبدأ الحرص على الصلاة في الصف الأول يبنى المحراب في المساجد عادة في الضلع الأطول، ويصبح

---

(١١) ناصر بن منصور الفارسي نزوى عبر الأيام معالم وآثار، الطبعة الأولى، مسقط (١٩٩٤م)، ص:٢٧-٣٤

المسجد ذا شكل مستطيل. وتتشابه هذه الحالة مع حالة مسجد نخل وعدد غير قليل من المساجد في عمان. وقد تعزى هذه الظاهرة إلى تضاريس الموضع، أو لعلها تعزى إلى فتوى فقهية يحسن التعرف عليها. ويلاحظ أيضا أن المسجد لا يحتوي على مئذنة، وقبة، وهي ظاهرة سيطرت على غالبية عظمى من مساجد عمان. ويبرز في أسطح المساجد عنصر معماري يطلق عليه البومة (قبة صغيرة مفتوحة من الأعلى أو من الجانب)، ولعل وجودها خاضع لاعتبارات التهوية والإضاءة القمرية. إن أغلب سقوف المساجد العمانية مسطحة ما خلا بعض المساجد، كالمسجد الجامع في ولاية جعلان بني بوعلي ومسجد أولاد علي بن ربيع في ولاية صور، حيث بني سقفاهما من عدد من القباب الصغيرة. ومن حسن الحظ أن رمم الأول، ومن سوء الحظ أن هدم الثاني في حملة اسبوع البلديات، وأعيد بناؤه.

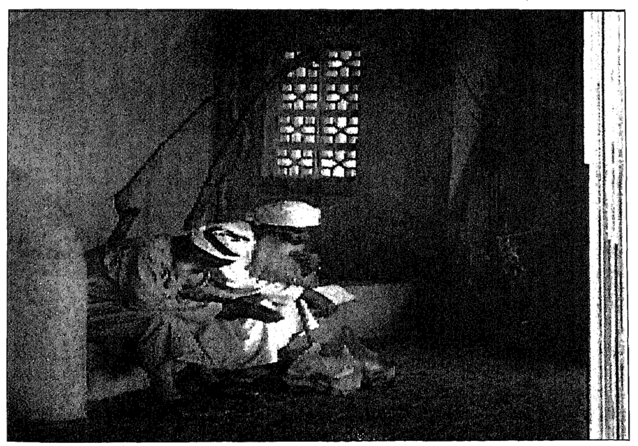
ونرى أن هذا التكوين المعماري لم يعد ماثلاً في المساجد المعاصرة التي بنيت في العهد الجديد، إذ أصبحت المساجد مكونة بالإضافة إلى بيت الصلاة، وصحن المسجد من مئذنة أو أكثر، وقبة. واصبح شكل المسجد في أغلب التخطيطات المعمارية مستطيلا، أي أن المحراب يتموضع في الضلع الأطول من المسجد. وبرز الحراب إلى الخارج عن الحائط فتمكن الإمام من الصلاة فيه، بعد أن كان المحراب في المساجد الأثرية غير بارز إلى الخارج، وكان مطلا على الداخل فقط. وكان دوره مقتصراً على الإشارة إلى اتجاه القبلة

زين المحراب في المساجد المعاصرة بالزخارف المختلفة إما بالجبس (النورة) على كامل جدرانه الداخلية، أو في إطاره الخارجي. وأحياناً تبطن الجدران أو تبروز بالرخام، أو البلاط المزخرف، أو الخشب المنقوش. بينما انحصرت زخرفة المحاريب في المساجد الأثرية على تزيين الإطار بالنقوش الجبسية، ونادرا ما تبطن كامل جدران المحراب بالنقوش. وإذا كان ذلك سمة عامة في المساجد الأثرية في عمان، إلا أن عددا من المساجد الأثرية في مدن أخرى ومنها قلهات على سبيل المثال قد تراءت عليها مظاهر التزيين، والزخرفة وصفها إبن بطوطة في كتابه الشهير تحفة النظار في غرائب الأسفار وعجائب الأعصار في قوله: «تحوي مدينة قلهات مسجدا من أجمل المساجد وأبدعها، فجدرانه مرصوفة بالقيشاني الذي يشبه الزالج ويقوم على مرتفع يشرف منه على البحر والمرسى. وقد بنته امرأة صالحة يسمونها بيبي مريم، وتعني كلمة مريم في لغتهم (سيدة نبيلة)». ونرى أن لهذا التحول دلالة على التسامح، والتلاقح، والتواصل في سياق الفكر والثقافة الإسلامية.

السـوق :

ينبغي النظر إلى السوق باعتباره مركز المدينة التجاري، أو قلبها التجاري النابض بالحركة الاقتصادية، وبالحياة الاجتماعية. وهو أحد المكونات الرئيسة الهامة ـ بجانب القلعة والحصن والجامع ـ التي يعتمد عليها كثير من مدن العالم الإسلامي، والتى تتوجه منها وإليها حركة المجتمع. ويمكن اعتبار مدينة نزوى ممثلة لهذا النمط، ونموذجا لعدد كبير من المدن العمانية، باستثناء مدينة صور العمانية والتي تعتبر مركز المنطقة الشرقية الإداري. يقع السوق الرئيسي لمدينة صور (مركز المدينة التجاري) في القسم الساحلي منها (صور الساحل/أم قريمتين) بمعزل عن أي من حصون المدينة، ولكن أحد أسواقها يقع في بلاد صور بالقرب من الحصن.

وإذا كان المسجد يعتبر مصدر إشعاع للحياة الروحية، فإن السوق يعتبر كذلك مصدرا للحياة الدنيوية، بغض النظر عن صغر وكبر المدينة. فهو المكان المشغول، والمأهول، وهو المكان الجاذب اجتماعياً، واقتصادياً[١٢]



رسم توضيحي: صورة توضح استراحة المتسوقين في سوق نزوى الشرقي القديم «إيريك فان واخرون. عمان الماضي والحاضر ص٨١»

(12) Ann and Dary Hill: The Sulanate of Oman A heritage, Longman, London, 1977, p:94

لقد ظل السوق في العالم الإسلامي لقرون طويلة يعمل بجانب نشاطه الاقتصادي والتجاري على إتاحة الفرصة لاجتماع المواطنين، والتقاء بعضهم بعضا، ومنحهم فرصة تبادل الأفكار والتشاور والتفاهم فيما يعني مجتمعهم، والتعرف على مقتضيات أحوالهم الاقتصادية، والاجتماعية[١٣]. وبالاضافة إلى ذلك فهو يسهل عملية التواصل مع المجتمع، ومع إدارته المحلية الرسمية لقرب موقعه منها.

من الناحية المعمارية، يتكون السوق من وحدتين متقابلتين هما: السوق الغربي، والسوق الشرقي. ومن الناحية الاقتصادية والتجارية تتوزع بضائع الأغذية والمنسوجات والمعدات والأدوات في محلات (حوانيت/دكاكين) متقابلة، وذات أبواب خشبية في السوق الغربي، بينما يحفل السوق الشرقي بمحلات ومنصات اللحم والأسماك[١٤]. ورغم بساطة السوق في تخطيطه المعماري، فإن المتسوق يتحرك فيه على محاور ثابتة وواضحة، تمكنه من الاتصال بالحصن والقلعة والجامع، وتفضي به إلى مخارج ومداخل المدينة. وتمكنه أيضا من التلاقي بالآخرين والاطلاع على المعروضات فوق منصات العرض التي تبدو واضحة، متناسبة مع الغرض المخصصة له. لقد اصبح مبدأ الرزق عند مواطن الأقدام متحققا ومشهوداً في هذا السوق.

إن اختلاط الأصوات الصادرة عن عملية الطرق في أثناء صناعة المشغولات الفضية، والذهبية، والحديدية، والنحاسية، وفناجين القهوة، تشد الزائر، وتثير سمعه، وتمنحه إحساساً بنمط السوق الشرقي[١٥]. وتدعم ما المحنا إليه من الحراك الاقتصادي والتجاري فيه.

يحاول دونالد هولي رسم صورة عامة لتخطيط وعمارة الأسواق المحلية في عمان فيصفها بأنها متشابهة إلى حد كبير. فيذكر «تجد السوق في معظم البلاد محاطة بأسوارها مما يسهل حفظ أمنها وحراستها في الليل. وتقوم منطقة السوق عادة على مقربة من القلعة التي تكون مركز الدفاع والسلطة فى المنطقة. أما الشوارع فضيقة تقوم فيها الدكاكين صفوفا. وهي مربع الشكل تشرف مباشرة على الشارع وتقوم عادة على منصات

(13) A.Cain.F.Afshar.J.Norton: The Indigenous Built Environment of Oman its problems and potentials for contemporary planning, and design. Nov.1974, P:164

(14) P.M.Costa, Note in Settlement Patterns, The Journal of Oman, The Ministry of National Heritage and Culture, PP:269-277, Vol.2 Muscat 1983

(15) Ann and Daryl Hill: The Sultanate of Oman A heritage, Longman, London, 1977, p:94

مرتفعة، وهي مربعة الشكل تشرف مباشرة على الشارع وتقوم عادة على منصات مرتفعة. ويمكن إغلاق الدكاكين كلية في الليل، إذ ليس للدكاكين واجهات زجاجية ولذا فإن صاحب الدكان يستطيع إحكام إغلاق دكانه بقفل خاص. وبعض الأسواق مغطاة بكاملها كما ان لبعضها شرفات عريضة تبرز من الدكاكين نفسها»[١٦]. ونرى أن هذه الصورة العامة يصعب تعميم ملامحها الكلية على جميع الأسواق في مدن عمان، ولكن قد تنطبق على بعض منها، وقد تتشابه مع ملامح بعض الأجزاء منها، أو قد تتماثل مع جزئيات الصورة فيها، مثل الشوارع الضيقة، وتغطية السوق، وإشراف الدكاكين المباشر على الشوارع الضيقة. فصورة سوق مدينة صور يصعب اعتبارها مشابهة لنفس صورة سوق مدينة نزوى، أو صورة سوق مدينة بركاء، أو صورة سوق مدينة المضيبي، أو صور سوق مدينة الرستاق. ولكن إيقاع السوق، تنظيمياً، وإدارياً، وإنشائياً قد يتقارب إلى حد بعيد، وإن اختلفت التفاصيل التخطيطية، والمعمارية في سياق ونسيج الطابع العمراني العام.

ويرغم بناء سوق جيد بتقنية معاصرة تتوسل ملامحه محاكاة السوق القديم معمارياً إلى حد ما، إلا أن الدور الهام الذي اضطلع به النمط المحلي لم يعد متوافراً في النمط المعماري المعاصر. لقد اتسع السوق ممتدا على الشوارع الرئيسية متخلياً عن مركزيته. واصبح التنقل والحركة للوصول إلى بعض محلات ومكوناته بالسيارة عوضا عن السير على الاقدام، ففقد شيئا من دوره في التواصل، والتعارف، والتلاقي، فتراجع دوره في الحراك الاجتماعي، وإن ظل التبادل التجاري نشيطاً.

لقد أخذت الدول الغربية ومن بينها المانيا بفكرة مركزية السوق كي يكون مكاناً للاستمتاع والاتصال بين المواطنين بجانب التبادل التجاري والنشاط الاقتصادي. فحولت طرق السيارات ممرات للمشاة والمتسوقين. وأوجدت فراغات تشكل نقاط تجمع والتقاط. يرتاح في فضائها المتسوق، ويتزود من محلاتها المحيطة بها، ويستمتع بجولته في السوق، ويمارس فيه انسانيته.

---

(١٦) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي وتحقيق محمد بيبي، مؤسسة ستايسي الدولية، لندن ١٩٧٦، ص١٢٠

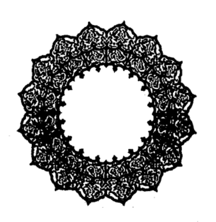
الخاتمة :

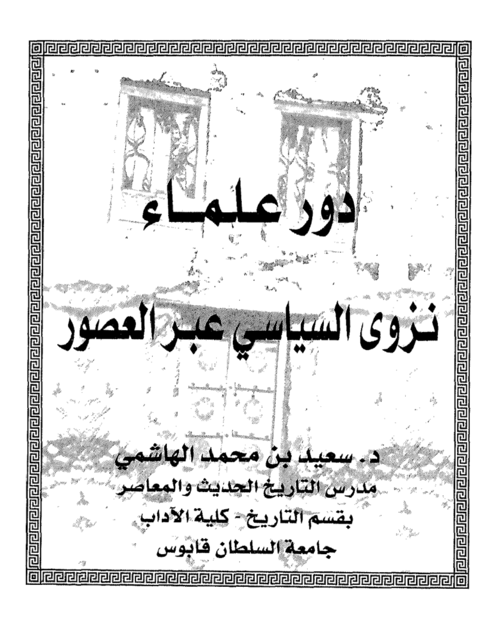
ناقشت الورقة بعضا من المؤثرات على العمران المحلي في مدينة نزوى، والتي شكلت مظاهر مورفولوجيا هذا العمران، ومنها: عامل المناخ. وأوضحت كيفية تأثيره في تخطيط الحارات السكنية في نطاق نسيج عمران المدينة، وكيفية تأثيره في توجيه المبنى، وإيجاد حلول معمارية مناسبة.

وكان لعامل اقتصاديات البناء أثره في اختيار طرق ومواد البناء الملائمة للبيئة التي استخلصها من لحمتها. وقد دفع ذلك إلى الاستدامة العمرانية.

أما العوامل الاجتماعية فإنها أثرت في تخطيط وعمارة المدينة. فاقتضت الحاجات الإنسانية توزيعاً للفراغات - في الحارات والسوق والمساجد والمساكن - يتوافق معها، وانسجاما مع شبكة علاقات الاستخدامات. وأوجدت الحلول للتعامل مع الرؤية، والحركة والاتصال، وتوفير الراحة والمتعة.

وللمحافظة على طابع عام للمدينة، تخلص الورقة الى التأكيد على أهمية تعامل المخططات المعاصرة مع ما سبق إيضاحه، والتنويه إليه. وتؤكد على أهمية النظر إلى حاجات المجتمع العمراني المتصلة بثقافته، وعاداته، وتقاليده أو قيمه الروحية والدنيوية. وللحصول على نسق يوصل ذلك فلابد من الاستعانة بالوسائل الفنية المناسبة، الآليات التنظيمية والتشريعية التي تحرص على الأخذ بمبدأ لا ضرر ولا ضرار، ولكن تعارف وتعاون وتوافق وتكامل وانسجام.




دور علماء
نزوى السياسي عبر العصور
د. سعيد بن محمد الهاشمي
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
بقسم التاريخ - كلية الآداب
جامعة السلطان قابوس

المقدمة :

أوحت لنا المصادر العمانية المختلفة بأن مدينة نزوى العريقة انجبت لهذه الأمة علماء مجتهدين بزغوا في سماء عمان، فضلا عن الفقهاء والقضاة ورجال السياسة والإدارة والثقافة.

وقد صادفتنا مشكلة كبيرة لدى التفريق بين علماء نزوى الاصليين والقادمين إليها من بعض المدن والقرى العمانية الأخرى، ثم استوطنوا فيها، حيث يجرهم دافع العلم والمعرفة والرزق والجهاد تحت راية هذا الإمام أو ذلك السلطان والملك.

ولقد توخينا الحذر الشديد في أن ننسب هذا العالم أو ذلك إلى نزوى، وقد حدانا هذا التحير لكون مدينة نزوى تربعت على باب السياسة عاصمة لعمان لفترات من الزمن، وقد أطلق بعض الكتاب المحدثين عنانهم فنسب كل عالم وفد واستقر في نزوى بأنه عقري وسمدي وسعالي ثم نزوي، وليس الأمر كذلك على الأقل في رأينا.

لهذا سوف أسلك منحى آخر حتى لا أقع في المحذور، واختصر بذكر كل من ينتسب إليها من العلماء الذين لهم مكانة سياسية عند الناس، وآثرت أن تكون هذه المكانة على مسار التاريخ العماني، واعتقد أن بعض العلماء الذين اسهموا في المجال الثقافي والاجتماعي سيكفيني الحديث عنهم زميلاى الشيخان: أحمد بن سعود السيابي، وأحمد بن سليمان الكندي اللذان سيتحدثان في هذه الندوة، بينما سيتركز حديثي هنا في المجال السياسي.

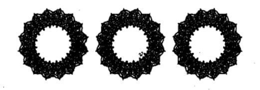
لعب علماء عمان دوراً بارزاً في المجال السياسي منذ قيام الإمامة الإباضية الأولى ١٣٢هـ، وأصبح من العادات الحميدة المتبعة في اختيار الإمام وتحلى بها الحكام في تودد العلماء وتقديرهم ورفع من مكانتهم، وانتقل هذا التوقير للعلماء إلى عامة الشعب فرضى العالم وبغضه يؤثر على سير حياة المجتمع وعلى الحاكم نفسه. ولهذا صادفنا في تاريخنا العريق أمثلة ثرية في علاقة العلماء بحكام عمان، ورعيتهم ولهم مواقف مشهورة في تاريخنا العماني.

ويمكن للباحث أن يرصد مجموعة من العلماء ينتسبون إلى القبائل العمانية المستقرة في مدينة نزوى أو الأسر النزوانية التي استقرت بها، وأنجبت لنا جملة من العلماء ذاع صيتهم وتحدث عنهم التاريخ وفق مقدار تأثيرهم في المجتمع.. ونذكر من هذه القبائل على سبيل المثال: قبيلة الكنود، وآل المفرّج، وبنوعفيف، وبنو مداد، وبنو نبهان، ومن استوطن هناك من العائلات بصورة فردية لكون مدينة نزوى تمثل عاصمة عمان.

ولمعالجة هذا الموضوع فإن الباحث حدد مبحثين لهذا الدور الحيوي والمؤثر في حياة المجتمع المحافظ.

١ ـ علاقة علماء نزوى بالحكام.

٢ ـ تولي العلماء المناصب الكبرى.



المبحث الأول
علاقة العلماء بالحكام

هدف الباحث من هذا المسار هو التعرف على دور علماء نزوى في تنصيب الإمام أو خلعه أو معارضته، ولا يقصد الباحث أن هذا المسار يتميز به علماء نزوى كما يفهم، إنما المقصود التعرف على دورهم بجانب العلماء الآخرين.

لقد لعب العلماء دورا بارزا في الحياة العامة، وقد أهلتهم مكانتهم العلمية التي أتاحت لهم أن يكونوا من أعضاء لجنة أهل الحل والعقد وهم أهل الشورى الذين يقومون بترشيح الإمام والتعرف على أهليته، وتوافق الشروط التي وضعوها وفق الشريعة الاسلامية. ولهذه المكانة كان على الدوام تواجد العلماء بجانب حكامهم يرشدونهم إلى الخير والصلاح، ويقدمون لهم النصح والمشورة والقول السديد في مواطن كثيرة تهم المجتمع العماني وتنظم حياته.

وقد اقتدى علماء عمان بصحابة رسول الله - رضى الله عنهم - في اختيار حكامهم وتنصيبهم، ووضعهم للإمام الشروط العامة والخاصة التي تتعلق برعاية الأمة، وكما أن الشريعة الإسلامية أجازت عزل الإمام إن جار أو ارتكب كبيرة ولم يتب عند العلماء (اطفيش: النيل: ١٤ :٣٤١).

والإمامة عند العمانيين هى نفسها مع عامة المسلمين فإنهم يرونها واجبة بنص الكتاب وسنة رسول الله (ﷺ) وإجماع الصحابة حيث ان الأمر والنهي لا يستقيمان إلا بالإمام العادل (أطفيش: النيل: ١٤: ٢٧١) وهكذا سار علماء عمان منتقين أئمتهم في نظم دقيقة وفق ما تمليه عليهم الشريعة الإسلامية، وحظي هؤلاء العلماء بالمكانة المرموقة في مجتمعهم.

وقد نصب العمانيون خلال تاريخهم الطويل ٦٤ إماما، تم تنصيب معظمهم في نزوى على أيدي علمائها وغيرهم، منهم من هو معروف والبعض تجاهلت مصادرنا ذكره ومكان إقامته ووفاته وأصله.. ألخ.

ومدينة نزوى هي عاصمة عمانية قديمة وتضاهي في القدم كلاً من قلهات ودبا وصحار والرستاق وبهلا ومسقط.. لكن نزوى اصطبغت بالصبغة الدينية أكثر من غيرها من العواصم العمانية التي تجلى فيها الطابع السياسي. ولهذا عرفت ببيضة الإسلام في عهد

الإمام غسان بن عبد الله الفجحي، واضحى لنزوى مكانة دينية عظيمة في نفوس العلماء وعامة الناس. وكأنها معلمٌ من معالم الأماكن المقدسة، بما تظهر به من احترام وإجلال وتقدير، يقول الشاعر الرواحي في نونيته:

فافرق بها البيد حتى تستبين لها   فرق على بيضة الإسلام عنوان

وأول من اتخذها عاصمة له هو الإمام محمد بن عبد الله بن ابي عفان (١٧٧هـ - ١٧٩هـ) حيث استقر بها من بعده أئمة الإمامة الإباضية الثانية (١٧٧هـ ـ ٢٨٠هـ) السبعة الباقون وبعض أئمة عمان الآخرين، وتبادل أئمة اليعاربة عاصمتهم بين الرستاق ونزوى واستقرت بها إمامة القرن العشرين دون غيرها.

دور علماء نزوى في الحياة السياسية

١ ـ *العلامة بشير بن منذر السامي (ت:١٧٨هـ)*

وكان أول ذكر لعلماء نزوي الذين لهم ثقل سياسي هو العلامة بشير بن منذر السامي وهو أحد حملة العلم الاربعة من العراق إلي عمان، وكان يلقب بالشيخ الكبير، ومات عام ١٧٨هـ، وعاصر عهد الإمام محمد بن عبدالله بن عفان اليحمدي، وقيل مات في عهد الإمام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩هـ - ١٩٢هـ) وهو الاصوب في نظرنا، حيث ورد عنه مقاله في أمر القائد العباسي عيسى بن جعفر (البطاشي ١:١٦٦). وقد احتج هذا العالم على تصرفات العلامة موسى بن ابي جابر الأزكوي (ت:١٨٥هـ) حينما نصب الامام محمد بقوله مخاطبا العلامة موسى «قد كنا نرجو ما نحب، فالآن قد رأينا ما نكره والحمد لله»، فرد عليه العلامة موسى «إنا فعلنا ما تحب» (يا أبا المنذر) (الازكوي:٢٥٤). كما ان العلامة بشير بن منذر صوب الشيخ يحيى بن عبد العزيز قاتل القائد العباسي عيسى بن جعفر في سجنه بصحار. والذي تجرأ بفعلته تلك دون علم الإمام الوارث بن كعب أو واليه على صحار، فقال بشير في ذلك: «قاتل عيسى بن جعفر لم يشم النار» (الازكوي:٢٥٦).

وذكرنا هذا العالم دون سواه من علماء أهل نزوى لكون أن علماء ازكي من بني سامة هم المتقدمون في العلم كالعلامة موسى بن ابي جابر سابق الذكر والعلامة علي بن عزرة الأزكوي، وابنائه موسى بن علي (ت:١٣١هـ) ومحمد بن علي وازهر بن علي، وحفيده موسى بن موسى بن علي المقتول في عام ٢٧٨هـ، والذي كان سببا في نهاية الإمامة

الإباضية الثانية حيث جلب أنصاره الدولة العباسية وأتوا بمحمد بن نور ناصرا لهم ضد الإمام عزان بن تميم الخروصي في عام ٢٨٠هـ وبجانب هؤلاء علماء كثيرون منهم علماء آل الرحيل محبوب وابنه محمد بن محبوب بن الرحيل وغيرهم.

٢- ***العلامة أبو عثمان سليمان بن عثمان النزوى،*** هو من العلماء الأجلاء في مدينة نزوى وصفه الفارسي (ص:٧٧) انه «ذو سعة في العلم وأصالة في الرأي» وهو من العلماء الذين نصبوا الامام غسان بن عبد الله، وكان له موقف حول التريث في انتخاب الامام ريثما يتصلون بزملائهم من العلماء لكن العلامة مسعدة بن تميم اعترض عليه. وللعلامة سليمان أحكام مأثورة وآراء فقهية مشهورة، وتقلد قضاء نزوى مدة طويلة في زمن الإمام غسان.

٣ ـ ***العلامة مسعدة بن تميم النزوي،*** هو من علماء نزوى المشهورين، وهو الذي انفرد برأي حول قبول شهادة أمين واحد في رد المطلقة. كان الشيخ مسعدة من الذين بايعوا الامام غسان بن عبد الله بعد موت الإمام الوراث في عام ١٩٢هـ، وكان له موقف حازم حول ذلك، حينما اختلف العلماء مع العلامة سليمان بن عثمان حول تأجيل الانتخاب (السالمي: التحفة: ١٢٢:١؛ البطاشي: ٤٤٠:٢؛ الفارسي: ٩٣-٩٤).

٤ ـ ***العلامة ابو معاوية عزان بن الصقر اليحمدي (ت:٢٦٨هـ)،*** وهو من علماء نزوى المشهورين في القرن الثالث الهجري، وكان زميلا للعلامة الفضل بن الحواري. له مسائل كثيرة في الفقه. كان من العلماء الذين نصبوا الإمام الصلت بن مالك عام ٢٣٧هـ (السالمي: التحفة: ١٩٦:١؛ البطاشي: ٤٤٠:٢؛ الفارسي: ٨٠-٨١).

٥ ـ ***العلامة خالد بن سعوة النزوي،*** هو علامة فقيه عاش في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري. شهد أحداث عزل الصلت بن مالك عن الإمامة وكان معارضا للعلامة موسى بن موسى، ولذلك اشترك في معركة الروضة، لكن أسره جيش الإمام راشد وسجن ثم اطلق سراحة. بعد سنة من الزمان. للعلامة خالد آراء فقهية، وفتاوى كثيرة حوتها كتب الفقه العماني (الفارسي:٨٨).

ولا حاجة لنا في تتبع دور العلماء في مسألة الصراع الفكري الذي نشأ حول الولاية والبراءة على إثر عزل الإمام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧هـ - ٢٧٣هـ)، والتي استمرت فترة طويلة من القرون بين مؤيد ومعارض للعزل، وانتهت الإمامة الإباضية الثانية عام

٢٨٠هـ بدخول الوالي العباسي محمد بن نور ناصرا الفرقة النزارية من خصمائهم اليمانية في عمان وقتل إمامها في معركة سمد الشأن.

٦ - ***محمد بن روح بن عربي الكندي***، وقد ساهم علماء نزوى في ذلك الجدل حول مصير الأمة العمانية بعد عزل الصلت بن مالك الخروصي، فهذا محمد بن روح بن عربي الكندي وهو نزوي ومن تلاميذ العلامة محمد بن الحواري والعلامة الإمام محمد بن الحسن، والعلامة مالك بن غسان بن خليد، يكتب سيرة طويلة وضع فيها الاحداث التي ترتبت على عزل هذا الإمام وبين فيها مذهبه السياسي منها.

وفي اعتقادنا أن هذا الأمر تأثر به تلميذه أبو سعيد محمد بن سعيد الكدمي الذي حاول أن يستعرض أفكار الفريقين المؤيد للعزل والمعارض له، وتبني فكرة السكوت عن ذلك ولهذا سميت مدرسته بالمدرسة النزوانية وذلك من أجل توحيد كلمة عمان، ونسيان الاحداث الماضية التي طهر الله أبدانهم وأفكارهم، وهى فتنة ابتلي بها العمانيون في ذلك العصر (دليل أعلام عمان:١٤٥).

ولاجل البيان أنه دار حول العزل خلاف فقهي كبير، وقامت مدارس فكرية تؤيد هذا الرأي أو ذاك، أساس هذا الاعتقاد في ظاهره فقهي وحقيقة جوهره سياسي، وتمحورت هذه الافكار خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، ونتج من ذلك ظهور إمامتين في عمان في نفس الفترة، إحداهما تمثل المدرسة الرستاقية والأخرى تعتنق مبادىء المدرسة النزوانية، ولهذا فإن الحديث فيهما يطول، ودور العلماء فيهما أطول سواء من علماء نزوى أو غيرهم من علماء عمان.

وبعد القرن الثالث للهجرة لم تظهر لنا المصادر التي بين أيدينا أسماء علماء من نزوي لهم مكانتهم السياسية وأعتقد أن الإمامة الأباضية الرابعة (٤٠٧هـ - ٥٧٩هـ) فقدت كثيرا من تاريخها ولم نعرف من عهدها إلا القليل فما بالك بالعلماء ونسبهم فهذا العلامة نجاد ابن ابراهيم المنحي (ت:١٧ رجب٥١٣هـ) فقدت أصولهم وما دلنا على هويتهم إلا نسبهم إلى مدينة منح مع علمنا أن نشاطهم العلمي والسياسي كان بين نزوى والرستاق، وقد عرفنا من هذه الأسرة جملة من العلماء وكذلك أئمة (البطاشي: ١:٢٨٨).

وإذا كان فقدنا الدور السياسي لعلماء نزوى في هذه الحقبة من الزمن(من القرن: هـ٣

ـ القرن ٨هـ) لعدم توثيق تلك الفترة، فإن مآثرهم تجلت في تصنيف الكتب، لهذا أفرز لنا القرنان الخامس والسادس الهجريان جملة من علماء نزوى نذكر منهم محمد بن إبراهيم الكندي (ت:١٠ رمضان ٥٠٨هـ) صاحب كتاب بيان الشرع (البطاشي: ١:٢٣٦-٢٤٦)، ومحمد بن موسى الكندي صاحب كتاب الكفاية وأحمد بن عبد الله بن موسى الكندي (ت:١٥ ربيع الأول٥٥٧هـ) صاحب كتاب المصنف (البطاشي:١:٢٥٣-٢٦٤).

ولكن علينا أن نتذكر أن حول كل إمام من أئمة عمان المنتخبين بطانة من العلماء المجتهدين سواء من أهل المدينة التي نصب فيها الإمام أو من دار إمارته أو من الذين بيدهم عقدة «الحل والعقد» وتوافدوا لنصرة الإمام أو خدمته، ولم يتخل أئمة عمان أو سلاطينها عن وجود البطانة من العلماء على أقل الاحتمالات لكسب ثقة الناس بهم.

في القرن ٩هـ/١٥م ظهرت الإمامة الاباضية من جديد بعد أن اختفت أكثر من ٢٣٠ سنة وصنفناها بالإمامة الاباضية الخامسة (١٤٠٦/٨٠٩-١٥٥٨/٩٦٤) - في تصنيفنا - وعرفت هذه الإمامة مجموعة من الأئمة حيث وصل عددهم إلى ثمانية أئمة خلال هذا القرن. وقد قام الباحث بتقسيم هذه الإمامة إلى ثلاث فترات: الفترتين الأولى والثانية كانت في القرن ٩هـ/١٥م، بينما كانت الفترة الثالثة في القرن ١٠هـ/١٦م. أما أئمة الفترتين الأولى والثانية فعلى النحو التالي:

١ - الإمام الحواري بن مالك (٨٠٩هـ - ٨٣٢هـ)

٢ - الإمام مالك بن الحواري بن مالك (٨٣٢هـ - ٨٣٨هـ)

٣ - الإمام أبو الحسن راشد بن خميس بن عامر (٨٣٨هـ - ٨٤٦هـ)

٤ - الإمام عمر بن الخطاب بن محمد الخروصي (٨٨٥هـ - ٨٩٤هـ)

٥ - الإمام محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج (٨٩٤هـ - ؟)

٦ - الإمام عمر بن الشريف (.................)

٧ - الإمام أحمد بن محمد الربخي (.................)

٨ - الإمام أبو الحسن بن عبد السلام (.... - ٨٩٦هـ)

نُصب بعض هؤلاء الائمة في نزوى، والبعض الآخر في منح أو الرستاق حيث كانت دولة بني نبهان الأولى (٥٧٩هـ - ٩٠٦هـ) تسيطر على بعض أقاليم عمان ويتمركز حكمهم

في نزوى وبهلاء، ولا تسعفنا المصادر في أن نجزم في نسب هؤلاء الائمة إلى نزوى أو غيرها، وإن استقر بها البعض، إلا أن الباحث يظن أن الإمام أبا الحسن راشد بن خميس بن عامر هو من نزوى، إذا كان الإمام أبو الحسن بن عبد السلام هو من نسل أُبي الحسن كما يروي الشيخ البطاشي ـ طيب الله ثراه ـ (البطاشي:٢:متفرقات).

وكان بجانب هؤلاء الائمة جملة من العلماء سواء من أهل نزوى أو غيرهم ونذكر على سبيل المثال الإمام الخامس وهو محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج البهلوي هو من أصل بهلوي أي من مدينة بهلاء ثم انتقل إلى نزوى وكان من أكبر العلماء وقدوتهم تولى منصب قاضي القضاة في محرم من عام ٨٧٥هـ بعد وفاة العلامة ورد بن أحمد المفرجي (ت:ذي الحجة ٨٧٤هـ)، قبل قيام إمامة الامام عمر بن الخطاب (ت:٨٩٤هـ) بعشر سنوات، ثم تناوب هذا العلامة بين منصب قاضي الإمام الاكبر ونائبه وبين تولي الإمامة في حالة خلو هذا المنصب من الإمام أكثر من مرة ريثما يستقر رأي العلماء على إمام تتوفر فيه شروط الإمام، وحظي هذا العلامة بدعم كبير من أهل الحل والمشورة وعامة الناس.

ونبغ في هذا القرن ٩هـ/١٥م علماء كبار أثروا في الحياة السياسية، كالعلامة أحمد بن مفرج والعلامة ورد بن احمد، والعلامة صالح بن وضاح والعلامة صالح بن محمد والعلامة ابن عبد الباقي وغيرهم. لهذا نجد جملة من هؤلاء العلماء يعقدون مؤتمرا فقهيا في مدينة نزوى بطلب من السلطان سليمان بن مظفر بن سليمان النبهاني (ت:٨٧١هـ) يتداولون في شرعية إقامة صلاة الجمعة في نزوى ـ حسب شروط المذهب الاباضي ـ ولكي يلزم السلطان أهل نزوى بها، لكن المجتمعين قرروا عدم شرعية صلاة الجمعة في نزوى في هذه الظروف وبالتالي لا يحق للسلطان أن يجبر الناس على تأدية صلاة الجمعة، وهي معارضة كبيرة خلقت أوضاعاً غير عادية عند السلطان وأتباعه واحدثت همساً اجتماعياً كبيراً في معارضة السلطان وأفكاره.

وخلال القرن العاشر للهجرة الموافق القرن السادس عشر للميلاد نجح علماء عمان في إسقاط دولة بني نبهان الأولى (٥٧٩هـ/١١٨٢م ـ ٩٠٦هـ/١٥٠٠م)، وتم تنصيب الإمام محمد بن إسماعيل إماما لعمان وذلك في عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م ثم توالى تنصيب الأئمة على النحو التالي:

١ - الإمام محمد بن اسماعيل الاسماعيلي (٩٠٦هـ/١٥٠٠م - ٩٤٢هـ/١٥٣٥)

٢ - الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل (٩٤٢هـ/١٥٣٥م - ٩٦٤هـ/١٥٥٦)

٣ - الإمام عبد الله بن محمد بن عبد الله القرن المنحي (٩٦٧/١٥٥٩ - ؟)

٤ - الإمام عمر بن قاسم الفضيلي (............)

٥ - الإمام عامر بن راشد بن محمد بن سعيد (٩٧٦/١٥٦٨ - ......)

واستقام العمانيون للإمامين محمد بن إسماعيل وابنه بركات بن محمد ونصرتهما إلى حد ما بينما الائمة الثلاثة الآخرون فقدوا الدعم الوطني، حيث كان تنصيبهم من دون مشورة ولا رضى من جميع العلماء وأهل الشورى، لهذا استغل الأمير سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني هذه الظروف ونجح في تكوين الدولة الثانية لبني نبهان، وذلك بعد الإطاحة بإمامة بركات بن محمد في عام ٩٦٤هـ/١٥٥٦م، حيث تسابق الناس في دعم الامير سلطان بعد أن رأوا التناحر بين هؤلاء الائمة دون مبالاة (ديوان اللواج).

ويُعْزَى نجاح الأمير سلطان بن محسن إلى أن بعض العلماء استنكر إمامة بركات بن محمد وأبيه وطعن فيهما ودعا إلى عزلهما، ولهذا تضعضعت الإمامة مما حدا بالعلماء إلى عزل الإمام بركات ومبايعة عمر بن قاسم الفضيلي في منح، وأصبح في عمان إمامان، أحدهما في نزوى والآخر في منح وبهلا، لهذا سارع الناس إلى تأييد العنصر النبهاني والقضاء على الإمامين بركات بن محمد الاسماعيلي وعمر بن قاسم الفضيلي.

والإمام محمد بن إسماعيل وابنه بركات هم من أعلام نزوى، ثم أصبحا من علمائها لوجود فتاوى من الإمام محمد في قضية بيع الخيار، وموافقة علماء عصره على آرائه في اجتماع عقد لهذه الغاية في عام ٩٢٨هـ.

ونبغ في هذا القرن علماء أفذاذ قادوا المسيرة العلمية والسياسية ويتبين من وثيقة مصادرة أموال بني رواحة المؤرخة في ٩٠٩هـ، ووثيقة تحريم بيع الخيار وهو - بيع الإقالة - الصادرة في عام ٩٢٨هـ في عهد الإمام محمد بن إسماعيل تشير هاتان الوثيقتان إلى كثرة العلماء الذين صادقوا على الوثيقتين.

ومن هؤلاء العلماء الذين ينتسبون إلى نزوى: العلامة عبد الله بن مداد بن محمد وابناه محمد ومداد والعلامة محمد بن علي بن عبد الباقي والعلامة القدير عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي وهم من العلماء الذين نصبوا محمد بن إسماعيل وولده بركات بن محمد. غير

أننا وجدنا أن العلامة أحمد بن مداد بن عبد الله يتحامل على الإمام بركات وأبيه ويكتب سيرة طويلة تحدث فيها عن عدم شرعيتهما ويدعو إلى خلع الأخير ولهذا تحقق ما أراد حيث نصب الإمام عمر بن قاسم الفضيلي، لكن بركات رفض الخلع واستمر على إمامته حتى ثار عليه الأمير سلطان بن محسن النبهاني كما ذكرنا آنفا.

٧) الشيخ أحمد بن مداد بن عبد الله بن مداد الناعبي.

هذا العلامة من بيت علم كان والده الشيخ مداد من جملة العلماء الذين عقدوا البيعة للإمام محمد بن إسماعيل. كما أن له أخاً يدعي عبد الله بن مداد يعتبر أيضا من أكابر العلماء في القرن السادس عشر الميلادي، وبرز دور الشيخ أحمد في معارضته للإمام محمد بـن إسـمـاعـيـل (٩٠٦هـ/١٥٠٠هـ-٩٤٢/١٥٣٥م) وابـنـه بـركـات (٩٤٢هـ/١٥٣٥م-٩٦٤هـ/١٥٥٨م). وذكر الأزكوي (كشف الغمة:٧٥ ومابعدها) كان الفقيه أحمد بن مداد يتبرأ من الإمام محمد بن إسماعيل وولده بركات بن محمد. وذلك أن الشيخ أحمد كان يستنكر ما قام به الإمام محمد من جبايته الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية لهم ومنع الجور والظلم والعدوان عنهم. كما أنه أجبر رعيته على شراء الزكاة من ثمرة النخل بما تقدمه أعوانه وعماله من الدنانير وأخذ القيمة بالجبر من رعيته.. ولنفسه واعوانه. وبعض العلماء المعاصرين للشيخ يعذرون الإمام ويحتجون له بحجج لكن الشيخ أحمد لم يقبل تلك الحجج حيث يري أن هذه المسألة ليست بموضع رأي ولا اجتهاد. وأخذت القضية بعدا سياسيا حيث أن الشيخ أحمد أبطل إمامة بركات بن محمد ونصب عمر بن قاسم الفضيلي إماما بدلا منه، فقال (كشف الغمة:٨٠)... إجازة الإمامة للإمام العدل الولي عمر بن قاسم الفضيلي أيده الله ونصره وإبطال إمامة بركات بن محمد المشهور في السيرة، فأعينونا عليه واشهدوا بالحق والصدق ولو على أنفسكم (البطاشي:٢:٧٧، السالمي:١:٣٨٤).

وأخذت القضية تزداد تعقيدا حيث أن المعارضين من العلماء لآراء الشيخ أحمد والمعارضين كذلك الأمير سلطان بن محسن النبهاني الذي أطاح بالإمام بركات قاموا بانتخاب ائمة آخرين. واصبح أكثر من إمام واحد على الساحة السياسية لهذا نرى هؤلاء الأئمة يفشلون في إتخاذ موقف موحد لمواجهة عدوهم المشترك الأمير النبهاني والذي انتهي به الأمر أن ينتزع مدينة نزوى منهم وأصبحت عمان خلال الستينيات والسبعينيات من القرن السادس عشر مسرحا لنزاعات مما أدي إلى اختفاء دور الأئمة وتشتت العلماء في

البلدان، ولم يجتمع شملهم على رأي واحد قرابة ٧٠ سنة القادمة.

بعد انهيار دولة بني نبهان الثانية عام ١٠٢٦هـ/١٦١٧م توزعت المدن العمانية على امرائها وشيوخها. فعم الفساد واضطرب الحال وتعسف الحكام وساد الظلم واختل الأمن، أمام هذه الأوضاع لملم العلماء وحدتهم وتناصروا لوحدة عمان ومصيرها والخروج من دوامة الصراع القبلي إلى دولة قوية تناهض الاستعمار البرتغالي المخيم على السواحل العمانية منذ عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م، لهذا اجتمعوا في مدينة الرستاق بقيادة العلامة خميس ابن سعيد الشقصي على إثر وفاة سلطانها مالك بن ابي العرب بن سلطان اليعربي، وتمخض عن هذا الاجتماع تنصيب ناصر بن مرشد بن مالك، حفيد السلطان الراحل إماما لعمان وبذلك نجح العلماء في إحياء الإمامة السادسة التي تعرف بدولة اليعاربة والتي استمرت حوالي ١٣٠ سنة، برز خلالها من علماء نزوى عدد كبير وارتفعت مكانتهم وأثروا في الحياة السياسية وكذلك كانوا في عهد اسرة آل بو سعيد من تأسيسها عام ١٧٤٩م.

والجدول التالي يوضح أئمة دولة اليعاربية:

١١ ـ الإمام ناصر بن مرشد بن مالك اليعربي (١٠٣٤/١٦٢٤ ـ ١٠٥٩/١٦٤٩)

١٢ ـ الإمام سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (١٠٥٩/١٦٤٩ ـ ١٠٩٠/١٦٧٦)

١٣ ـ الإمام بلعرب بن سلطان بن سيف اليعربي (١٠٩٠/١٦٧٦ ـ ١١٠٤/١٦٩٢)

١٤ـ الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي (١١٠٤/١٦٩٢ ـ ١١٢٣/١٧١١)

١٥ـ الإمام سلطان بن سيف بن سلطان اليعربي (١١٢٣/١٧١١ ـ ١١٣١/١٧١٨)

١٦ـ الإمام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي (١١٣١/١٧١٨ ـ اكثر من مرة)

١٧ـ الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد اليعربي (١١٣١/١٧١٨ ـ ١١٣٤/١٧٢١)

١٨ـ الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف (١١٣٤/١٧٢١ ـ سنة واحدة)

١٩ـ الإمام محمد بن ناصر بن عامر الغافري (١١٣٧/١٧٢٤ ـ ١١٤٠/١٧٢٨)

٢٠ـ الإمام سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي (١١٥٤/١٧٤١ ـ ١١٥٧/١٧٤٤)

٢١ـ الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان اليعربي (١١٥٨/١٧٤٥ ـ ١١٦٢/١٧٤٩)

كما حظيت دولة ألبو سعيد بثلاثة أئمة هم:

١ ـ الإمام احمد بن سعيد بن أحمد البو سعيدي (١١٢٣هـ/١٧٤٩م ـ١١٩٨هـ/١٧٨٢)

٢ ـ الإمام سعيد بن الإمام احمد البو سعيدي (١١٩٨هـ/١٧٨٢ ـ١٢٢٥هـ/١٨١٠م)

٣ ـ الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس (١٢٨٥هـ/١٨٦٨ ـ١٢٨٧هـ/١٨٧١م)

وبقية حكام البوسعيد الذين بلغوا تسعة وأولهم في السيادة السيد سلطان بن الإمام احمد (١٢٠٧هـ/١٧٩٢م ـ ١٢١٩هـ/١٨٠٤م)، وأول سلاطينهم السلطان تركي بن سعيد بن سلطان (١٢٨٧هـ/١٨٧١م ـ ١٣٠٥هـ/١٨٨٨م)، وبقية السلاطين معروفون، وفي عهدهم حققت عمان مجدها الضائع منذ سنوات سواء في القرن التاسع عشر الميلادي حينما أسس السيد سعيد بن سلطان (١٢١٩هـ / ١٨٠٤م ـ ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م) امبراطورية كبيرة شملت أجزاء من قارة آسيا وقارة أفريقيا، أو في القرن العشرين، حينما نقل جلالة السلطان قابوس عُمان من العصور الوسطى إلى التحديث والحكومة المدنية في نهضته التصحيحية المباركة عام ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

وفي عام ١٣٣١هـ/١٩١٣م قام علماء عمان وبدعم القبائل العمانية بإحياء الإمامة في عمان الداخل والتي اتخذت نزوى عاصمة لها طيلة نيف واربعين سنة من عمر الإمامة (١٩١٣م ـ ١٩٥٥م).

وقد ساهم علماء عمان بمن فيهم علماء نزوى في إقامة صرح كبير لدولة اليعاربة والبوسعيد، وغدت منارة فكر وثقافة وحضارة في شتى المجالات، وجدير بنا أن نشير إلى علماء نزوى في عصر دولة اليعاربة ونذكر منهم:

٨ ـ **العلامة مسعود بن رمضان النبهاني** (ت: ١٠٥٠هـ)، وكان على رأس المؤيدين للإمام ناصر بن مرشد اليعربي (١٠٣٠هـ/١٦٢٤م ـ ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) وكان قاضيه الثاني وقائد جيوشه لتوحيد عمان ولطرد الغزاة البرتغاليين منها.

٩ ـ **العلامة صالح بن سعيد الزاملي النزوى** (ت:١٠٨٣هـ) كان قاضيا للإمام ومسانداً له وداعيا لنصرته، ولكن هذا الشيخ كان ضريرا لم يحمل السلاح ولم يجاهد بالسيف إنما كان جهاده بالعلم ولذلك خلف مسائل فقهية كثيرة من الفتاوى جمعت في مجلدين تحت مسمى «جوابات الشيخ صالح».

١٠ - **العلامة صالح بن سعيد المعمري**، الذي ساند الإمام ونصره وتولى له وظيفة القضاء في المدن العمانية.

١١ - **العلامة الكبير عبد الله بن محمد بن غسان الكندي** (ت:١٠٥٠هـ) قاضي الإمام ناصر وقائده العسكري على البغاة في ظاهرية عمان وكذلك انضم إلى العلامة مسعود بن رمضان النبهاني في إحدى حملاته على البرتغاليين في مسقط، وله كتاب يدعى «خزانة الأخيار في بيع الخيار» وهو يعالج قضية بيع الخيار التي تفشت خلال عهد الإمام محمد ابن إسماعيل وعقد مؤتمر لهذه الغاية كما مر منا.

١٢ - **العلامة سعيد بن أحمد بن محمد الخراسيني** صاحب النصحة المشهورة، كان من علماء دولة الإمام ناصر بن مرشد والإمام سلطان بن سيف اليعربي، ويبدو أنه كان صاحب قلم بليغ لهذا كلفه الإمام ناصر بن مرشد بمراسلة أباضية المغرب ليشرح لهم أحوال عمان، وأخبارها وبعض المسائل الفقهية (الخراسيني:فواكة العلوم:١)

١٣- **الشيخ ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد الناعبي**، هو من بيت علم وقد تبوأت اسرته مكانة علمية كبيرة، وقد أشرنا إلى هذا البيت حينما ذكرنا الشيخ أحمد بن مداد بن أحمد في القرن السادس عشر وامتد عطاء هذه الأسرة إلى القرن الثامن عشر لنرى دور هذه الأسرة، وقد مر بنا ذكر هذا العالم الذي اشترك في بيعة الإمام سلطان بن سيف عام ١٧١١م. وكان الشيخ ناصر قد عقد البيعة للشيخ محمد بن ناصر الغافري إماما وقد حاول الأخير الاستعفاء من ذلك لكن الشيخ ناصر والشيخ عبد الله بن محمد بن بشير بن مداد والي نزوى آنذاك أصرا على اختيار الغافري في هذا المنصب لمكانة الغافري العسكرية والسياسية، وكان الشيخ الغافري لايزال يخوض حربا شرسة مع زعيم بني هناة الشيخ خلف بن مبارك الهنائي ولهذا فإن الشيخ الغافري مؤهل لهذا المنصب القيادي وليس الديني ولهذا كانت إمامته إمامة دفاع حتى تضع الحرب أوزارها.

على أية حال قبل الشيخ الغافري المنصب وقام بواجبه في صد غزوات الهنائية لمدة اربع سنوات عجاف عانى منها المواطن معاناة شاقة حتى لقي الغافري حتفه هو وغريمه خلف في معركة واحدة بصحار عام ١١٤٠هـ/١٧٢٨م وقد عقد السيابي مقارنة بينه وبين الصحابي الجليل خالد بن الوليد حيث لم يهزم كلاهما في معاركهما التي خاضاها

ويروى عن الشيخ الغافري أنه قال وهو بصحار إن هذه المعركة لا لنا ولا علينا. وكان ذلك بالفعل انتصاراً للفرقتين.

ولكي يطفيء الشيخ ناصر بن سليمان نار الفتنة، ويحد من سفك الدماء، عقد البيعة بالإمامة لسيف بن سلطان وهو في هذا الوقت قد بلغ من العمر ما يؤهله أن يكون إماما وكان ذلك في ١٠ شعبان ١١٤٠هـ/٢٣مارس ١٧٢٨م ويعلل الشيخ السالمي موافقة الشيخ ناصر بن سليمان في تنصيب سيف إماما فيقول: (وإنما قدموه إماما لتقدم ولايته بسبب ولاية أبيه فإن أباه كان إمام المسلمين وكانت ولايته على رعيته واجبة وأطفاله تبع له في ذلك حتى يبلغوا ويحدثوا حدثا يخرجهم من الولاية عند المسلمين، (وقيل إن البالغ منهم يكون في الوقوف حتى يعلم منه حال يوالي عليه أو يعادي عليه، فتمسك القاضي (ناصر بن سليمان) بأول القولين نظراً منه للأمة وطالبا للسداد ومحاولة لجمع الشمل. وبهذا العمل أطفأ الشيخ ناصر نار الشقاق ولو لمدة وجيزة.

١٤ ـ **الشيخ عبد الله بن محمد بن بشير بن مداد الناعبي**، لقد أشرنا إلى دور هذا الشيخ حينما كان واليا لنزوى مع ابن عمه ناصر بن سليمان وأنه اشترك في تنصيب الشيخ الغافري والأمير سيف بن سلطان الثاني بعد مقتل الإمام الغافري سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٨م في مدينة صحار.

١٥ـ **الشيخ سعيد بن بشير بن محمد الصبحي (ت:١١٥٠هـ)**، هذا العالم لم أجد له ترجمة مع أنه شارك في احداث النصف الأول من القرن الثامن عشر وهو كما عرفنا من رسالته التي ذكرها العلامة نور الدين السالمي لم يحضر عقد بيعة الإمام سلطان بن سيف لكنه الزم نفسه بطاعة الإمام سلطان وإن إمامته ثابتة بلا كراهية ولا تقية من الجميع. والشيخ الصبحي له فتاوى كثيرة وقد جمعت فتاواه في مجلدين كبيرين وكان هذا الشيخ ضريرا.

الشيخ سعيد الصبحي أثار قضية سهلة وصعبة في نفس الوقت وقد عرفنا سلفا أن الإمام سيف بويع بالإمامة عام ١١٤٠هـ/١٧٢٨م وظل لمدة خمس سنوات محمود السيرة لم يطعن عليه طاعن، إلا أنه في ١١٤٤هـ/١٧٣١م طلب الإمام سيف أبن سلطان زيادة مخصصاته الشهرية من الشيخ سعيد الصبحي وكان الوالي الشيخ سالم بن راشد البهلوي يؤيد الإمام سيف في طلب الزيادة، لكن الشيخ الصبحي رفض هذا الطلب بدعوى أن هذه

المخصصات فرضت منذ أيام الإمام ناصر بن مرشد - منذ مائة وعشرة أعوام - ولا يجوز زيادتها في نظر الشيخ سعيد الصبحي. وقد احتج الإمام سيف على ذلك بدعوى أن العلماء قد وافقوا على زيادة مخصصات الإمام محمد بن ناصر الغافري (١٧٢٤م - ١٧٢٨م) التي كانت اكثر من راتبه، وأنه يكفيه ما أعطي الغافري.

على أية حال تغيرت أحوال الإمام سيف بعد أن رفض طلبه، وغضب على العلماء، ورأوا منه أنه غيّر السيرة ولم يستجب لهم، وغير مبالٍ بهم لا بل إنه تخاصم معهم ورأوا منه ما يعكر صفو العلاقة بينه وإياهم كما انه لم يعرهم الاهتمام ولم يقربهم في مجلسه. لهذا رأى هؤلاء العلماء عدم أهليته للأمامة، وقرروا خلعه لاسباب عدّوها خروجا على المألوف وبعداً عن سجايا سلوك وأخلاقيات الوظيفة المنوطة به. فاقتضى الحال عزله وتنصيب ابن عمه بلعرب بن حمير بن الإمام سلطان بن سيف وكان ذلك في ١١٤٦هـ/١٧٣٣م، فقام الصراع بين الإمامين: المخلوع والمنصب، واستفحل الخلاف بين الإمامين مما استدعى الاستعانة بقوى أجنبية من السند وبلاد فارس من قبل الإمام المخلوع سيف، ولكن هذه القوة لم تحرك ساكنا سوى النهب والسلب والاغتصاب والأسر وبيعت كرائم العمانيين وفتيانهم في أسواق النخاسة في شراز والمدن الهامة في إيران وكان ذلك خلال عامي ١١٥٠هـ/١٧٣٧م و١١٥١هـ/١٧٣٨م.

لكن تنازل الإمام بلعرب عن الإمامة حقنا للدماء وما رآه من الفظائع الفارسية لسيف ابن سلطان المخلوع بعد توسط بني غافر في الأمر وأن المصلحة تقتضي ذلك، مما خفف من الاضطرابات الداخلية، ورجعت القوى الأجنبية إلى أوطانها، وظل هذا الوضع لمدة أربع سنوات.

أما وجهة نظر العلماء فكانت غير ذلك، حيث لم يرضوا عن هذا التنازل ولا عن مسيرة الإمام سيف لأنه مخالف للشريعة الإسلامية، ثم قاموا بتنصيب سلطان بن مرشد بن عدي اليعربي في ١١٥٤هـ/١٧٤٢م إماما لعمان. ولم تسعفني المراجع في معرفة العلماء الذين عقدوا البيعة لسلطان بينما ذكرت هذه المصادر أنه اجتمع من مشايخ العلم من بهلا ونزوى وأزكي ورؤساء القبائل من بني غافر ووادي سمائل ومشايخ المعاول في مدينة نخل وقرروا مبايعة سلطان بالإمامة، محتجين بأن سيفاً قد خلعه العلماء من مدة وأن بلعرب خلع نفسه دون الرجوع إلى العلماء، واكتفى بالمصالحة مع ابن عمه سيف.

وكان الشيخ سعيد الصبحي قد مات في بداية عام ١١٥٠هـ/١٧٣٧م. فقام صراع آخر بين سيف والإمام سلطان وتدخلت الفرس مرة ثانية عام ١١٥٥هـ/١٧٤٣م، ولم تخرج القوات الفارسية إلا على يد أحمد بن سعيد والي صحار آنذاك بعد أن استشهد الإمام سلطان في صحار وموت سيف في قصره بالحزم حزينا مهموما نادما عما اقترفه من ذنوب في حق العمانيين وحباً وطمعاً في السياسة.

١٦- الشيخ حبيب بن سالم بن سعيد بن محمد أمبو سعيدي، هذا الشيخ كان ضريرا مثل الشيخ الصبحي. وقد عوضه الله بقلب حافظ نبيه تولي رياسة القضاء في نزوى وعليه تدور أمور الدولة وكان من العلماء المعاصرين له المشايخ سالم بن راشد البهلوي، وراشد ابن سعيد الجهضمي، ومحمد بن ناصر الحراصي، ومحمد بن عامر الكندي، ومحمد بن خلف ابن خميس بن سعيد الشقصي، وسالم بن خميس بن عمر العبري (ت:١١٦٠هـ) والشيخ المصنف محمد بن راشد بن عامر المعروف بإبن عريق المعولي مؤلف كتاب «قصص وأخبار جرت في عمان» و«كتاب المهذب» و«كتاب التهذيب».

بعد خروج الفرس من عمان في عام ١١٥٦هـ/١٧٤٤م بفضل سياسة أحمد بن سعيد(*) البوسعيدي والي صحار، صارت منطقة الباطنة بما فيها مسقط والرستاق خاضعة لأحمد ابن سعيد، بينما المناطق الداخلية كانت قد استولى عليها بلعرب بن حمير الإمام الذي خلع نفسه عام ١١٥٠هـ، حيث كان متخفيا في وادي بني غافر بعيدا عن موطن الصراع. ادعى بلعرب بالإمامة. واحتج على العلماء بأنه أحق بالإمامة وأنه تنازل عنها لسيف حقناً للدماء وأن الإمام سيف هذا قد مات وكذلك الإمام سلطان بن مرشد. وعلى الظاهر اقتنع العلماء بذلك معتمدين على بيعته الأولى وأنه لم يحدث حدثا يخرجه من الولاية، وجددت له البيعة ويتشكك الشيخ نور الدين السالمي في بيعة بلعرب الثانية، ونحن يراودنا الشك أيضا لكن في كتاب «تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة» الذي جمعه عبد المجيد القيسي من كشف الغمة وغيره ما يكشف ريبنا ويجلي همنا حيث يذكر أن ثمة بيعة كانت

(*) اعتمد الباحث على بعض المصادر العمانية التي تشير إلى أن مبايعة السيد أحمد بن سعيد بالإمامة كانت سنة ١٧٤٩م، ومن هذه المصادر كتاب «تاريخ عمان» المقتبس من كتاب «كشف الغمة، تأليف: سرحان بن سعيد الأزكوي العماني، وتحقيق عبد المجيد حسيب القيسي، ص١٥٥ حيث يذكر المؤلف الأزكوي أن المبايعة عقدت بالرستاق ليلة الأثنين وثلاثة وعشرين يوماً من شهر جمادى الآخرة من شهور السنة، اثنتين وستين سنة ومائة سنة وألف سنة من الهجرة، وهو ما يوافق ٢٣ من جمادى الآخرة سنة ١١٦٢ هـ اليوم العاشر من شهر يوليو عام ١٧٤٩.

(*) كذلك؛ كتاب «الطالع السعيد» نبذ من تاريخ أحمد بن سعيد للمرحوم الشيخ سيف بن حمود البطاشي؛ صفحات: ١٦، ١٧، ٢٠، ٧٥، ٨٨، ٩٠، ١١٤، ١٢١.

في يوم الخميس من شهر ربيع الآخر من عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م.

قام الإمام بلعرب بعد تنصيبه إماما بمصادرة أموال الإمام سيف وإدخالها في بيت المال وقد عارضه شيوخ بني خروص كالشيخ محمد بن خميس بن مبارك الخروصي والشيخ سعيد بن محمد بن راشد بن محمد الخروصي. لكن بعض العلماء كالشيخ حبيب بن سالم صاحب الترجمة وافقه على المصادرة. لكن الإمام بلعرب في النهاية استبد بالرأى ولم يلتفت لنصائح العلماء وذهب إلى أكثر من ذلك حيث أودع بعضهم السجون بمن فيهم الشيخ حبيب، والشيخ محمد بن سالم بن صالح الندابي وهلك بعض العلماء في سجونه كالشيخ بجاد بن سالم الغافري عام ١١٦١هـ والشيخ عامر بن سليمان الريامي. لهذا رأى العلماء خلع الإمام بلعرب وعلى رأسهم الشيخ حبيب بن سالم - الذي كتب وثيقة الخلع - ومعه جملة من العلماء وكان ذلك في عام ١١٦١هـ/١٧٤٨م. لكن الإمام بلعرب لم يصغ لهذا الخلع واعتبره لا أهمية له وظل على هذا الحال لمدة عام بأكمله حتى نجح بنو غافر في إغرائه في الخروج معهم من نزوى إلى الظاهرة من أجل ملك الظاهرة وتخليص حصونها من أيدي أنصار أحمد بن سعيد(*)، وعند وصوله مدينة الغبِّي بالظاهرة ثار في وجهه أهاليها وقبض عليه ثم أودع السجن وتفرق عنه حراسه وأنصاره حفاظا على ارواحهم.

بعد ذلك اجتمع العلماء بالرستاق بالوالي أحمد بن سعيد البوسعيدي وعلى رأسهم الشيخ حبيب بن سالم امبوسعيدي والشيخ ابن عريق المعولي ومن معهما من العلماء وعقدوا البيعة بالإمامة لأحمد بن سعيد في ليلة الاثنين ٢٣ من جمادى الآخرة من ١١٦٢هـ/ ١٠ يوليو ١٧٤٩م.

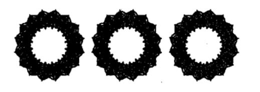
١٧ - **العلامة سعيد بن أحمد بن سعيد الكندي.** علامة وفقيه عاش في نزوى مدة طويلة وله مسائل فقهية كثيرة، وكان يسكن نزوى ثم رحل في أواخر حياته إلى بلدة الهجار وعلى الظن انه ترك نزوى بعد الأحداث التي جرت بها سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٣م، واستعان الشيخ سعيد الكندي، واهالي نزوى بالشيخ أبي نبهان لمكانته العلمية والاجتماعية في حل هذه القضية (السالمي، التحفة:١٨١:١٩٠؛ ابن رزيق: القحطانية:٥٤٨).

ويتجلى دور هذا العلامة في الاحداث التي حدثت في نزوى في عهد إمامه الإمام سعيد ابن الإمام أحمد بن سعيد عام ١١٩٨هـ/١٧٨٣م، حيث ان القصة تتلخص في أن جماعة

(*) المرجعان السابقان

من شباب عقر نزوى خرجوا في نزهة، فتبعهم جماعة آخرون من سمد نزوى ظانين أن هؤلاء الشباب يفعلون المنكر، فتصادموا معهم وأدى إلى قتل أربعة من الشباب واثنين من المهاجمين واصيب مجموعة من الفريقين بجروح. لهذا كتب هذا العلامة سعيد بن أحمد إلى الإمام سعيد يوضح فيه أمر هؤلاء الشباب الذين وصفهم بأنهم «سوقة» وأنهم طغوا وبغوا. وأوضح في خطابه بأنه لا يعجبه أن يعاقب المعتدين في نزوى. وتمسك العلامة سعيد بن أحمد ومن معه من الأعيان كأمثال الشيخ عبد الله بن محمد الكندي شيخ الكنود في حلة سمد نزوى وهو باني بيت سليط المشهور وكان القتلة تحت حمايته ورفض طلب مشائخ عقر نزوى في إطلاق صراحهم، وكان الشيخ عبد الله متمسكا برأي العلامة سعيد بن أحمد الكندي الذي كان لا يرى معاقبتهم، لأنهم على حق.

وأخذت القضية بعدا سياسيا كبيرا واستعان العلامة سعيد بالشيخ ابي نبهان جاعد بن خميس الخروصي لحل القضية مع الإمام سعيد، ثم بعد ذلك ولى أهل نزوى أمرهم شيخ العبريين الشيخ سالم بن مسعود. والقصة طويلة فلتراجع في كتاب تحفة الاعيان للعلامة نور الدين السالمي (٢:١٧٧ ـ ١٨١) الذي اعتبرها قضية شرعية بحتة، ولم يعترف الشيخ السالمي بالإمام سعيد ووصفه بأنه سلطان، والخصومة بين الإمام سعيد وأهل نزوى كانت قديمة ترجع إلى ولاية الإمام سعيد على نزوى في عهد ابيه الإمام أحمد مما دعا بالأخير إلى عزله عن الولاية وتعينه واليا لبركاء.



المبحث الثاني
المناصب العليا وعلماء نزوى

نقصد بالمناصب العليا الإمامة الكبرى في المرتبة الأولى من سلم الوظائف، ويأتي منصب قاضي الإمام أو ما يعرف بقاضي القضاة في مرتبة الثانية، وعرف هذا المنصب في عهد الإمام سالم بن راشد الخروصي وخليفته محمد بن عبد الله الخليلي بمدير الإمامة وتبوأ هذا المنصب في عهد هذين الإمامين العلامة عامر بن خميس المالكي. ثم منصب الوالي يأتي في المرتبة الثالثة.

والباحث سوف يكتفي هنا فقط بذكر أعلام نزوى الذين وصلوا إلى هذه المكانة في المجال الأول أي إلى مرتبة الإمامة بصرف النظر عن مقدار علم الإمام، إنما توافرت فيه شروط الإمامة.

والباحث اعترضه كثير من العقبات في استنباط أئمة نزوى، واجتهد في ذلك، وربما أن هذه الندوة ستكشف له كثيراً من الحقائق بفضل الباحثين في المجالات المختلفة، والذين يلقون الضوء على كثير من الحقائق الغامضة على الباحث. وسنورد هنا أئمة نزوى في سجل منتظم تاريخي:

أولاً ـ أئمة الإمامة الأباضية الثانية (١٧٧هـ/٧٩٣م ـ ٢٨٠هـ/٨٩٣م)

عرفت هذه الإمامة جملة من الأئمة وصل عددهم إلى ثمانية، وكان فترة وجودها ١٠٣ سنوات وقضى عليها الوالي العباسي على البحرين محمد بن نور بطلب من النزارية بعد مقتل العلامة موسى بن موسى ومعركة القاع. وكان من أعلام نزوى الذين تولوا الإمامة على النحو التالي:

١ ـ الإمام محمد بن عبد الله بن عفان اليحمدي (١٧٧هـ/٧٩٣م ـ ١٧٩هـ/٧٩٥م)

٢ ـ الإمام غسان بن عبد الله الفجحي اليحمدي (١٩٢هـ/٨٠٧م ـ ٢٠٨هـ/٨٢٣م)

٣ ـ الإمام الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي (٢٣٧هـ/٨٥١م ـ ٢٧٣هـ/٨٨٦م)

٤ ـ الإمام عزان بن تميم الخروصي اليحمدي (٢٧٧هـ/٨٩٠م ـ ٢٨٠هـ/٨٩٣م)

ثانياً ـ أئمة الإمامة الأباضية الثالثة (٢٨٢هـ/٨٩٥ ـ ٣٤٢/٩٥٣م)

هذه الإمامة كانت تحكم سيطرتها على نزوى فقط في بعض الأحيان وفي الرستاق في أوقات مختلفة وهي إمامة ضعيفة، وكانت السلطة العباسية تهيمن على الاقاليم العمانية بما في ذلك نزوى وإن الإمام صانع هذا الوضع بهذه الإمامة التي كان عمرها ٦٠ عاما عرفت أحد عشر إماما، وكان من اعلام نزوى الذين وصلوا إلى هذا المنصب هم كما يلى:

١ ـ الإمام محمد بن الحسن الخروصي (٢٨٢هـ ـ)
٢ ـ الإمام عزان بن الهزبر المالكي اليحمدي
٣ ـ الإمام عبد الله بن محمد الحداني (المعروف بأبي سعيد القرمطي)
٤ ـ الإمام الصلت بن قاسم الخروصي اليحمدي
٥ ـ الإمام الحواري بن مطرف الحداني
٦ ـ الإمام عمر بن محمد بن مطرف الحداني
٧ ـ الإمام محمد بن يزيد الكندي
٨ ـ الإمام الحكم بن الملا البحري
٩ ـ الإمام راشد بن الوليد الكندي (ـ ٣٤٢هـ)

ثالثاً ـ أئمة الإمامة الأباضية الرابعة (٤٠٧هـ/١٠١٦م ـ ٥٧٩هـ/١١٨٣م)

استعادت الإمامة مكانتها بعد انقطاع دام ٦٥ سنة حيث حكم عمان بنو بويه بعد أن انتزعوها من بني وجيه وفي أواخر القرن الرابع للهجرة أناط بنو بويه إلى أسرة عمانية تدعى بنو مكرم حكموا بين عامي: ٣٩٠هـ/٩٩٩ و٤٣٣هـ/١٠٤١).

وذكرت المصادر مجموعة من الذين تولوا عمان

١ ـ أبو محمد الحسين بن مكرم (٣٩٠هـ/٩٩٩ ـ ٤١٥هـ/١٠٢٤م)
٢ ـ أبو القاسم علي بن الحسين بن مكرم (٤١٥هـ/١٠٢٤م ـ ٤٢٨هـ/١٠٣٦م)
٣ ـ أبو الجيش بن علي بن الحسين بن مكرم (٤٢٨هـ/١٠٣٦م ـ ٤٣١هـ/١٠٣٩م)
٤ ـ أبو محمد بن علي بن الحسين بن مكرم (٤٣١هـ/١٠٣٩م ـ ٤٣٣هـ/١٠٤١م)

وقد تولي الإمامة لهذه الفترة اثنا عشر إماما، وتميزت هذه الإمامة بأنها قامت في مكانين في وقت واحد وتبنَّت فكرة المدرستين النزوانية والرستاقية، والذي يهمنا في هذا الوقت هو معرفة الأئمة النزوانية، ويمكن القول إننا سوف نجتهد حسب القرائن وهو هنا ليس القول الفصل. حتى تكشف لنا المصادر عن معلومات توضح ما تبنيناه أو تنفيه.

١ ـ الخليل بن شاذان بن الصلت مالك الخروصي (٤٠٧هـ/١٠١٦م ـ ٤٢٥هـ/١٠٣٣م)

٢ ـ راشد بن سعيد بن عبد الله بن راشد اليحمدي (٤٢٥هـ/١٠٣٣م ـ ٤٤٥هـ/١٠٥٣م)

٣ ـ الإمام حفص بن راشد بن سعيد اليحمدي (٤٤٥هـ/١٠٥٣م ـ ؟؟؟؟)

٤ ـ راشد بن علي بن سليمان بن راشد الخروصي(٤٧٣هـ/١٠٨٠م ـ ٥١٣هـ/١١١٩م)

٥ ـ الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد الخروصي

٦ ـ الإمام خنبش بن محمد بن هشام (؟؟؟؟ ـ ٥١٠هـ/١١١٦م)

٧ ـ الإمام محمد بن خنبش بن محمد بن هشام (٥١٠هـ/١١١٦م ـ ٥٥٩هـ/١١٦٣م)

رابعاً ـ أئمة الإمامة الأباضية الخامسة (٨٠٩هـ/١٤٠٦م ـ ٩٦٤هـ/١٥٥٦م)

تم إحياء الإمامة الأباضية في عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، وعرفت هذه الإمامة ثلاثة عشر إماماً، وقد كانت في فترات متقاربة وفي صراع مع بني نبهان الذين سيطروا على عمان منذ عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م تقريبا، ومن هؤلاء الأئمة هم:

١ ـ الإمام الحواري بن مالك (٨٠٩هـ/١٤٠٦م ـ ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)

٢ ـ الإمام مالك بن الحواري بن مالك (٨٣٢هـ/١٤٢٨م ـ ٨٣٨هـ/١٤٣٤م)

٣ ـ الإمام أبو الحسن راشد بن خميس بن عامر (٨٣٨هـ/١٤٣٤م ـ ٨٤٦هـ/١٤٤٢م)

٤ ـ الإمام أبو الحسن بن عبد السلام بن الإمام أبي الحسن(بين ٨٩٥هـ و٨٩٦هـ)

٥ الإمام محمد بن اسماعيل الاسماعيلي (٩٠٦هـ/١٥٠٠م ـ ٩٤٢هـ/١٥٣٥م)

٦ ـ الإمام بركات بن محمد بن اسماعيل الاسماعيلي (٩٤٢هـ/١٥٣٥م ـ ٩٦٤هـ/١٥٥٦م)

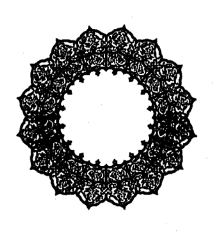
ونعتقد أن الإمام بركات بن محمد هو آخر الأئمة من أصل نزواني، وإن كان معظم أئمة اليعاربة قد نصبوا في نزوى.

الخاتمـــة

لقد حاول الباحث أن يجمع شتات علماء نزوى وفق المصادر المتاحة، وقد حاول أن يضع ذلك في مسارين الأول حول العلماء، الذين لهم اسهاماتهم في تنصيب الإمام أو عزله أو معارضته وقد احصي مجموعة منهم وكان أول عالم في هذا الشأن هو العلامة بشير بن منذر الذي شارك في مبايعة الإمام محمد بن عبد الله بن عفان اليحمدي عام ١٧٧هـ، ولقد غاص في دوامة من علماء نزوى الذين لهم إسهاماتهم في المجالات الاجتماعية والثقافية وحاول أن يتجنب ذكرهم حتى لا يتكرر مع زملائه في هذا المجال. وقد ذكر الباحث سبعة عشر عالما نزوانيا عبر عشرة قرون ابتداء من القرن الثاني الهجري وحتى الثاني عشر منه.

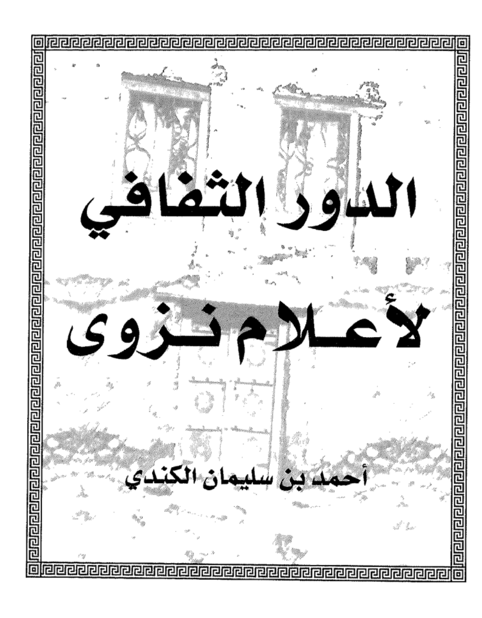
أما المسار الثاني الذي أظهر فيه اعلام نزوى الذين وصلوا إلى مرتبة الإمامة وقد وصل عددهم ٢٦ إماما وهو عدد لا بأس به من جملة أئمة عمان الذين بلغوا ٦٤ إماما.

ونحن لا ندعي الفضل في إظهار ذلك، إنما مقصودنا، وضع النقاط على الحروف، لكي يتمكن الباحث من غربلة هذه الموضوعات، والإطلاع عليها ريثما تكون له فاتحة الإطلاع والمقارنة، ونحن على يقين أننا أغفلنا علماء كثيرين لم تشر إليهم المؤلفات وما توصلنا بعد إلى معرفتهم.



مصادر ومراجع البحث

- الأزكوي، سرحان بن سعيد، كشف الغمة الجامع لاخبار الأمة، وزارة التراث
- ابن رزيق، حميد بن محمد، الفتح البين في سيرة البوسعيديين، وزارة التراث
- ابن قيصر، عبدالله بن خلفان، سيرة الإمام ناصر بن مرشد، وزارة التراث القومي والثقافة.
- البطاشي، سيف بن حمود، إتحاف الأعيان ٢ مجلد
- الخراسيني، عبدالله بن محمد، فواكه العلوم، ٣ مجلدات، ط.١، مسقط ١٩٩٤
- خليفات، عوض، نشأة الحركة الأباضية، مطابع دار الشعب، عمان، ١٩٨٧
- السيابي، سالم بن حمود، اسعاف الاعيان في انساب أهل عمان، سوريا
- السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التاريخ. ٤ مجلدات، وزارة التراث القومي والثقافة.
- السالمي، نور الدين عبدالله بن حميد، تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان.
- السالمي، محمد بن عبد الله، نهضة الاعيان بحرية أهل عمان.
- السيار، عائشة علي، دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا.ط١، بيروت
- الفارسي، ناصر بن منصور. نزوى عبر الأيام. نادي نزوى. ط١، مسقط ١٩٩٤.
- فاروق، عمر، الخليج العربي في العصور الاسلامية، ط١٠، دبي: ١٩٨٣
- العوتبي، سلمة بن مسلم، الانساب، مجلدان، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط
- قرقش، محمد، عمان والحركة الاباضية، ط١، مكتبة مسقط، روي، ١٩٩٠
- مايلز، س.ب الخليج بلدانه وقبائله. (مترجم)
- مجهول المؤلف. تاريخ أهل عمان، تحقيق سعيد عاشور
- المعمري، أحمد بن محمد، عمان وشرق أفريقيا، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط
- المعولي، محمد بن عامر (ابن عريق) قصص واخبار جرت في عمان
- وزارة الاعلام، عمان في التاريخ، لندن ١٩٩٥
- وزارة التراث القومي والثقافة، حصاد ندوة الدراسات العمانية
- هاشم، مهدي طالب، حركة الاباضية في المشرق


الدور الثقافي
لأعلام نزوى
أحمد بن سليمان الكندي

تقديـــم :

الحمد لله الذي مَنْ على الإنسان بالعقل وميزه عن غيره بالفكر، الحمد لله الذي اختص عمان بتراثها الفكري وثرائها الحضاري الذي هو عصارة أدمغة أعلامها النبلاء ونتاج عقول أبنائها الأجلاء، والصلاة والسلام على هادي البشرية سيدنا محمد الذي جاء بالإسلام دينا يعلي من شأن العلم والعلماء ويثمن للفكر دوره الكبير في تحقيق الخلافة من خلق الإنسان للاضطلاع بها وبعد.

فقد تشرفت بالدعوة الكريمة من وزارة التراث القومي والثقافة الموقرة ممثلة في المنتدى الأدبي للمشاركة في هذه الندوة المباركة عن هذه المدينة الطيبة المباركة. وقد اختير لي من قبل منظمي هذه الندوة هذا البحث الذي يعني بالدور الثقافي لأعلام نزوى، وهو كما نلاحظ موضوع ليس هينا ولا باليسير فيه أمر الحصول على مراجع محددة يمكن الاستفادة منها.

وقد يتبادر إلى الذهن أن الموضوع كونه عن الثقافة فهو مجرد استعراض لمؤلفات وما أكثرها، إلا أن موضوع البحث ليس استعراضا لمؤلفات بقدر ما هو تحديد دور واضح لتلك المؤلفات وغيرها من مفردات الثقافة ودور أصحابها في الحياة وهنا تكمن الصعوبة، فالذي يستطيع الباحث أن يخرج به ليس إلا استنتاجات يجتهد في التوصل إليها من خلال استعراضه لسير أولئك الأعلام ومآثرهم، وهذا ما حاولت أن أقوم به، على أنني فضلت استقراء الآثار أكثر من استقرائي لسير الأشخاص، لأن التأمل في الأثر ذاته أبلغ في الدلالة عن صاحب الأثر، فالمطلوب من البحث هو الدور الذي خلفه، ولسنا في حاجة إلى استعراض الأسماء وسيرهم، لذلك فقد تناولت الموضوع على النحو التالي:

حاولت التعرف على مصادر الثقافة لدى العمانيين عامة فالتعرف على تلك المصادر يساعدنا على معرفة مستوى الثقافة وبالتالي قوة تأثيرها.

ثم حددت مفردات الثقافة أي فيما تتمثل الثقافة في عمان، في أي شيء نجدها، ويبدو للوهلة الأولى أن الثقافة نجدها بين ثنايا الكتب والواقع أن هذا مفهوم ضيق للثقافة، فهي إلى جانب وجودها في الكتاب كأبرز صورها، نجدها في كل جانب من

جوانب الحياة، في شكل البناء في السلوك الاجتماعي إلى غير ذلك. وقد عددنا في هذا الجانب مختلف تلك الجوانب وتعرضنا باختصار إلى ذكر نماذج من أعلام نزوى ومآثرهم العلمية ونماذج من معالم نزوى كصور حية على الجانب الفني للثقافة مثل القلاع والافلاج، كما تحدثنا عن أثر هذه الثقافة في السلوك الاجتماعي. والدور الذي كان لأولئك الأعلام محليا وخارجيا، هذا ويسرني أن أقدم هذه الورقة التي هي بمثابة ملخص للبحث.(*)

وتتبوأ عمان مكانة متميزة بين البلاد العربية من حيث ماضيها العريق المتأصل، فهي من أغناها بالتراث الحضاري، إذ أن سجلها حافل بالإنجازات الجليلة في مختلف جوانب الحضارة، فأبناء عمان صنعوا مجدا شامخا، ليس لعمان فحسب بل كان دورهم بارزا في صنع التاريخ سيما ما كان منه في العهد الإسلامي.

وتأتي نزوى كأبرز مدينة عمانية لها شأنها في صنع ذلك التاريخ محليا وخارجيا، وأعلام نزوى هم حملة مشعل الحضارة وهم الذين صاغوا ببنات أفكارهم مفردات تلك الثقافة المتنوعة على أن من الصعب أن يقتصر الحديث على نزوى وحدها خاصة عندما يكون الحديث عن الجانب الثقافي بالذات.

وبالرغم من أن نزوى كانت مهدا للثقافة منذ القدم على الأقل منذ فجر الإسلام، إلا أن مكانتها عندما شغلت منصب العاصمة للقطر العماني لأكثر من عشرة قرون اكسبها أهمية خاصة حتى أن العديدين من الاعلام الذين برزوا ونسبوا إلى نزوى هم ليسوا في الحقيقة من أبناء نزوى ولكن هاجروا إليها وأقاموا بها شأنها في ذلك شأن أي عاصمة أو مركز كبير.

وبالمقابل فإن فاعليتها كعاصمة جعلها تعنى طوال تاريخها بالثقافة والفكر والعلم وأثرت سائر الأقاليم العمانية وأغنتها بتلك الإفرازات الثقافية المتنوعة وتجاوز ذلك إلى الأقاليم غير العمانية التي كان العمانيون يفدون إليها لمختلف الأغراض والغايات.

(*) قدر الله سبحانه وتعالى أن يوافي الباحث أجله المحتوم قبل أن ينجز ما وعد في إكمال بحثه بالشكل الذي يرضيه، رحمه الله تعالى

مصادر الثقافة العمانية

تستمد الثقافة العمانية مادتها من مصادر متنوعة أهمها القرآن الكريم، والسنة المطهرة والتراث العربي بكل ما فيه:

أ ـ القرآن الكريم

أ/ ١ بالنسبة للقرآن الكريم فإن العمانيين وهم يحددون نهجهم ويبنون كيانهم ويرسمون طريقهم ويصوغون فكرهم وضعوا في اعتبارهم أن الإسلام هو المنهج الذي استطاع أن يجعل من العرب القبائل الجاهلية المتناثرة المتناحرة أمة ذات كيان، استطاعت بفضله أن تتبوأ مركز الصدارة بين أمم العالم المتحضر.

وعمان وهي جزء من هذه الأمة أولا، وتمتاز باحتضانها الإسلام طواعية ثانيا، كما تمتاز باحتفاظها بهذا الدين سالما من أي تشويه أو تحريف، وابتعادها عن مواطن الفرقة التي عصفت بالأمة الإسلامية منذ عهد ما بعد الخلافة الراشدة، وحرصها على التمسك بالدين، كما وصلها نقيا عن طريق رسول الله (ﷺ) وغيره من الصحابة الذين توافدوا إلى المنبع الطاهر.

إن عمان وهي تصوغ ثقافتها اعتبرت أن القرآن الكريم والسنة المطهرة أهم مصدرين لفكرها وبالتالي فإن بناة الفكر والثقافة الأوائل في عمان وهم ينظرون إلى القرآن والسنة هذه النظرة السامية، ولكي يتمكنوا من بلورة ثقافة وفكر حرصوا على تحقيق ذلك من خلال مسارين متلازمين هما:

ـ الاستفادة القصوى من النتائج الفكري للآخرين.

ـ تحديد مواقف ذات خصوصية تتفق مع المبادىء التي آمنوا بها والنهج الذي ارتضوه.

فالمواقف السياسية في نظر صاغة الفكر العماني يجب أن لا تؤثر على الجانب الفكري والعلمي لذلك حرصوا على الحضور في المدينة المنورة والبصرة للاستفادة المتبادلة والتعايش مع قادة الفكر الإسلامي.

على أن حضورهم لم يكن سلبيا ـ أي لم يكن دورهم دور المتلقي ـ بل هو حضور المعطي الثري أكثر منه حضور المستفيد خاصة في عصر التابعين، والشواهد على ذلك كثيرة، فهذا

جابر بن زيد وهو أحد الرواد في هذا المجال - إن لم يكن أولهم - رغم حرصه على الاستفادة القصوى من علم الصحابة الاجلاء كابن عباس وعائشة وغيرهما من الصحابة - رضوان الله عليهم - أصبح بعد حين محل إعجاب أولئك الصحابة، بل محل اعتراف بأهليته في الفتوى، أما بالنسبة للتابعين فقد كان واضحا أنه اسبقهم على الإطلاق.

وعلى الجانب اللغوي والأدبي فإن أحدا من أبناء اللغة العربية لا يستطيع أن ينكر ما للخليل من دور غير مسبوق في خدمة هذه اللغة وعلومها ثم من بعده ابن دريد والمبرد وغيرهما.

ولم يقتصر الحضور العماني على الجانب الفكري بل تعداه إلى الجانب العسكري، فإن أبا صفرة وآله من بعده شاركوا في الفتوحات الإسلامية ليسوا كمقاتلين وإنما كقادة للجيوش الإسلامية شملت الفتوحات الجديدة أو حروب الردة أو الحملات التي استهدفت الخوارج.

إذًا فالعمانيون حرصوا على أن يكون القرآن الكريم مصدرهم الرئيسي في بناء كيانهم الفكري والثقافي.

ب - السنة النبوية الشريفة

أما السنة النبوية فلم يكتفوا بتلقيها عن بعد، بل حرصوا على التلقي المباشر من أقرب المصادر إلى النبع الطاهر، لذلك نجد الإمام جابر بن زيد يكثر من التردد على أم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنها - ويلح في طرح الأسئلة التي تبدو محرجة كالتي تتعلق بمعاشرة النبي (ص) لزوجاته وهي ترد عليه وتتصبب عرقا وتقول: «سل يا بني».

ثم يحرص على أن يلازم البحر ابن عباس والصحابة الآخرين خاصة أولئك الذين عرف عنهم تبحرهم في العلم وقربهم من الرسول (ﷺ) فيدون كل ما يسمعه منهم حتى يبلغ ديوانه حمل أبعرة.

وينقل جابر علمه إلى تلاميذه، وبهذا فإن ما وصل إلينا من طريق جابر بن زيد لم يكن محتاجا إلى عناء بإخضاعه على قواعد الجرح والتعديل التي وضعها علماء الحديث

للتثبت من صحة السند أو صحة المتن، وعليه فإن القائلين بأن مسند الإمام الربيع بن حبيب هو أصح كتاب بعد كتاب الله لم يقولوا ذلك من فراغ.

وبهذا النهج الدقيق في الاستفادة من المصدرين الكتاب والسنة استطاع رواد الثقافة العمانية أن يضعوا قواعد البناء المتين الذي ظل شامخا متماسكا في وقت تداعى فيه كثير من المجالات كما تلاشت وذابت كثير من الكيانات التي لم تخط لنفسها ما يميزها من السمات الحضارية، إذ ضاعت في خضم الثقافة الموجهة.

وبالرغم من الحملات التي استهدفت معالم الثقافة العمانية إلا أن تأصلها في المجتمع العماني وتجذرها كان حائلا دون تلاشيها حتى في الفترات التي حكمت فيها عمان من قبل غير أهلها طالت تلك الفترات أم قصرت إذ لم تستطع أن تترك بصماتها على الجانب الثقافي بل العكس صحيح، إذ أن البصمات العمانية هي التي لا تزال باقية في الثقافة العربية عامة كما أشرنا أو كما سيأتي - إن شاء الله -.

٣ - التراث العربي :

والتراث العربي كان أحد روافد هذه الثقافة العمانية بثرائه في مجال الأدب والعمارة والعادات والتقاليد، وكانت عمان قبل الإسلام - أحد الأقطار القليلة - ذات كيان سياسي له حضارته وثقافته وعاداته وتقاليده وسماته وتاريخه الأمر الذي ساعده على إعطاء الثقافة العمانية في عهد الإسلام بعدا تاريخيا وحضاريا مما جعلها تتفاعل مع الروافد الثقافية العربية الأخرى فيما بعد.

المفردات الثقافية:

إن المفردات الثقافية التى أفرزتها قرائح وبنات فكر أعلام نزوى كثيرة شملت جوانب الحياة المختلفة، فهي لم تقتصر على الجانب العلمي فحسب بل تجاوزته إلى الجانب المعماري والاجتماعي والاقتصادي (الزراعي والتجاري) والأخلاقي، وهذا الأمر طبيعي حيث ان التقدم العلمي أساس للتطور الحضاري بكل جوانبه وباستقراء التاريخ العماني نجد أن نزوى في إحدى حقبها التاريخية الذهبية لم تكتف بالقضاء على الأمية بل تعدته إلى أن أصبح الفلاح في الحقل والبائع في السوق قادرا على تحمل مسؤولية القضاء، وما ذلك إلا دليل على المستوى العلمي الذي وصلت إليه نزوى.

ولعل هذا التقدم الهائل في المجال العلمي أتاح لكبار العلماء والمفكرين التفرغ للإبداع والتأليف، وعليه يمكننا أن نحدد المفردات الثقافية في الآتي:

ـ المؤلفات العلمية

ـ المآثر المعمارية كالحصون والقلاع والمساجد وما فيها من فن معماري بديع.

ـ الافلاج وما بها من هندسة من حيث استخدامها، وما فيها من تنظيم، من حيث توزيع مياهها على المواقع الزراعية.

ـ العادات والتقاليد (السلوك الاجتماعي)

ـ الفنون سواء منها الزخارف والنقوش، أو الفنون التقليدية المتمثلة في الرقصات الشعبية من الأهازيج والأغاني والقصص والحكايات المتوارثة أو غير ذلك.

١ ـ المؤلفات

تشكل المؤلفات العلمية في مختلف فنون المعرفة لأعلام نزوى نسبة كبيرة في المكتبة العمانية بين سائر المؤلفات، بل أن رواد التأليف في عمان كانوا من نزوى حتى قبل أن تصبح نزوى عاصمة لعمان وقبل أن تصبح مركزا علميا تتجه إليه الأنظار ويتوافد إليها طلبة العلم، فهذا الإمام جابر بن زيد أبرز علماء التابعين وأول من ألف على الإطلاق من علماء المسلمين هو من أبناء نزوى، وقد وصف ديوانه بأنه حِمْل أربعة أبعرة لعظم حجمه وسعته.

وإذا كانت المكتبة الإسلامية قد خسرت هذا الديوان إلا أنها لم تخسر كل ما تضمنه، إذ أن معظم كتب الحديث وكتب الفقه تضم روايات وآراء جابر، وإذا كنا نتحدث عن الدور الثقافي لأعلام نزوى فحسبنا أن نقف على هذا العالم، ولا نجانب الحقيقة ولا الواقع إذا جزمنا بأن الدور الذي قام الإمام جابر كان أكبر من أن نتحدث عنه في هذه العجالة حيث انه انعكس بكل وضوح على مدرسته الفكرية التي أدارها في حياته ثم تولى إدارتها من بعده تلميذه أبو عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي، وتوالت آثارها ليس في المهد الذي نشأت فيه البصرة بل في أطراف الرقعة الإسلامية وناهيك بما تركته في عمان.

فمما هو معروف أن تلاميذ هذه المدرسة كانوا يأتونها من أصقاع الأرض ومن ثم فقد عادت الطيور المهاجرة إلى أوكارها ولكنها محملة بالعلم والمعرفة فتركت بصماتها واضحة المعالم في البصرة وخراسان وشمال أفريقيا واليمن. وحملة العلم إلى عمان هم أهل الفضل في إرساء دعائم الثقافة والمعرفة والفكر إلى يومنا هذا.

وتوالت بعدهم قوافل العلماء. وكما أشرنا فإن لنزوى النصيب الأوفر خاصة بعد أن احتلت مركز القيادة السياسية والعلمية، ولا يمكننا حصر علمائها وأعلامها بل سنعرض للبعض منهم بقدر ما يسمح به موضوع هذا البحث.

تتركز هذه الأعمال الفكرية بدرجة كبيرة على المؤلفات التي تعني بالجانب الديني، ولا يعني ذلك أنها مؤلفات تقتصر على الجانب الفقهي فحسب بل هي أوسع من ذلك بكثير، فمن منطلق كون الدين دستور حياة كانت المؤلفات الدينية تعنى بمختلف جوانب الحياة، ويأتي بعدها المؤلفات الأدبية وخاصة منها الشعر، وهناك شيء من المؤلفات التي تعنى بالجانب الاجتماعي أو تنظيم المعاملات وهى غالبا ما تكون على شكل مخطوطات تنظم كيفية التعامل مع الافلاج والأوقاف والأسواق إلى غير ذلك، ففي المجال العلمي الواسع يبرز أعلام كبار كجابر وبشير بن المنذر وغيرهم إلا أن ممن تركوا مؤلفات شهيرة يأتي:

- الشيخ العلامة محمد بن ابراهيم الكندي من ابرز علماء عمان قاطبة ومن أبرز آثاره العلمية كتابه الموسوعة (بيان الشرع) الذي يقع في ٧٣ مجلدا أصبحت بعده كل الكتب والمؤلفات عالة عليه، والمستعرض لهذا الكتاب يجد نفسه أمام موسوعة فقهية لا أقول إنها موسوعة فقهية بل هو موسوعة ثقافية فكرية بالمفهوم الواسع لهذه الكلمات، فقد يخصص مجلدا كاملا لمناقشة موضوع ما، وتجد بين ثناياه التعرض للسير والتاريخ والسياسة والأدب والمعارف الأخرى.

- **وجاء بعده لنفس الأسرة كتاب الكفاية لمؤلفه العلامة محمد بن موسى الكندي** وكتاب (المصنف) الذي يقع في ٤١ مجلدا لمؤلفه العلامة أحمد بن عبد الله بن موسى الكندي، ولمؤلف كتاب المصنف هذا مؤلفات أخرى تدل على مستوى رفيع في الفكر والإبداع، ولم يصل شأوه غيره، ومن أراد التعرف على ذلك المستوى فليطلع على كتاب (الجوهر المقتصر).

- وإلى جانب الأفراد الذين برزوا أعلاما في تاريخ نزوى أو قل تاريخ عمان هناك أسر علمية توالت منها سلسلة من العلماء البارزين على غرار الأسرة الآنفة الذكر ومن هذه الأسرة أسرة محمد بن روح الكندي وأسرة آل مداد وبرزت أسماء لامعة في بعض قبائل نزوى كالبوسعيدين والعباديين والسيفيين وغيرهم.

- أما عن الشعر والأدب نجد أن العدد الأكبر والنصيب الأوفر من أعلام الفقه والشريعة وأساطين الفكر والسياسة قد استأثرت به نزوى الا أنها لم تأخذ نصيبها بنفس المستوى من الشعراء، ولعل ذلك عائد إلى طبيعة الحياة في مدينة كنزوى باعتبارها عاصمة. ولا يخفى حال العواصم فإن بيئتها عادة لا تساعد على الهدوء الذي يسمح للقرائح أن تسبح في عالم الخيال فترسم لوحاتها الفنية. فسكان العواصم غالبا ما يكونون مشغولين بصخب الحياة ومتاعبها والاهتمام بالنواحي الاقتصادية والسياسية، وقد تكون مثل هذه المدن عرضة للحملات العسكرية أيضا، وهكذا مناخ لا تنمو معه الشاعرية بخلاف القرى والمدن ذات الطبيعة الهادئة كسمائل. ومع هذا فقد برز عدد كبير من الشعراء بل ان من بينهم يعد في طليعة شعراء عمان ومن أهمهم: السلطان سليمان بن سليمان النبهاني والشاعر الكبير المر بن سالم الحضرمي ومن ثم الشيخ أبي سلام سليمان بن سعيد الكندي والشيخ سليمان بن محمد الكندي والشيخ عبد الله بن سليمان النبهاني وذلك الشيخ العلامة سعيد بن أحمد الكندي والشاعر عبد الله الحضرمي. وأخيرا من بين شعرائها الموجودين الشيخ الدكتور إبراهيم بن أحمد الكندي والشاعر الشاب خميس بن ماجد الصباري.

- وقد تنوعت المجالات الشعرية لهؤلاء الشعراء فمنهم من وظفه في القضايا الفقهية والروحية كالشيخ: محمد بن إبراهيم الكندي في أرجوزته الشهيرة وقصيدته العبيرية في وصف الجنة، ومنهم من كان نتاجه الشعري خصبا بحيث طرق مختلف المجالات كالفخر والحماس والمديح وغيره كمثل سليمان بن سليمان النبهاني ومنهم من كان همه الجانب الوطني السياسي كمثل أبي سلام سليمان بن سعيد الكندي ومنهم... وهكذا فقد تدفقت قرائح أدباء نزوى بالشعر في شتى المجالات وكان إنتاجا غزيرا أثرى المسار الثقافي والأدبي في عمان وكان له حضوره البارز في تاريخ الأدب العماني. ولم يقتصر أثر هذا الأدب على الصعيد المحلي بل تجاوزه إلى مختلف الأقاليم التي كانت تخضع لعمان فقد

يلاحظ أن أثر الثقافة كان كبيرا على تلك الأصقاع والأقاليم، وخير شاهد على ذلك تلك القصيدة التي أرسلتها الشاعرة السقطرية (الزهراء) إلى الإمام الصلت بن مالك تستنجده فيها عندما وقع غزو أجنبي على الجزيرة واستولى عليها، وكانت الجزيرة يومها تخضع للحكم العماني: (جار النصارى على واليك).

فكون المرأة تستنجد بالإمام شعرا لدليل على ما وصل إليه المستوى الثقافي عامة والأدبي خاصة في أهل تلك الأقاليم تقول الشاعرة:

قل للإمام الذي ترجى فضائله	ابن الكرام وابن السادة النجب
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة	بعد الشرائع والفرقان والكتب
واستبدلت بالهدى كفرا ومعصية	وبالأذان نواقيسا من الخشب
جار الناصر على واليك وانتهبوا	من الحريم ولم يألوا من السلب
كم من منعمة بكر وثيبة	من آل بيت كريم الجد والنسب
تدعو أباها إذا ما العلج هم بها	وقد تلقف منها موضع اللبب
قهرا بغير صداق لا ولا خطبت	إلا بضرب العوالي السمر والقضب

وبطيعة الحال فإن هذه الاستغاثة وجدت أذنا صاغية من لدن الإمام فبادر إلى نجدتها، إذ أرسل أسطولا بحريا يتكون من أكثر من مائة سفينة لتحرير تلك الجزيرة المغتصبة.

وحري بنا ونحن نتحدث عن هذه القضية أن نشير إلى أن الإمام الصلت وهو يجهز جيشه ذلك، أوكل قيادته إلى خيرة قادته وكتب لهم عهدا ينم عن مستوى عال من الفكر ومن الشفافية العقيدية والحنكة العسكرية، عهد جديد؟؟؟؟؟ بأن يكتب بماء الذهب، وهو في الواقع وثيقة بالغة الأهمية في مجال التعامل الإسلامي في المجال العسكري وفق مقتضيات الشريعة الإسلامية، وهو دليل آخر ومهم على المستوى الفكري والثقافي لاعلام نزوى وأثر هذا المستوى على الجند وعلى العامة، إن عهدا كهذا حري به أن يكون ضمن مناهج الكليات العسكرية لاسيما تلك الكليات التي تعنى بتأهيل القادة.

خروجا عن مجال بحثنا فإن قضية سقطرى في التاريخ العماني لا تقل أهمية عن قضية عمورية في العهد العباسي بل هى سابقة عليها ولكن هذه أهملت وتلك قد روج لها، وإهمال هذه وترويج تلك يأتي ضمن مشكلة يعاني منها التاريخ العماني عامة ليس في الجانب العسكري فقط، بل في مختلف الجوانب لاسيما المجال الثقافي والفكري. فالدور العماني في الثقافة الإسلامية والعربية لم يأخذ حقه من قبل المؤرخين بل العكس صحيح فقد تعرض للتشويه والتنقيص، فهل آن الأوان لأن يأخذ التاريخ العماني حقه؟!.

٢ ـ الفن المعماري في نزوى :

ـ تعتبر المساجد أبرز معالم الثقافة في نزوى، ليس لأن المساجد مهد الثقافة ومنطلقها، كما أشرنا فحسب بل إنها ذاتها ـ المساجد ـ تجسد جانبا مهما من الثقافة بفنها المعماري البديع ففي نزوى عدد من المساجد التي تمتاز بالإبداعات الفنية الراقية وهى رغم قدمها ـ حيث أن بعضها يعود إلى القرن السابع الهجري ـ لا تزال محافظة على جمالها ورونقها وإن كانت عوامل القدم قد بدأت تؤثر عليها، إلا أن حرص وزارة التراث القومي والثقافة عليها يضمن لها البقاء بفضل ما يجرى لها من إحياء وترميم، وهى بلا شك تؤكد إلى حد بعيد دور المسجد في الحياة ومدى اعتناء العمانيين بها منذ القدم، وهذا بدوره يعكس حبهم للمسجد وتقديسهم له وحرصهم على أن يكون محور اهتمامهم ومركز إبداعهم الفكري والعلمي والفني سواء في ذات المسجد أو من خلاله، ولنضرب مثلا على هذا مسجد الشواذنه ومسجد جامع سعال وغيرهما من الجوامع وتم التركيز على نقش محاريب هذه المساجد وزخرفتها، وتزيين تلك النقوش بآيات من القرآن الكريم، وقد عنيت وزارة التراث القومي والثقافة برصد وحصر هذا النوع من الزخارف على مستوى السلطنة. ويبدو أن هذه المدرسة قد راجت وانتشرت في فترة زمنية معينة.

ـ وليس المساجد وحدها التي حظيت بالاهتمام في المجال المعماري، فالقلاع والحصون كان لها من الاهتمام الشيء الوفير ناهيك أن نزوى التي تعتبر من اكثر المدن العمانية شهرة في هذا الجانب، وإذا كانت قلعة نزوى الشهيرة تقف شاهدا حيا على عظم البناء وفن العمارة ودقة الهندسة فإن هذه القلعة لكون بناؤها حديثا نسبيا ـ إذ تم في بدايات عهد اليعاربة ـ ليست هي كل شيء بالنسبة لما في نزوى من شواهد معمارية فهناك الحصن اللصيق بالقلعة والذي يسبقها بألف عام تقريبا وهنالك البروج الأخرى وبيت

سليط في علاية نزوى إلى جانب بيوت بعض الزعماء المعروفين والتي يعود بعضها إلى القرن الرابع الهجري، وهذه كلها في الواقع دلائل حية على سعة ما لدى أهل نزوى من ثراء فكري ثقافي في مختلف الفنون.

٣ ـ الأفلاج :

نظام الافلاج في عمان فريد من نوعه وتأتي نزوى في مقدمة المدن العمانية أيضا في هذا الجانب إذ تشتهر بأفلاجها المتميزة الكبيرة مثل دارس وضوت والغنتق، والذي يعنينا في هذا الصدد هو الحديث عن الافلاج من الجانب الفكري والاجتماعي.

فنظرا إلى طبيعة عمان الجغرافية وحاجتها الماسة إلى مصادر مائية تغطى حاجة البلاد، فقد تفتق الفكر العماني عن هندسة عجيبة من نوعها لعلها مما تنفرد به عمان في العالم، وهذا الفن المعماري الهندسي الفريد بلا شك لا يأتي مصادفة أو عفوية بل هو نتاج تفكير وبحث ودراسة مستفيضة لطبقات الأرض وسطحها وهذا بالتالي دليل على ما وصل إليه العمانيون من تقدم علمي وفكري وحضاري في وقت مبكر جدا من التاريخ.

ويستدل على هذه القيمة العلمية لهذه الظاهرة هو ما يلاحظ من تنوع في أسلوب شق الافلاج بين ما يسمى بالافلاج الداودية والافلاج الغيلية فلكل من النوعين طبيعة خاصة، كما أن ايا من النوعين لا يمكن القيام به مالم تسبقه دراسة معمقة أو قل عملية استكشاف مسبق وفق الأساليب والأدوات المتاحة في ذلك الحين.

كما يأتي البعد الحضاري والفكري بعد ذلك في تقسيم مياه هذا الفلج على الحيازات الزراعية في الرقعة التي تغطيها، وهذه عملية متناهية في الدقة، وهى أيضا تختلف من مدينة إلى أخرى بل أحيانا في البلدة الواحدة بين فلج وآخر ويكون التقسيم على مدار الساعة ويتسم بالعدالة والدقة. وهناك بعد حضاري وفكري آخر وهو المتمثل في الجانب الاجتماعي لنظام الأفلاج، فالفلج ليس مجرد وسيلة لري المزرعات بل هو شريان حياة لكل فرد من أفراد المجتمع حتى أولئك الذين لا يملكون شجرة واحدة، فالفلج في القرية يعني الكثير للجميع.

وقد ضمن العلماء مؤلفاتهم أبوابا أو كتبا خاصة لأحكام الأفلاج بل أن هناك مؤلفات

تعني بالقضايا المتعارف عليها في المجتمع وشكلت الافلاج وما لها من نظم جزءا من الحياة الاجتماعية والعادات والسلوك.

٤ ـ العادات والتقاليد أو السلوك الاجتماعي:

إن العادات التي اصطبغ بها المجتمع واعتاد على ممارستها هى في الواقع عادات حميدة وتقاليد أصيلة وسلوك قويم انبعثت من مبادىء الدين الحنيف، ولا يزال المجتمع النزوى يتمسك بها ويعتز بها ويحرص على التحلي بها، بل ان هذا المجتمع اصبح مضرب المثل في التحلي بالأخلاق الحميدة والاعتزاز بالقيم والعادات، ويحدثنا التاريخ أن المجتمع الإسلامي في نزوى في إحدى فتراته الذهبية، ضرب المثل الأعلى في الإيثار، فقد لاحظ الإمام الحاكم أن في نزوى ظاهرة لم يرتح لها قلبه وأحس بأن شيئا ما في دولته يجب أن يصلح وأراد أن يبدأ بالرعية أولا ولما كانت نشاطات الرعية تنحصر في الزراعة والتجارة، فإنه قد بدأ أولا بأصحاب الزراعة فاجتمع بهم وخاطبهم قائلا ـ وكأنه يستشيرهم : أن الحكومة مقبلة على أمر يحتاج إلى تمويل ودعم مالي، وأنني قد رأيت أن أفرض ذلك على التجار لمساعدة الحكومة في القيام بما هي مقدمة عليه ـ وهو يريد بذلك الوقوف على رد فعل هؤلاء المزارعين ـ فما كان منهم إلا أن أجابوه قائلين بأننا اجدر بالدفع والمساعدة لأننا اصحاب زرع وثمار، ولدينا من الخير ما نستطيع أن نساعدكم به دون أن تكلفوا إخواننا التجار شيئا من ذلك لأن التجارة عرضة للتأثر بتقلبات السوق ونرى أن يعفوا من هذا الدفع.

وبعد أن سمع الإمام منهم ذلك وسر به، اجتمع بالتجار وطرح عليهم نفس الأمر وأشعرهم بأنه يهم بفرض شيء من المغارم على أصحاب الزراعة لمساعدة الحكومة في ما هي مقدمة عليه من أمر، ولكن موقفهم كان كموقف إخوانهم فقد أصروا بأنهم هم الأقدر على الدفع والمساعدة وأن الزراعة عرضة للتلف، عندها علم الإمام أن الرعية بخير وأن الفساد ليس فيهم، عندئذ اجتمع بوزرائه وأركان دولته وعرض عليهم نفس الأمر وأفهمهم بأنه ينوي فرض غرامات على المزارعين لتمويل مشروع ما يهم بالقيام به، فسارع أفراد بطانته بالقول بإن رأيه سديد وأن كلا من التجار والمزارعين قادر على الدفع وحسنوا له الأمر وشجعوه على المضي قدما في الأمر وقالوا له ان هذا يدور في خلدهم منذ مدة. ولما

كان تفاعلهم مرتجلا وشم الإمام فيه رائحة النفاق والفساد أدرك أن الفساد في الباطنة التي تحيط به لا في الرعية، لذلك التفت إلى تلك البطانة السيئة وأزالها برمتها واستبدلها ببطانة صالحة تعينه على فعل الخير وعلى الصلاح.

إن مجتمعا يصل فيه مستوى الإيثار والتضحية إلى هذا المستوى وتصل فيه حساسية الحاكم إلى هذا القدر، لا شك أنه مجتمع قد تربى على الفضيلة وعلى القيم المثلى، وهذا السلوك انعكاس لمستوى أخلاقي وثقافي عال.

إن المستوى الثقافي لأي مجتمع ينعكس تلقائيا - سلبا أو إيجابا - على نمط الحياة في المجتمع وعلى سلوك وعادات وتقاليد الناس فيه، فبقدر ما يكون المستوى الفكري والثقافي عاليا يكون نمط الحياة إيجابيا وترتفع نسبة الوعي لدى أبناء ذلك المجتمع بقدر ما يكون عليه المستوى الثقافي والتعليمي لديهم وكذلك العكس.

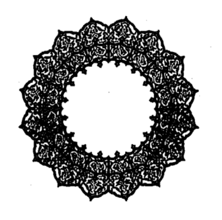
ويعتبر المجتمع في نزوى وعلى مرِّ عصورها من أكثر المجتمعات وعيا وأفضلها سلوكا وأعلاها تحضرا خاصة في الفترات التي تشهد ازدهارا علميا كبيرا.

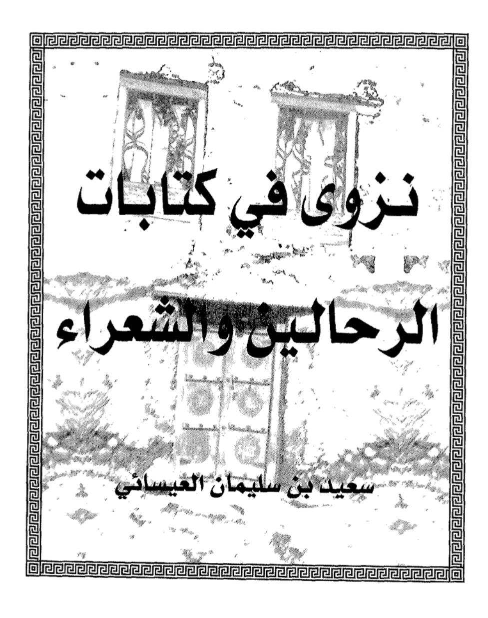
ولعلي من الذين تعاملوا مع المجتمع النزوي بحكم عملي في حقل التعليم بهذه الولاية على مدى ستة أعوام، فقد لمست - ومما تؤكده الإحصائيات بوزارة التربية والتعليم والمؤسسات المعنية بالعلم والثقافة - أن المستوى التعليمي والثقافي في هذا المجتمع أعلى من غيره وبالمقابل فإن المستوى الأخلاقي والسلوكي ثمرة حتمية للمستوى التعليمي والثقافي.

فالجدية والتعاون والتكافل والإيثار وحب الخير للآخرين والبعد عن الرذائل - إلا ما ندر - وغير ذلك من هذه القيم الحميدة نراها سمة ملازمة لهذا المجتمع وهى تمارس بعفوية وبساطة غير متكلفة ولا مصطنعة، ونستطيع القول - بكل جزم - بأن سلوك المجتمع العماني بأسره اصطبغ بهذه الصبغة بل تعداه إلى المجتمعات التي تعامل معها العمانيون في تلك المجتمعات التي انتقلت إليها الثقافة الإسلامية عن طريق الدعاة العمانيين الذين لم يكونوا أصلا قد خرجوا من أجل الدعوة بقدر ما كان خروجهم من أجل التجارة أو كسب الرزق أو أن يكون خروجهم من أجل نصرة المظلومين في تلك الأصقاع، واستطاعوا من خلال تعاملهم مع أبناء تلك المجتمعات أن ينقلوا نمط التعامل الإسلامي الراقي.

الخاتمة

نرجو أن نكون قد استطعنا ولو بشكل سريع أن نلقي الضوء على الدور الثقافي لأعلام نزوى من خلال ما أبدعوه من مؤلفات، وما تركوه من سلوك بقي صامدا ويبقي لأنه كما أشرنا قد استمد من النبع الصافي من الوحي بشقيه (القرآن والسنة) ولأنه لم ينغلق على نفسه بل عايش وتعايش مع المعطيات الثقافية والفكرية وأثر وتأثر وأسهم إسهاما كبيرا وملموسا في صنع التاريخ الإسلامي الواسع.




نزوى في كتابات
الرحالين والشعراء
سعيد بن سليمان العيسائي

تقديــــم :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد ،،

فإنه لمن حسن الطالع أن أتشرف بالكتابة عن مدينة من أهم مدن عمان قاطبة، في العلم والدين والسياسة على مدى عدة قرون من الزمان، وسيكون مجال حديثي في الندوة العلمية المخصصة لهذه المدينة العريقة، لورقة تحمل عنوان «نزوى في أقلام الرحالين والشعراء». وقد قسمتها إلى محورين يتناول المحور الأول الحديث عن مشاهدات وانطباعات الرحالين العرب والأجانب في هذه المدينة.

ويتناول المحور الثاني صورة نزوى في الشعر العماني القديم والحديث، بدءا باللواح الخروصي وانتهاءً بشاعر نزوى الشاب خميس (الصبّاري).

الباحث

أولاً: نزوى في أقلام الرحالين

تعددت أغراض الرحالين وأهدافهم في الجزيرة العربية، فمنها ما كان لهدف علمي، ومنها ما كان لأغراض سياسية ومنها ما كان لأغراض عسكرية، ومنها ما كان لغرض الشهرة، ومنها ما كان بحثاً عن كنوز أو آثار، إلى غير ذلك من الأغراض والأهداف[1]

ولعل سحر الشرق وروعته، وما يسمعه الأجانب ويقرأونه عنه، هو الذي حدا بهم إلى المغامرة والمخاطرة بحثاً عن الأسرار الدفينة، والألغاز المخبوءة في صحارى التيه والضياع.

ولقد وفق معظمهم في اكتشاف أماكن وطرق كانت مجهولة من ذي قبل، فكان لهم الفضل في عرض جوانب الحياة المختلفة، وتدوين طبائع بعض السكان وعاداتهم، ورصد الكثير من المعالم الجغرافية والتاريخية والأثرية[2]

قلة الرحالين إلى نزوى:

من الملاحظ أن عدد الرحالين العرب والأجانب إلى نزوى قليل بالقياس إلى غيرها من المدن والولايات، ومرد ذلك إلى عدة أسباب نجمل أهمها فيما يلي:

١ ـ قداسة المكان : تعتبر نزوى عاصمة دينية منذ القدم، الأمر الذي جعل بعض الرحالين ـ وخصوصا الأجانب منهم ـ يتحرجون من القيام بزيارتها.

٢ ـ التوتر السياسي (١٩١٣ ـ ١٩٥٩) :

والذي أدى إلى إحجام بعض الرحالين الأجانب عن التوغل في المنطقة الداخلية، خوفاً على أنفسهم من الأذى من ناحية، ومخافة أن يساء تفسير نوايا رحلاتهم هذه، وخصوصا إذا ما عرفنا أن معظم الرحالين الأجانب في تلك الفترة كانوا ضباطاً في الجيش البريطاني، أو مزودين برسائل من السلطان يطلب فيها من الولاة أو شيوخ القبائل التعاون معهم، وتقديم ما قد يحتاجونه من عون ومساعدة.

٣ ـ بعدها عن الساحل :

تنقل إلينا الروايات والمصادر أسماء عدد لا بأس به من المؤرخين والجغرافيين والرحالين العرب والأجانب من جنسيات مختلفة ممن زاروا مدناً ساحلية عمانية عبر

فترات مختلفة مثل مسقط وصحار وصور وقلهات وظفار وقريات وغيرها من المدن الساحلية الأخرى[٦].

وتفنن هؤلاء الرحالين في وصف تلك المدن، وأعجبوا أيما اعجاب بما شاهدوه من عمران وزراعة وصناعة وحب لركوب البحر والمغامرة.

ولما كانت نزوى بعيدة عن الساحل استحال على أولئك الرحالين، الذين غالباً ما كانوا يركبون البحر في تنقلاتهم، أن يصلوا إليها وخصوصاً أنهم يبحرون من ميناء إلى آخر في أوقات حددوها لأنفسهم قبل مجيئهم إلى هذه الأماكن.

رحلة ابن بطوطة :

يمكن القول بان ابن بطوطة هو أول رحالة عربي زار نزوى، وكانت رحلته في زمن السلطان النبهاني أبي محمد بن نبهان وهو من أواخر سلاطين الدولة النبهانية الأولى التي حكمت عمان في الفترة من (٥٧٩هـ ـ ٩٠٦هـ).

وقد أثارت ملاحظاته وكتاباته عن هذه المدينة حفيظة العديد من المؤرخين العمانيين وغيرهم ممن لم يعجبهم ما أورده في كتابه المشهور «تحفة النظار في غرائب الأمصار»[٧]، فردوا عليه مفندين مقولاته وانطباعاته موافقين على ما قاله حيناً، ورافضين حيناً آخر متهمين إياه بالتلفيق والاختلاق. وأول هؤلاء المؤرخين العمانيين الشيخ نور الدين السالمي في كتابه «تحفة الأعيان»جـ١، ص٣٦٣[٨]

ولنا أن نختلق الأعذار لرحالتنا ابن بطوطة ولغيره من الرحالين، بسبب كونهم يسجلون مشاهدات وانطباعات عامة وعابرة، وقد لا تكون صحيحة أو معبرة عن واقع الحال بالضرورة، ولضيق الفترة التي يقضونها في هذا البلد.

نزوى في كتابات ياقوت الحموي :

أورد لها ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان»[٩]، وصفاً جميلا فقال: «انها جبل بعمان وليس بالساحل عنده عدة قرى كبار يسمى مجموعها بهذا الاسم فيها قوم من العرب كالمعتكفين عليها وهم اباضية».

«يعمل فيها صنف من الثياب منمقة بالحرير جيدة فائقة لا يعمل في شيء من بلاد العرب مثلها، ومآزر من ذلك الصنف يبالغ في أثمانها، رأيت منها واستحسنتها».

وأغلب الظن أن ياقوتاً لم يزر نزوى، ولعله رأى هذه المآزر في إحدى المراكز الإسلامية التجارية آنذاك كبغداد والبصرة والقاهرة، أو سيراف أو غيرها من مراكز التجارة عند العرب المسلمين في تلك الفترة.

نزوى في اقلام الرحالين الأجانب :

عثرنا على رحلتين قام بهما اثنان من الرحالين الأجانب إلى نزوى الأولى كانت عام ١٩٢٠ وقام بها الرحالة البريطاني «جون سكيت»، وعنوان رحلته «عمان قبل ١٩٧٠» أي عمان قبل عام ١٩٧٠[١٠] أما الرحلة الثانية فكانت لرحالة بريطاني أيضا، ولكنها تصف على ما يبدو فيما قبل عام ١٩٢٠، ولأنها كانت في عام ١٩٠٠م بدليل الصور الثلاث التي التقطها الرحالة لأهم معالم نزوى، وهي قلعة نزوى، وقرية تنوف، والجبل الأخضر، وسمي رحلته «سفريات في عمان»[١١] وسنبدأ بالرحلة الثانية لقدم تاريخها قياساً إلى الأولى، معتمدين التسلسل التاريخي في سرد الحوادث.

بدأ وصفه باستقبال الوالي له الذي قال عنه بأنه «من الأسرة الحاكمة في مسقط واسمه السيد سيف بن حمير» ثم أعطى وصفاً مختصراً عن مشاهداته في نزوى، ثم انتقل منها إلى تنوف لمقابلة الشيخ حمير النبهاني، وبعد ذلك واصل رحلته إلى الجبل الأخضر وقراه متبعاً خطى رحالة سبقه إلى هذه المنطقة بخمسة وعشرين عاماً.

بدأت الرحلة الثانية في عام ١٩٢٠ على يد «جون سكيت»، وأسماها كما سبق أن ذكرنا «عمان قبل عام ١٩٧٠»، ويفتتحها بالحديث عن ابن بطوطة ويعيد إلى الأذهان ما قاله ذلك الرحالة العربي من وصف لنزوى، ولكن هذا الرحالة الأجنبي يتحاشى الخوض في ذكر بعض السلبيات التي تحدث عنها ابن بطوطة.

ويحاول من خلال هذا الوصف أن يعقد مقارنة بين ما قاله ابن بطوطة قبل ٦٥٠ عاماً تقريباً، وما يشاهده هو في عام ١٩٢٠، فيسترعي انتباهه سوقها الجميل ومساجدها الرائعة، ويصفها بأنها عاصمة الإمامة على مدى قرون عديدة.

وينتقل من الحديث المقتضب لنزوى إلى حديث أو وصف آخر لمدينة أخرى هى بهلا مستكملا بها حديثه عن مدن وولايات المنطقة الداخلية.

ثانياً: نزوى في قرائح الشعراء:

١ ـ في شعر اللواح الخروصي :

نظم الشاعر العماني أبو حمزة سالم بن غسان اللواح الخروصي (٨٦٢هـ ـ ٩٢٠هـ) قصيدتين في نزوى، الأولى هائية من البحر الوافر وسماها النزوية ويبلغ عدد أبياتها ٨٣ بيتاً.

ومن الواضح أن سبب نظمه لهذه القصيدة أنه لقي جفاء وسوء معاملة من أهل نزوى فقال هذه القصيدة موحداً مستغفراً، حاثاً أهل نزوى على طاعة الله، ومحذراً إياهم من غضبه ـ سبحانه وتعالى ـ.

ويبدأها بالتوبة والاستغفار والرجوع إلى الله كما في قوله:

إليك صبت أفيدتنا ولاها   أيا ألله غيرك يا إلاها

عظمت عن التبعض والتساوي   وأن تحكي لشيء أو تضاهي

ويتضح من خلال معظم ابيات القصيدة أن الشاعر نظمها لغرض الاستسقاء، فقد كان فيها يطلب من الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجود على نزوى بغيث مدرار.. وينتقل شاعرنا إلى الحديث عن مكارم نزوى، ومحامد أهلها، والدعوة لها ولأهلها بالخير العميم:

بلادك بيضة الإسلام نزوى   لجا اللاجي الضهيد إذا لجاها

قرار العلم والعلماء نزوى   وأهل الزهد ناديها حواها

وسادتها الكرام بما تراها   من الأدناس طاهرة نزاها

فكل عمان من نزوى ونزوى   فمن رجل اطال سما علاها

ويعيد تسميتها ببيضة الإسلام، مما يؤكد أن الشاعر ليس هو أول من اطلق عليها هذه التسمية، بل سبقه إلى ذلك غيره من الأئمة أو العلماء أو الشعراء.

والقصيدة الثانية هائية أيضا، من البحر الوافر، وتحتوي على ٩٨ بيتاً، وعنوانها «مابال نزوى»؟!

ويفتتحها بالغزل على عادة الشعراء القدامى :

ثم ينتقل إلى الفخر في وسط القصيدة إذ يبدأه بهذه الأبيات:

من القوم الكرام بني خروص	وأزد شنوءة فهمُو ذراها
لنا البيت المقدس في زهير	إذا ما شاع في قوم حناها

ويقسم على ما يقول بالشمس وضحاها، وبالقمر، وبالنهار في مثل قوله:

بهذي الشمس أقسم أو ضحاها	وبالقمر المنير إذا تلاها
وأقسم بالنهار إذا جلاها	وبالليل البهيم إذا دجاها
وأقسم بالسماء وما بناها	وبالأرض الفسيح وما طحاها

ثم يعتب على أهل نزوى ما رآه منهم من بعد عن الصلاح، وتخاذل في نصرة الحق بقوله:

عهدنا قبل ذا نزوى حصانا	عفيف الليل تنبل من رناها
وكم فيها عهدنا من رجال	تحفّ الشم وزناً عن حجاها
فلا يرضون فيها بالهوا هي	وهم يرمون غفلة من رماها

ويستمر في قصيدته في تعداد لمثالب أهل نزوى، ربما تبيان للأسباب التي جعلته يرحل منها إلى مسقط رأسه.

٢ ـ في شعر السيد هلال بن بدر البوسعيدي :

نظم الشاعر قصيدته التي أسماها النزوية قبل عام ١٩٧٠م، وهي بحق ملحمة شعرية في حوالي مائتين وسبعة أبيات يروي فيها الشاعر تاريخ عمان منذ أقدم العصور وحتى العصر الذي عاش فيه حيث انتقل إلى جوار ربه عام ١٣٨٥[١٤]

يبدأ شاعرنا ملحمته بتحية نزوى وذكر مفاخرها وأعلامها:

حي نزوى تحية الخلصاء	واهد قومي مودتي وإخائي
ثم طف باحثاً هنالك وانظر	أثر الصالحين والأولياء
واتل تاريخها القديم وحدث	عن خصال الأئمة الفضلاء

وعن العلم إنها موطن العلم ومهد التأليف والعلماء

ويختم قصيدته أو ملحمته بحديث عن نزوى، ولعل هذا هو سبب تسميتها بالنزوية إذ يقول:

وابتدا أولاً بنزوى فدانت إنّ سر التوفيق في الابتداء

٣ ـ في شعر عبد الله بن علي الخليلي :

إذا كان الشاعر الشيخ عبد الله بن علي الخليلي لم ينظم قصيدة في نزوى، ولم تتردد نزوى، ولا بيضة الاسلام في كل دواوينه[١٥]، فإن نزوى لم تغب عن ذاكرة الشاعر أبداً، فمن يطالع دواوينه بل قصائده الرائعة يدرك أن نزوى مبثوثة في كل قصيدة وفي كل بيت من أبياتها وان لم يصرح هو بذلك، وإن لم يخص نزوى بقصيدة بعينها.

ويكفي نزوى فخراً تلك الملحمة الهمزية التي أوردها في ديوانه «وحي العبقرية»[١٦] وتحتوي على مائة وواحد وعشرين بيتاً.

وهي تحكي بطولات العمانيين وتاريخهم ومفاخرهم مع أبيات خاصة عن نزوى.

كما أن نزوية الشاعر السيد هلال بن بدر البوسعيدي يحتوى مطلعها على ١٥ بيتاً من نظم الشيخ عبد الله بن على الخليلي أدخلت كتعديلات لملحمة البوسعيدي بناء على وصيته.

وإذا انتقلنا إلى رائعته التي اسماها «نزوى» والتي خص بها هذه المدينة العريقة، وأفردها للحديث عن تاريخها العريق، وذكر أئمتها، وانتصاراتها، ووقوفها في وجه الغزاة الطامعين على مر التاريخ، فإننا سوف نجد أن شاعرنا جعلها في اثنين وأربعين بيتاً، وهي من البحر الطويل ويبدأها والتي يبدأها بقوله :

« هلم إلى الوادي المقدس من نزوى »

ومنها قوله :

لنرتبع العلياء من شرفاته نعز بها قدرا ونسمو بها علوا

ونبصر آي الله نوراً مجسما ونجلو محيا السالكين به جلوا

ونزجد خيل الله تردي سنابكا كصاعقة أثر المريد بها يكوى

ونركبها في اللـه تعدو كأنها		بروق تهاوى والفضاء لها يطوى

ونستقطب الآناء تسبح في الفضا		لنكتب سطراً من شوامخه رضوى

ويشير الشاعر في أحد الأبيات إلى علاقة نزوى بحلب الشهباء، فكأنه يشير إلى المرجعية التاريخية إلى سيفين وشاعر فحل وابن عم الشاعر الأول.

فإن حلب تاهت بدولة سيفها		فسيفك نزوى قيِّد الأرض بالتقوى

إنّ الصورة الأولى هي صور حلب الشهباء، ينير سماءها الفارس الشهم سيف الدولة الحمداني وهو يطارد الغزاة الروم، وابن عمه الشاعر الفارس الشهم أبو فراس الحمداني، بجانبهم الشاعر الفحل أبو الطيب المتنبي أربع صور بل لامست صورا تجسد صورة..

وفي مقابل تلك الصورة، صورة أخرى أكثر بريقاً ولمعاناً واشراقا، صورة تتكون من ست صور كسابقتها، الصورة الأولى صورة سيف بن سلطان اليعربي الملقب بقيد الأرض، والصورة الثانية صورة عمه ووالده، والصورة الثالثة صورة نزوى «بيضة الاسلام»، والصورة الرابعة صورة قلعتها الشهباء، والصورة الخامسة صورة البرتغاليين الطامعين في عمان وهم يولون الأدبار مدحورين، والصورة السادسة متنبي عمان «الخليلي» وهو يرسم تلكما الصورتين الكبيرتين لفظاً ومعنى بما فيهما من دلالات روحية وثقافية وحضارية وعربية ودينية.

لقد استطاع الشاعر بذكائه البارع أن يرسم صورتين متماثلتين لكفاح العربي المسلم في ربوع المعمورة ضد المستعمر الغاشم في بيت واحد.

فإن حلب تاهت بدولة سيفها		فسيفك نزوى قيِّد الأرض بالتقوى

وإذا كان لسيف الدولة من يرسم بطولاته في وقتها، فإن شاعرنا أبى إلا أن يسطر امجاد أمته ولو بعد حين.

إنّ قمة الإبداع أن يشبه الشاعر دولتين إحداهما بالأخرى، تكون الأولى في الشطر الأول مشبهاً به، والثانية في الشطر الثاني مشبهاً به مع كل وجوه الشبه التي تربط بينهما مع استحضار جميل للتاريخ العربي الاسلامي الذي تتميزان به، وتصوير لتلك البطولات والانتصارات التي خاضتها تلكما الدولتان ضد العدو الغاشم.

إذا كان سيف الله سيفاً لدولة		ففي الناس أبواق لها وطبول

وصدق المتنبي في وصفه لسيف الدولة، ووصف أعدائه وخصومه

والملمح الآخر هو أن شاعرنا كرر كلمة «نزوى» إحدى عشرة مرة، ولو كان هذا التكرار صادراً من شاعر آخر لاعتبرناه عيباً وضعفاً في شعره، ولكنه حين يصدر من عملاق كالخليلي فإن لهذه اللفظة مدلولاتها وإيماءاتها.

وكأني به يرد على أولئك الذين يقولون إن الشاعر قد تجاهل نزوى في كل قصائده ودواوينه، فيرد قائلاً بأنه ذكر نزوى في دواوينه وقصائده اكثر من مرة بصورة أو بأخرى، وأن هذا التكرار دليل واضح وجلي على حضور نزوى في الذاكرة العمانية، وفي الذاكرة الشعرية بعامة، وفي الذاكرة الخليلية على وجه الخصوص.

«نزوى» اسم مقصور على وزن «فَعْلَىْ» كليلي، إذ أن الشاعر يتلذذ بذكر معشوقته فكذلك شاعرنا يتلذذ بذكر معشوقته «نزوى».. وتكرر وزن «فَعْلَىْ» تسع عشرة مرة في القصيدة، وسبق وأن قلنا بأن «فَعْلَىْ» هي «كيلي» الشعراء، و«نزوى» الخليلي، فكل كلمة على وزن «فَعْلَىْ» فالمقصود بها «نزوى». ودعونا ننظر إلى كلمات من مثل «النجوى»»، «رضوى»»، «الشكوى»»، «نخوى»»، «الجدوى»»، المهوى»»، «الأقوى»»، «العدوى»»، «البلوى»»، «الدعوى»»، «السلوى»»، «المأوى»»، «يهوى»»، «أقوى»»، «بالتقوى»»، «نشوى»»، «نهوى»»، «أروى»»، عزوى»».

إلى جانب عدد آخر من الكلمات على وزن «فَعْلَىْ» ولكنها كلمات ممدودة سهلت الهمزة في آخرها بحذفها كمثل قوله «اللأوا»، «الأجوا»، «كالأنوا».

٤ ـ في شعر أبي مسلم الرواحي :

سار أبو مسلم على نهج السابقين له من الشعراء والعلماء في اطلاق تسمية «بيضة الاسلام» على هذه المدينة العريقة، إذ يتضح ذلك من ابياته التالية التى اقتطعناها من نونيته الشهيرة «الفتح والرضوان في السيف والايمان» التي يقول فيها:[١٧]

وافرق بها البيد حتى تستبين لها	«فرق» على «بيضة الإسلام» عنوانُ
فإن تيامنت الحوراء شاخصة لها	مـــع السحـــب أكنـاف وأحضـانُ
فحُطَّ رحلك عنهـــا إنهـــا بلغت	«نزوى»، وطاف بها للمجد أركانُ

فإنه يدلل هنا على أنها حاضنة المذهب الإباضي، وجمعت بين افيائها من علماء الأمة ورجالاتها مالا يحصى عدده، حتى لقبت بهذه التسمية للتأكيد على رعايتها واحتضانها للعلم وأهله.

٥ ـ في شعر الشيخ نور الدين السالمي :

وقد خص شيخنا العلامة نور الدين السالمي مدينة «نزوى» ببيت واحد في الباب الدسمى «باب الضوابط»، من كتابه «جوهر النظام»[١٨] وأورده لتوضيح النطق الصحيح لكلمة «نزوى» حيث يقول:

أما «فدى» فهي بكسر الفاءِ	والفتح في «نزوى» بلا مراء

وهو رد غير مباشر على الذين اعتادوا على نطقها بكسر النون.

٦ ـ في شعر خميس الصباري :

وإذا انتقلنا إلى شاعر نزوى المعاصر خميس بن ماجد بن خميس الصبّاري المدرس بمدرسة السلطان قابوس الداخلية ببركة الموز، وهو من شعراء نزوى الشباب، فإننا نجده قد أتحف نزوى بقصيدتين[١٩] الأولى بعنوان «مزن الندى»، والثانية «بهجة الأبصار».

وبإلقاء نظرة سريعة على هاتين القصيدتين يمكن الخروج بتصور عام يتمثل في أن القصيدة الأولى «مزن الندى» تتكون من ٢٥ بيتاً وهي من البحر البسيط مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن، يقول في مطلعها على عادة الشعراء القدامى:

قف بالمطي فإن اليوم مزدحمُ	في عارضيه تجلى البشر والكرمُ
أنشد على الناقة الوجناء قافية	ما تعرف العرب أو ما تسمع العجمُ

ثم ينتقل إلى مدح السلطان قابوس بن سعيد المعظم موضحاً تكريمه لهذه المدينة بأن جعلها تحتضن (عام التراث).

أما قصيدته الثانية «بهجة الأبصار» فتحتوي على ٤٧ بيتاً، وهي من البحر البسيط كالقصيدة السابقة.

ويبدأ هذه القصيدة بمطلع غزلي مقلداً بذلك الشعراء القدامى، والجاهليين منهم على وجه الخصوص:

صبح تنفس في نزوى فأهداني	شذى الخزامى وعطر النرجس الحاني
صبح يعانق نفس الصب رونقه	حتـــى تـــراه علـــى روح وريحـــان
قالت رياح الصبا فيه تحدثني	ألـقِ عصـــاك فأنـت الساكـن الهانـي

ويستمر الشاعر في تلك المقدمة الغزلية في ١٠ أبيات إلى أن يدخل في ذكر وصف مفاخرها بقوله:

ذكرى تطوف بنا نزوى وقد لبست	ثوب الجلال وحازت رفعة الشان

وخصص لنزوى ١٦ بيتاً، ثم ينتقل بعد ذلك لمديح جلالة السلطان في ٥ أبيات، ليعود ثانية لاستكمال قصيدته في ذكر نزوى ومعالمها، وتاريخها وأمجادها الغابرة التي يلهج بها كل لسان.

٧ ـ في شعر علي بن شنين الكحالي :

نظم الشاعر الصحاري علي بن شنين الكحالي قصائد بل مقاطع في ذكر مدن عمان الشهيرة، وكان نصيب نزوى قصيدة حصلنا منها على بضعة أبيات[٢٠] يقول في مطلعها:

تذكرت نزوى والسنين الخواليا	ومجداً على أرياضها كان جاثيا
فأزمعت أمري نحوها يستفزني	هوى بالشـوق للحبيـب دعانيـا

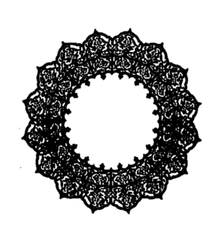
ويختم القصيدة بقوله :

أقول بنـزوى ما أقـول ولا أرى	كثيري سوى نـزر فباللـه ما ليـا
عليك سلام اللـه نـزوى فإننـي	لحسنك والتاريـخ أبديـت ما بيـا

خاتمة البحث

هذا هو البحث المختصر البسيط الذي خصصنا للحديث عن «نزوى في أقلام الرحالين والشعراء»، وتناولنا فيه الإشارة إلى أربعة من الرحالين، اثنين منهم من العرب المسلمين، واثنين من الرحالين الأجانب. وجاء القسم الثاني من البحث لدراسة نزوى في قرائح الشعراء فاقتصرنا على سبعة منهم ما بين شاعر قديم وحديث، مع الإشارة إلى بعض الجوانب الفنية في تلك القصائد، بشكل بسيط، منعاً للإسهاب والإطالة.

هذا وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء السبيل



الهوامـش

(١) روبن بدول: الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة د. عبد الله آدم نصيف، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٩ ، ١٩٨٩ .

(٢) المرجع السابق، بتصرف.

(٣) المرجع السابق ص٢٣، ص٢٦، ص٢٩.

(٤) حسين عبيد غانم غباشي، عمان الديمقراطية الإسلامية، تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث (١٥٠٠ ـ ١٩٧٠)، دار الجديد، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧، ص٢٧٧.

(٥) نور الدين السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جـ١، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١.

(٦) عبيد علي بن بطي، كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦، ص٥.

(٧) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، شرحه وكتب هوامشه طلال حرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٢٨٥ وقد زار ابن بطوطة عمان في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي.

(٨) نور الدين السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، جـ١، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١، ص٣٦٣.

ومن الذين ردواعليه كذلك:

ـ مؤلف كتاب «عمان تاريخاً وعلماء» من مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، ص٧٤

ـ ومحقق كتاب كشف الغمة، الدكتور أحمد عبيدلي، ص١٤٠

ـ وصاحب كتاب «كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي عبر العصور، ص٧ ، ص٩٩

ـ وصاحب كتاب «المنجد في اللغة والأعلام» الذي وصف رحلات ابن بطوطة بأنها امتازت بالدقة في الملاحظة، والأمانة في الرواية.

(٩) ياقوت الحموي: معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ص٢٨١

(١٠) Oman before 1970, 1985 faber and faber, london - Boston, p106

Jon Skeet,

(١١) Philip Word, Trawelle in Oman, Cambridge, England, 1987, Britain, p317

(١٢) ديوان اللواح: أبو حمزة سالم بن غسان اللواح الخروصي، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، جـ١، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩، ص٣٨٧

(١٣) المرجع السابق، ج٢ـ ص٨٥

(١٤) ديوان السيد هلال بن بدر البوسعيدي، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص٢٦٣

(١٥) عمان، ١٨ نوفمبر ١٩٩٤، عدد خاص من جريدة عمان عن نزوى بمناسبة العيد الوطني الرابع والعشرين «عام التراث»، ص١٧٠

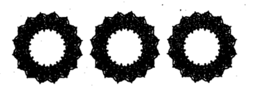
(١٦) سعيد بن سليمان العيسائي، قراءة في مسارات الفكر العربي، مطبعة الباطنة، مسقط، سلطنة عمان، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٧م، ص٤٤

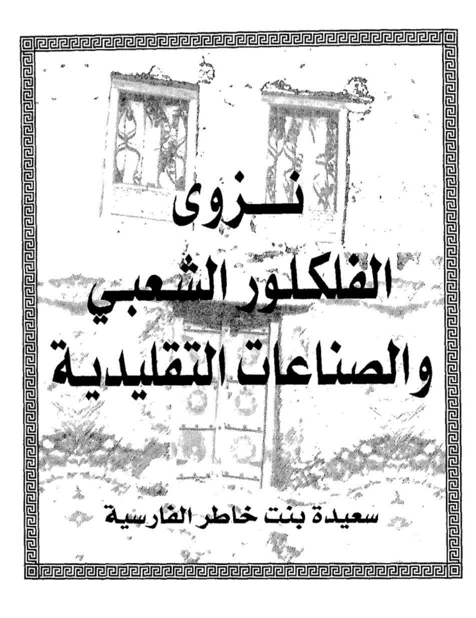
(١٧) صحيفة عمان، عدد خاص بمناسبة العيد الوطني الرابع والعشرين، ص٧٥

(١٨) نور الدين السالمي، جوهر النظام في علمي الأديان والأحكام، علق عليه أبو اسحق اطفيش وابراهيم الطبري، الجزء الرابع، الطبعة الثانية عشرة ١٤١٣ - ١٩٩٣، ص٣٥٤

(١٩) صحيفة عمان، مرجع سابق، ص٩٤، ص٩٦

(٢٠) جريدة الوطن، الملتقى الأدبي، ٤ ديسمبر ١٩٨٩، مقالة لسعيد بن علي العامري.




نــزوى
الفلكلور الشعبي
والصناعات التقليدية
سعيدة بنت خاطر الفارسية

نـزوى هى تلك المدينة العمانية العريقة ذات الأهمية التاريخية والدينية والعلمية في التاريخ العماني.

الفلكور: بلغة موجزة هو التراث الشعبي - والتراث الشعبي هو مجموعة من المعارف المحلية التي أظهرها شعب أو فئة من الناس تستوطن منطقة معينة، وفي زمن معين، هذه المعارف المكونة من الأدب الشعبي والموسيقى والعادات والمعمار والصناعات المحلية والأزياء والمأكولات والطب الشعبي واللهجة العامية والألعاب الشعبية لها خصوصية تميز منطقة ما عن غيرها من المناطق المجاورة.

يقول الباحث: ناصر حسين العبودي في مقالته (التراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة): «ظهر مصطلح الفلكلور إلى حيز الوجود لأول مرة في بريطانيا عام ١٨٤٦ والذي أطلقه عالم الآثار الإنجليزي وليم جون، وقد لاقى هذا العلم اهتمام مختلف دول العالم ومنه العالم العربي».

وقد قسم الباحثون التراث الشعبي إلى أربعة عناصر رئيسية وهى:

أولاً - الأدب الشعبي.

ثانياً - الموسيقى والغناء والرقص الشعبي.

ثالثاً - العادات والتقاليد والمعارف الشعبية.

رابعاً - الثقافة المادية والفنون والحرف الشعبية.

وعليه فإن بإمكاننا أن نقسم الفلكور الشعبي إلى قسمين بارزين الأول نستطيع أن نطلق عليه الثقافة المعنوية أو الفكرية، الثاني: الثقافة المادية.

وفي هذا البحث سأتناول كلا منهما على حدة قاصرة هذا البحث على مدينة نزوى ثم الخروج بنتائج وملاحظات وتوصيات في نهاية البحث.

أولاً: الثقافة الفكرية «المعنوية»: - وتتكون من عدة أنواع:

١ - الأدب الشعبي.

٢ ـ الموسيقى والغناء والرقص الشعبي.

٣ ـ العادات والتقاليد والمعارف الشعبية.

١ ـ الأدب الشعبي: هو خلاصة المعارف التي انبعثت من تجارب الشعوب وميلها الفطري للمعرفة والفنون، ومن أهمها:

أ / الشعر الشعبي: ويختلف هذا الشعر حسب البيئات المختلفة التي نشأ فيها فهناك الشعر النبطي وهو العامي المنتشر في البيئة البدوية الصحراوية وهناك الشعر العامي المنتشر في البيئة الريفية وهو المعروف بالزجل أو الموال.

وهناك الشعر العامي المنتشر في البيئة الساحلية. وعادة ما يكون هذا الشعر سماعيا، غير منظور نظرا لارتباطه باللهجة المحكية لكل بيئة واختلاف حدة تلك اللهجات وتباينها إلى حد الالتباس من بلد إلى آخر وفي نزوى كما في غيرها من المدن العمانية كانت في القديم تقام جلسات يتم فيها مبارزة للشعراء على شكل مساجلات شعرية بعضها بالفصحى وبعضها بالعامي ويكون التجمع في فصل الشتاء على موقد النار حيث السمر يتم في السبلة وفي فصل الصيف على ضوء القمر مساء وفي الصباح يتم إما تحت ظلال الاشجار أو في البرزة خاصة وأن الناس لم يكونوا موظفين متقيدين بدوام رسمي صباحا، وكثيرا ما تلحن وتغنى هذه الاشعار ليتسلى بها الصانع أثناء عمله كما اشتهرت بعض الاسماء لارتباطها بقول الشعر اثناء الرزحة والعازي والقصافي وهى من الفنون البارزة في نزوى ومن شعراء العازي المشهورين/ خميس بن سلوم الخاطر، حمد بن سلوم الخاطر، وعلى بن دهيم، عبد الله بن خلفان بن عامر السالمي.. الخ ومن شعراء الرزحة المشهورين محمد بن خميس بن راشد ومحمد بن سيف بن على الشرقي ومحمد بن خلفان بن سالم الغطريف وصالح بن عبد الله بن صالح آل بوسعيد.. وغيرهم.

«انظر سلسلة الفنون الشعبية العمانية/ ج١ سعود العنسي، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة».

ب/ الحكاية الشعبية: اسم الحكاية الشعبية في نزوى «الخبر» والخبر كلمة تعني الحكاية أو القصة، وأخبار تعني قصصاً أو حكايات «تخبر عليكم» أى تقص عليكم وتبدأ الحكاية في الأثر بكان يا مكان في قديم الزمان وفي نزوى تبدأ ب «سقاط بن سقطان راعي القت والشوران».

وتأتي الحكاية الشعبية عادة عن طريق الجدات يلتف حولها الصغار خاصة في فصل الشتاء حول المدفأة وتبدأ الجدة تقص القصص التي يلعب فيها الخيال لعبا كبيرا لكنها لابد أن تدل على قيمة معنوية وأدبية تفيد في تهذيب الطفل وتوجيه سلوكه وتأتينا الحكاية مستلهمة من البيئة موظفة معطياتها المختلفة مثل/ حماموه وجعيريف راكبين جبل سندي حماموه تكسرت وجعيريف قعد يبكي. و«حماموه اسم أخت جعيريف» مرت عليهم شجرة قالت مالكم ـ قالوا حماموه وجعيريف راكبين جبل سندي حماموه تكسرت وجعيريف قعد يبكي قالت الشجرة نويه أنا اسحل ورقي، مر عليهم الفلج سألهم ما لكم قالوا.... قال نوبة أنا أشرب الماي... جت الخادمة تغسل الصحون سألت مالكم قالوا... قالت عجب نوبة أنا اكسر صحوني... الخ وهكذا إلى أن تصل إلى أكبر سلطة في البلد الذي سيساهم أيضا بكسر سيفه.

نلاحظ مدلول الخيال فالشجرة والفلج يمشوا وشافوا جعيريف وأخته نلاحظ الهدف التربوي التعاون من كل الكائنات وكانت النتيجة في الآخر ان الله أعانهم وأعاد لكل منهم ما فقده سليما.. ويقوم الأب أحيانا بدور القاص الذي يسامر ابنه الصغير تحت ضوء القمر ويسليه بقص حكايات عن عنتر والحروب والشخصيات البطولية المشهورة الأخرى كأبوزيد الهلالي أو شخصيات التراث العماني البطولية.

لاحظ اهتمام الأب بنماذج البطولة وغرس هذا في نفس الطفل نظرا لما للحروب والبطولة من أهمية في نفس الطفل «الصبي» خاصة. وفي البيئة الاجتماعية.

ج ـ **الامثال الشعبية: الامثال الشعبية هي** خلاصة خبرات وتجارب الشعوب تأتي على شكل حكمة تتناقلها الأجيال من جيل إلى جيل عبر مختلف العصور وتأتي وليدة معطيات البيئة جغرافيا، وتاريخيا واجتماعيا ودينيا وفنيا ومن الأمثلة الشائعة في نزوى قولهم:

ـ «كما قصاب نزوى» والقصاب بائع اللحم «الجزار» ويقال هذا المثل في الشخص دائم الشكوى من الخسارة مع أنه في الحقيقة يكسب الكثير ولأن المثل نابع من معطيات البيئة كما قلت فقط ظهر هذا المثل لأن نزوى بيئة داخلية لا تقع على الساحل وعرة المسالك والدروب قديما، لذا فإنه من النادر وصول السمك إليها خاصة الطازج وذلك لسرعة تلف السمك وعدم وجود وسائل علمية جيدة لحفظه ونقله ولأن الرعي منتشر لكونها بيئة زراعية جبلية فإن اللحوم هي أكثر ما يتوفر.. لذلك فإن بائع اللحم القصاب لابد أن يربح

في نزوى الكثير كربح بائع السمك في صور أو في سواحل الباطنة مثلا أما إذا اشتكى من قلة الربح فإن هذا يدل على طمعه وعدم شكره لربه أو ربما لخوفه من قول الحقيقة حيث سيصاب بالعين من الحسد إذا صرح بمبلغ ربحه.

-/ **ومن الأمثال المتداولة بكثرة قولهم:**

إذا مدحنا الطويج احترق وإذا مدحنا السنور سرق

والطويج هي الحديدة التي يخبز عليها الخبز، والسنور القط.

-/ «**ناقر جارك ولا تنام عصر**» وناقر = نازع واختلف مع جارك ولا تنام، عصر.. أي أعمل أى شيء ولو كان سيئا وغير لائق لكن لا تنم عصرا.

ولهذا مردوده في العادات الاجتماعية والصحية والسلوك الديني إذ من المستحب أن ينهض الانسان من قيلولة الظهر ليصلي العصر ويذهب لعمله باكرا للسعي في طلب الرزق، ولا يستحب النوم إلى المغرب لما في ذلك من ضياع لفرض صلاة العصر وضياع للوقت المتسثمر من بقية النهار.. ولما يخلفه من تخمه تضر صحيا بجسد ومزاج النائم، وتسهره ليلا لأنه من المستحب النوم باكرا في تلك الظروف.

-/ «**لا يسوق ولا يلوق ولا يداوي عن الفلوق**» وهذا مثل المثل المعروف في بيئات عمانية أخرى «لا يسر ولا يضر مثل وسم الجمعة».

لاحظ توظيف العلاج الشعبي في المثل والاعتقاد السائد أن وسم الجمعة أي الكي في يوم الجمعة فاسد لا يشفي من المرض، وأيضا معنى لا يداوي عن الفلوق أي لا يداوي عن الجروح - الفلوق مفرد فلق أي شق.. يعني هذا شخص لا فائدة منه فهو لا يسوق الدواب ولا يلوق في المجالس أي غير لائق ولا يعالج عن مرض. ويضرب لمن لا شخصية ولا عمل له يفيد به نفسه وغيره.

٢/ الموسيقى والغناء والرقص الشعبي:

من الملاحظ أنه بمقدار ما تزخر به مدينة نزوى من علوم دينية وأدبية وتاريخية بمقدار ما تفتقر إلى الفنون وقد انعكس ذلك الإزدهار الديني والعلمي على الفنون ووسمها بميزات تتصل اتصالا وثيقا بتقاليد أهل الداخل وابرزها تمسكهم القوي بسلوكيات الاسلام الحنيف.. وابرز ما تتسم به فنون نزوى هو انعدام مشاركة النساء في ممارستها انعداما

كليا بالاضافة إلى حماستهم لفنون السيف وتقلص حجم الفنون الوافدة، سواء من امتداد الإمبراطورية العمانية على الساحل الشرقي لأفريقيا والجزر المتاخمة أو من الشطر الغربي لقارة آسيا (انظر سعود العنسي سلسلة التراث) وكذلك من مميزات فنون نزوى ثراء غناء العمل (زراعة النخيل - التبسيل - صنع السعفيات) - والغناء الديني المرتبط بالمناسبات الدينية لدى الصغار... ونستطيع أن نقول بأن فن الرقص الشعبي الوحيد الموجود في نزوى هو:

أ - فن الرزحة وما يتعلق به من - الهمبل والقصافية والعازي.

- الهمبل أو المسيرة / هو: المسيرة الغنائية التي ينتقل بها الرجال ذاهبين إلى مكان انعقاد الرزحة أو منصرفين منها. والإيقاع في الهمبل ثنائي حتى تتيسر مشية الرجال عليه وهو ايقاع نشط يتلاءم وروح المسيرة، يردد المشاركون في الهمبل غناء شلات شعر من البحر البسيط ومن أمثلة شعر الهمبل هذه الشلة في الفخر:

حنا بروق المخايل	والرعود الجوية
تشهد لنا القبائل	يوم حل اللجّيه

- القصافية / هي رزحة سريعة الإيقاع يبدأ بها لقاء الرزحة ويؤديها الشباب تمهيدا لرزحة الكبار وهي بمثابة المدرسة التي يتدرب فيها الشباب على أصول فن الرزحة، فالإيقاع بسيط سواء كان ثنائيا أو ثلاثيا والشعر قصير البحر وأغراضه خفيفة مثل الوصف والغزل (انظر/ سعود العنسي سلسلة الفنون الشعبية العمانية ج٣ ص)

ومن أمثلة الشعر الذي يقال فيها:

أول سلامي على الديره	وانتو عليكم سلام الله
الحسن ناشل بناديره	خسران لي يخون عهد الله

والأصل في القصافية أن يكون لها طبلان الكاسر والرحماني وقد يشترك أكثر من طبلين كما هو في المنطقة الداخلية، واغلب طبولها قد تكون من نوع الرحماني.

- الرزحة / هي فن الحماس والفخروالمبارزات الشعرية، هي فن الرجال الأشداء المتمرسين في ارتجال الشعر والمبارزة بالسيف، والرزحة تسمية تشير إلى أن اللاعب بالسيف يرزح تحت ثقله وعليه أن يتحمل هذا الثقل وهو يقفز عاليا في الهواء ليهبط واقفا

على قدميه، وعليه أن يلتقط السيف المقذوف عاليا في الهواء من مقبضه عند هبوطه وهذه مهارة يتباهى بها الرجال وتسمى الرزحة أحيانا وفي بعض المناطق العمانية باللال العود «أى الكبير» والإيقاع في الرزحة اللال العود ثلاثي وئيد يتميز بالوقار لينسجم وحركة المشاركين فيها يصيح طبل الرزحة فيتجمع الرجال، يلقن الشاعر أحد الصفين المتوازيين المتقابلين نص الشلة شعرا ونغما بعد تنغيم كلمة لال، وكانت الرزحة فيما مضى هي وسيلة التعبير الجماعية بمطالب الناس عند الولاة والأئمة ووسيلة اعلان الحرب وحشد المحاربين واعلان الانتصار والتوسط بين المتخاصمين لإقامة الصلح بينهم (انظر عبد الكريم الصباغ، عمان وعمانيون، ص١٤).

ـ العازي/ تأتي تسمية العازي نسبة إلى الرجل أو الشاعر الذي ينشد قصيدة العازي التي يعتز فيها ويفتخر والعازي هو فن الفخر والمدح وهو كذلك فن الإلقاء الشعري دون تنغيم أو غناء وهو فن فردي في اساسه يتولاه شاعر مبدع مجيد لأصول الالقاء الشعري، والعازي هي صيغة اسم الفاعل من الفعل «عزى» وهو فن مرتبط بالرزحة ارتباطا وثيقا يكاد لا ينفصل فحيثما أقيمت الرزحة يقام العازي فهو عادة يقام بعد الهمبل أو بعد رزحة اللال الكبير ـ ويقام العازي في المناسبات الإجتماعية المختلفة كالاعراس والختان أو لتحية الوالي في الأعياد أو بمناسبة قدوم ضيف والتحية له وقصائد الشعر في فن العازي تقع على ثلاثة أنماط.

أ ـ الألفية/ وفيها تكون قصيدة الشعر على حروف الهجاء.

ب ـ العددية/ تبدأ المقاطع الثلاثة الأولى منها على الأقل عدديا يقول الشاعر الأولى، الثانية، الثالثة.

ج ـ المطلقة / لا يتقيد صاحبها بحروف ولا بأعداد وإنما تتوالى ابياتها على سجية الشاعر، وهتافات العازي أيضا ثلاثة :

(أ) وسلمت وتقال في هتاف قصير حاد ونفاذ.

(ب) الملك لله يدوم/ يمد حرف الألف في لفظ الجلالة تأكيدا للمعنى

(ج) صبيان ياكبار الشيم / جملة ينهي بها الشاعر المقطع الشعري في مدح أو فخر أهله وعشيرته.

وأشهر قصائد العازي الألفية / الألف / ألفت الكلام وينتقل إلى الحروف الهجائية الأخرى

«والباء/ بذكرك يا إله

بالصوم وقيام الصلاة

واللي تعلا في سماه

وبعزة الله طائعين

التاء/ تلينا بالرسول

محمد يا آب البتول

يشفع لنا يوم النزول

يوم الخلائق واقفين»

ب/ **اغاني الطفولة والمهد**: منذ المهد تفيض عاطفة الأمومة تجاه مولودها حبا وفخرا وتمنيا له بالحياة الناعمة السعيدة والمستقبل المشرق وتهدهد الأم طفلها بأغاني ترتبط بالمهد وأخرى لترقيصه وملاعبته وعلى امتداد التاريخ الانساني وفي مختلف الحضارات هناك أغاني وردت إلينابهذا المضمون فالأم الألمانية تغني لابنها هذه الأغنية مثلا:

نم يا طفلي نم/ أبوك يرعى الغنم

وأمك تهز شجرة الحلم / فلتتساقط منها عليك أحلى الأحلام

نم يا طفلي نم (أحمد أبو سعد/ أغاني ترقيص الاطفال ص٢٧)

ومن التراث العربي الإسلامي وردت الينا هذه الأبيات الشائعة الصيت يقول الزبير بن العوام مرقصا ابنه عروة ويصفه بالبياض ويجد فيه عذوبة يستلذها كمايستلذ ريقه يقول:

«أبيض من آل ابي عتيق/ مبارك من ولد الصديق

ألذه كما ألذ ريقي»

هذا باختصار شديد لما فاضت به كتب التراث عن حب الابناء وتدليلهم وفي نزوى تدلل الأم طفلها وتهدهده وتراقصه في اغنيات كثيرة أيضا هي انعكاس للبيئة وللمتداخلات

الاجتماعية والاقتصادية والدينية والتاريخية.. الخ وانعكاسها على تلك الفنون. نموذج لذلك تقول الأم في لحن رتيب لينام الطفل/

هويك هويك هويك أبويه

سار أبوك البحرين / أبويه

ياتيلك الثوب الزين / أبويه

ساير أبوك البصرة / أبويه

ياتي نوط بو عشرة

أبوك ما بغنى أبويه / طالب عليه خيار

طالب بنيه صغيره

بيضاء وعليها مزار.. الخ

نلاحظ الإشارة إلى الظروف الاقتصادية قديما (قبل عصر النهضة) وسفر الأب لطلب الرزق في الخارج والأمل في الانتظار والعودة بكل ما يفرح.

ونلاحظ البعد الاجتماعي الزواج من اثنتين وبحث الأب عن زوجة صغيرة مواصفاتها بيضاء ذات كذا وكذا وتستمر الأم تصف جمال البنت الصغيرة ونلاحظ العجز في لهجة الأم وتحميل الطفل ظروفها وحزنها لينقذها وينصفها في كبرها، وعندما يشب هو.. وحتى ينام الطفل بسرعة يقمط «أي يلف بمفرش خفيف وصغير ويربط ذراعه ورجلاه بالقماط والأم تفعل ذلك بعد أن تداعب وليدها «سقاط بن سقطان راعي الجت والشوران لعبتوه وشبطوه وربطوه عن يعض ولاد الناس».

السقطان - هي النملة الكبيرة التي تعض بألم مفردها سقاط والملاحظ روح الظرف والفكاهة في مداعبتها ونشعر بالربط واللف من خلال الكلمات لعبتوه وشبوطوه وربطوه.

ج/ ألعاب الأطفال الشعبية: نزوى مثلها مثل أي حارة عربية بشكل عام عمانية بشكل خاص تكثر فيها ألعاب الأطفال التي كانت عوضا عن أجهزة التسلية حاليا وهذه الألعاب تتسم بروح الجماعة فهي في أغلبها جماعية ويرتبط بعضها بالغناء خاصة ألعاب الفتيات الصغيرات ومن أبرزها أغاني.

(١) **اللعب بالمرنجوحة/ مثل...**

الشوط شوط العالي/ أربع أربع ويلالي

يلموزة يا الخوية / ايش جابلك علي

تقطيعه من البريسم / أو زار الشواعي

أو تقول/ يامي تلاعيني/ باغية تحنيني/ يازهيرة الصيني/ صيني بلا صين والرب يعطيني/ داخل بيت الله/ ولقيت طير أخضر/ لقمته سكر أبيض

يافاطمة بنت النبي/ رفعي كتابك فوق فوق.

وقولهن: خطفت علينا طويره/ توكل ولا تشرب/ واخاطّنها النبي ومصورنها الرب.

(٢) **لعبة حومي**: تلعب الفتيات الصغيرات أقل من ١٢ سنة في الحارة مساء وليس صباحا وهذا في حد ذاته يدعو للتساؤل لماذا؟ وكان الجواب مقنعا البنات في الصباح يساعدن أمهاتهن في عمل المنزل أو ترعينى الغنم أو يذهبن لحفظ القرآن - وفي المساء كان اللعب والسمر بعد صلاة المغرب وكان بديلا للتلفزيون والتسلية في المنزل. تأتي مجموعة من الفتيات أي عدد الموجود وقت اللعب يعملن مثل الدائرة ويدرن فيها واحدة من البنات تقول:

من ذاك في الجل

المجموعة ترد/ حومي.

يقلع فجل/ حومي/ فجل مسعود/ حومي/ واخشت العود/ حومي/ أربع دبات/ حومي/ وافي مكبات/ حومي

ويقطرن شيء/ حومي/ ويقطرن حل/ سنور المبقع/ ما كل المقطع.

ومن ألعاب البنات أيضا المتشابهة مع حومي.

(٣) **لعبة سقطي وذكري الرويحة/** عبارة عن دائرة تدور فيها البنات ولما تنتهي يسقطن كلهن على الأرض ولها أغنية طويلة منها:

(جانا الزين بزوينه / زوينه الهلالية / تبتاع غالية)

وتنتهي اللعبة بعبارة سقطي ذكري الرويحة

(٤) **برت القمرية:** مثل اللعبتين السابقتين تتميز بأناشيدها الطويلة ونقطف منها قول البنات:

برت القمرية/ بوشع

وامن يلاعبها/ بوشع/ يلاعبها طليعه/ طليعه الحدرية/ بوشع

ولقيت رارية/ رارية الحمرا/ بحزم بها راسي/ بوشع/ راسي مجلاسي.

وكثيرة هي ألعاب البنات التي يلعبها البنات والأولاد ربما مع بعض أحيانا وفي معظم الأوقات الأولاد على حده والبنات على حده مثل:

- **لعبة ما عوير عور:** ويتم فيها ربط عين الطفل ويختبىء منه الآخرون ليبحث عنهم.
- لعبة الروع.

ألعاب الصبية: هناك ألعاب خاصة بالصبيان وعادة هي خالية من الغناء عكس ألعاب البنات وتركز ألعاب الأولاد الذكور على المبارزة بالقوة والتركيز على الشجاعة - وعلى المعرفة وهناك ألعاب مثل **شجيرة/** ويتحدث فيها أحد اللاعبين عن وصف شجرة معينة فيبدأ بقوله:

(١) شجيرة وشجيرة، يسألوه ايش لونها.. وهكذا وهي لعبة للتسلية والمعرفة.

(٢) لعبة البويسة، كل واحد عنده بيسة والبيسة هي العملة الصغيرة من الروبية الهندية التي كانت مستخدمة هنا في عمان يرموا البيسات قرب حفرة قاموا بحفرها والذي تسقط بيسته في الحفرة هو الفائز أو يفوز اقرب واحد سقطت قطعته النقدية من الحفرة.

هناك ألعاب كثيرة للصبية مثل لعبة الصولة وشوف الشايف والروع... الخ، (وعادة يلعب الأولاد إلى سن أكبر من سن البنات).

د/ أغاني الأعراس: يزخر العرس في نزوى قديما بالغناء فالرجال يضربون الطبل في امثال هذه المناسبات والنساء تغني عادة بدون طبل.. وتغني الفتيات للبنت التي سيزوجها أهلها غناء يسمى المغايض يعني يغيضوا البنت التي سيزوجوها قريبا ومن الأغاني تغنى الفتيات وهي تتأرجح في «المرجوحة» بهذه الأغنية

يا موزة يا الخوية   إيش جابلك علي

تقطيعة من البريسم أو زار الشواعي

تجاوب البنت:

حياني ما ابريكم يوم زوجتوني بعيد

لا بوش البلد شلني ولا وحدي أحيد

يردوا البنات:

بنقودلش بالصفرا من بركا آصور

بنجودلش بالصفرا لز الحلق بسيور

ترد البنت : إن جيت تزوروني بأعلامكم مازور

يعني البنت غاضبة وتعتب على أهلها الذين سيزوجونها من رجل بعيد ليس من الدار وتحلف أنها لن تزورهم حتى لو طلبوا منها ذلك.

نلاحظ الدلالات الاجتماعية/ تقطيعة من البريسم/ يعني من الحرير/ هذه دلالة على غنى الزوج المقبل أو وزار الشواعي أو لبس متواضع من ملابس البدو نلاحظ أهمية الجمل كوسيلة انتقال/ لابوش البلد شلني.

وبنجودلش بالصفرا أي بنقود خطام الناقة الصفرا وهي ناقة جيدة وقوية سواء ستتزوجين من بركاء أو من صور وهي المناطق البعيدة والمخالفة لبيئتها فهي تربت في بيئة ريفية زراعية وتلك مدن ساحلية أي تركيز على اغترابها.

والأعراس تزخر بكم كبير من الاغاني النسائية التي سنذكرها بالتفصيل في الصفحات التالية:

٣/ العادات والتقاليد والمعارف الشعبية:

العادات والتقاليد هي ما اعتاده الناس وما توارثه الخلف عن السلف وقلده فيها ومفردها عادة وتقليد «وهي في مجملها لا تعدو كونها حالات معنوية ذات علاقة روحية عميقة الجذور بنفسيات الناس وقيمهم الثقافية والاجتماعية وتنعكس بالتالي على أساليب سلوكهم» (انظر العنسي العادات العمانية ص).

والمعارف الشعبية هي أيضا من ضمن الموروث الذي تناقلته الأجيال وكونتها بالخبرة موظفين بذلك معطيات البيئة ومواردها الطبيعية الخام وتتمثل هذه العادات فيما يلي:

(١) الاحتفالات والمناسبات المختلفة:

ـ مثل: احتفالات الأعياد العامة: العيد الصغير، العيد الكبير، العيد الوطني، وترتبط هذه الأعياد بالفرحة لدى الصغار والكبار والاستعداد لها بأكلات خاصة كالشواء والعرسية والهريسة والحلوى.. ألخ والاستعداد بالملابس الجديدة وبالرقصات الشعبية كالرزحة وتوابعها ـ ثم هناك عادات مرتبطة بالعيد، كالهبطة! النزول إلى «عرضة نزوى» والعيود وألعاب الاطفال، ورماية الهدف للكبار كمظهر من مظاهر الاحتفال بالعيد في نزوى، ورماية الأهداف يعكس روح الفروسية وتقاليد النضال الوطني ويرمي الرجال الذين ملأوا بنادقهم بالذخيرة الحية الهدف الذي يكون عادة فوق شجرة أو صخرة يطلق عليها «الشبح» ويصوب المشتركون على الهدف من مسافة ٣٠٠ متر تقريبا.

ـ الاحتفالات الاجتماعية: مثل

(١) احتفالات ميلاد الأبناء:

من العادات العمانية المنتشرة في كل ولاياتها تقريبا الاحتفال بالطفل إذا أكمل الحول «عام واحد» وتسمى احتفال «الحول حول» حيث تحمل النساء المولود المحتفل به بعد أن يلبس ملابس خاصة بهذه المناسبة وهن يغنين له أغاني خاصة بالفرح، وينثرن على رأسه قطعاً مالية معدنية وبعض الحلويات وذرة مقلية يتسابق الاطفال الموجودون في الحفل يجمعهما كل حسب مقدرته ونصيبه منها وعادة تقام حفلة الاحتفال بالاطفال بعد وليمة الحول حول التي يذبح فيها أهل الطفل الذبيحة ويطبخ فيها اللحم مع الأرز كالقبولي ويحتفل بهذه المناسبة مرة واحدة في حياة المولود. ومن أغاني الحول حول في نزوى تغني النساء والاطفال

حول حول يا صغيرين	حول الدايم يا صغيرين
هذى بيسه وفراخ	وهذا سبال وحنا
تاتا حبا ومشا	خطوة خطوة يا صغيرين
حول حول يا صغيرين	حول حول يا صغيرين

ـ احتفالات الختان «للصبية»:

يقام احتفال كبير ويذبح ويولم بوليمة كبيرة وفي نزوى يقرأ للولد ختمة أي ختم القرآن

وأحيانا تقام الرزحة والعازي ويلبس الطفل المختص به في نزوى دشداشة «معلولة» بورس وخيله «أي مصبوغة لونها أصفر» والخيله عن أن يلمس الطفل شيئا يؤثر على الجرح ويفسده أو تمسه عين ويزين الصبي ويلبس زرد من الفضة، وما يسبحون الطفل لمدة اسبوع خوفا على الجرح من الماء.

- الاحتفال بالاعراس:

يستعد للعرس استعدادا كبيرا فتشتري النسوة الملابس الثمينة وتخيط وتشتري المجوهرات من فضة أو ذهب حسب المقدرة وتشتري العطورات والبخور والدهانات والحناء وتعمل تلك العطور قبل العرس استعداداً له إذ كانت معظمها تصنع محليا فتقوم النسوة بجلب المحلب والزعفران والذرور والورس والياس والصندل والحنا وبصيلة الورد ويقمن بدق هذه المواد العشبية العطرة لصناعة العطوروالحنا والبخور والكحل والدهانات وأثناء الدق والعمل يسود المرح المكان وأجواء البيت وتغني النسوة أغاني ممزوجة بالفرح والفكاهة والمداعبة لأهل العروس مثال قولهن: «**اندقلش دقاقش ونحدلش صداقش**»

أو قولهن : «**الدق دقيناه / والحق ما ريناه**» **(أي المهر)**

«**وا مطبقه الحلوق / وحزه ولحم ما نذوق**»

يعني تعبنا تعبنا وما حصلنا على شيء من الفلوس فلوس الحق «المهر» أو شيء من الأكل «حزة» قطعة لحم أو حتى عظم لذلك اطبقت حلوقهن أي نشفت من التعب وعدم الشرب والأكل وكثرة الغناء.

وكما قلت سابقا يمكن أن نضيف للفنون الشعبية والرقص والغناء في نزوى أغاني الأعراس التي تقام في احتفالات العرس وتدور أغاني الأعراس عادة حول عزة الفتاة ومناعة أهلها وعدم التفريط فيها والتفاخر بأصلها وجمالها ورغبة الناس فيها ويتغنى أهل الفتى في مدح أصوله وشجاعته وماله وكرمه وعمله.. الخ ونلاحظ في تلك الأغاني تمجيد الاخلاقيات التي ترغب فيها البيئة والتي تعتبر النموذج الأكمل للجمال في الشكل وفي الخصال، ويتم الغناء في نزوى عادة بدون طبل، وذكرت إحدى النساء المسنات في نزوى بأن العادات تختلف في نزوى ذاتها ففي سفالة نزوى يتم غناء الأعراس بدون طبل في علاية نزوى يستخدمون عادة الطبل. ومن أغاني الأعراس في نزوى..

ويانـــان ويـــانـــا للعروســـــة	ويانـــان ويـــانـــا للعروســـة
عروستـنـــا تقدرنـــــا عليهـــا	عروستـنـــا وقدرنـــا عليهـــا
ولا شمـــس ولا قمـــــر يراهـــا	ويراهـــا وليد عمهـــا واشتراهـــا
اشتراهـا بمية جوهره من غلاهـا	اشترالها خادمة حرة كما هـا

اشترالها سلسلة تسحب وراها

لاحظ الدلالات الاجتماعية لا أحد يرى العروسة يعنى مصونة كالدرة أخذها ولد عمها والعادة إن ابن العم هو أحق بها من أي شخص آخر وإذا وجد حجب عنها العرسان الآخرين.. لاحظ كلمة (بغاها ولد عمها واشتراها) - عملية الشراء والبيع - والمثل يضرب لأهل العروس «من زوج باع» - يعني البنت صارت ملك زوجها وأهله وعلى أهلها أن ينسوها.. ومن هنا جاء تفضيل ابن العم على الغريب.

لاحظ المدح بالكرم والغني اشترى لها خادمة حرة كماها.. لأن سعر الحرة أضعاف سعر الأمة، لاحظ وصف الفتاة بالأصل الرفيع في قولهم «حرة كماها»، «مية جوهرة من غلاها».

وعندما يحضر أهل العروس لأخذ العروسة يتعزز أهل العروس ولا يسمحون بخروج العروسة من عندهم يقول جماعة المعرس: نبغا بنيتنا

يرد عليهم أهل العروسة: ما معنا بنيه يوعرب، كلمة يوعرب = يا جماعة.

نـبـغـا بـنـيـتـنـا من سـعـال	مـا مـعـنـا بـنـيـة يـوعـرب
خـرجـوا مشـايـخـهـا بـالـرعـال	مـا مـعـنـا بـنـيـة يـوعـرب
بـاغـيـن بـنـيـتـنـا مـن تـنـوف	مـا مـعـنـا بـنـيـة يـوعـرب
خـرجـوا مشـايـخـهـا بـالألـوف	مـا مـعـنـا بـنـيـة يـوعـرب
نبغا بنيتنا من ذات الخيل	مـا مـعـنـا بـنـيـة يـوعـرب
خرجوا مشايخها أبوش وخيل	مـا مـعـنـا بـنـيـة يـوعـرب

ولما تزف العروس تتباطأ خجلا وعدم رغبة في ترك بيت أهلها وهو الذي يفترض فيه معزتها وعزها.. ويحيط بها النساء اللواتي يزفونها بالغناء

خويه.. ماعافية تجي	خويه.. ذبحوا لها جدي
خوية.. ما باغية تسير	خوية.. ذبحوا لها بعير

ولما تصل إلى بيت المعرس أهل المعرس يغنون لها كنوع من الاطمئنان والترغيب

«**المحبوبة المحبوبة/ محبوبة البيت حالش/ محبوبة الشور حالش/ محبوبة المال حالش/ محبوبة الزوج حالش**».

وإذا تزوجت البنت من خارج نزوى أي من غريب تغني لها النساء

واقـايـلـه قـولـي	عـلـوه يـا بـنـيـه
وقـولـي ومـن قـايـل	عـلـوه يـا بـنـيـه
ونـزوى بـعـتـيـهـا	عـلـوه يـا بـنـيـه
ومسقـط شريـتـيـهـا	عـلـوه يـا بـنـيـه
وابـعت بـمـيـتـيـن	عـلـوه يـا بـنـيـه
وشـريـتـي بـألـفـيـن	عـلـوه يـا بـنـيـه
ونـزفش ونصـيـح	عـلـوه يـا بـنـيـه
الغريب ما لو نصيح	عـلـوه يـا بـنـيـه

لاحظ واو الندبة في أول الاغنية انهن يندين حظ هذه الفتاة التي تزوجت بالغريب لأن الغريب إذا اخطأ بحقها لن يجد من ينصحه ويعيد لها حقوقها.

احتفالات المناسبات الدينية:

(١) احتفال أيام الحج إلى تاسع يسمى التهلولة في دخول «العاشور» العشر الأوائل من ذي الحجة ويردد فيها الاطفال «سبحان الله لا إله إلا الله» وعادة تسير مجموعة الاطفال من حارة إلى حارة وهم يرددون العبارة السابقة خلف المعلم الذي يقرأ من كتاب أدعية دينية وهم يسبحون خلفه.

(٢) **احتفالات رمضان**: أوله احتفال يوم الشك وهو قبل دخول رمضان بيوم أي ٢٩ من شعبان يذبحون للتأهل لدخول رمضان يجفف اللحم أو يباع طازجا، سمي يوم الشك لأن يوم ٢٩ مشكوك فيه هل يصومون أم لا.

احتفالات نصف رمضان في الداخلية يقوم الاطفال بقرع قطعتين من حجر الواحدة في الأخرى ويطلق عليها اسم طوق طوق وهو ما يوازي القرانقيشوه في مسقط والباطنة لكن في نزوى أفادت بعض النسوة أن هذا الاحتفال لا يوجد في نزوى وإنما هناك احتفال مشابه يرتبط بالأدعية والأهازيج الدينية أيضا يتجمع له الصغار في مسيرة من حارة إلى أخرى أما الطوق طوق فموجود في بهلا القريبة من نزوى.

- وفي العشر الأخيرة من رمضان يودع الشهر فيخرج الاطفال في الحواري يغنون ويرددون **ودعناك ودعناك يو سيد الشهور، يو لوداع، الوداع يو سيد الشهور، جيت من قرار بعيد، وبتسير عنا بعيد، وابخت من صامك، وعذاب من خانك يو سيد الشهور.**

(٣) **التويمينة أو التيمينة:** هي الاحتفال بانتهاء طفل من حفظ القرآن الكريم كاملا، أي ختم المصحف، ينتظم اطفال مدرسة القرآن الكريم صبية وبنات في موكب يتصدره المعلم «المطوع» في مسيرة يقرأ فيها قصيدة ذات طابع ديني والاطفال يردون عليه في نهاية كل بيت وفي صوت واحد قوي بكلمة آمين.. نموذج لما يقال:

ابدأ بسم الله والرحمن	**آمين**
ويا رحيم دايم الإحسان	**آمين**
الحمد لله القديم الأولي	**آمين**
الآخر الباقي نخو لي	**آمين**
ثم الصلاة والسلام سرمدا	**آمين**
على النبي خير من قد وحدا	**آمين**

والهدف من إقامة التويمينة هو الإشعار أو التعريف بأن هناك صبيا أو صبية قد ختم القرآن ويتضح أن لعادة التويمينه هدفا نفسيا فسيولوجيا عظيم الفائدة إذ يعطي حافزا لغيره من الصغار لمواصلة حفظ القرآن وختمه، ويعطي للفرد الحافظ مكانة ووضعاً اجتماعياً من يشعره بالثقة والاعتزاز بنفسه وقدراته.

(٣) **احتفال بالمولد النبوي:** قراءة القرآن والأدعية ويفوح البخور ثم توضع سفرة متنوعة للأكل وهذا الاحتفال نسائي ويوجد احتفال رجالي شبيه به تقريبا.

(٢)/ **الأكلات الشعبية المشهورة:** الأكلات الشعبية اليومية المعتادة الرز واللحم أو

الدجاج والتمر واللبن وبعض الحلويات والخبز الذي تصنعه المرأة بنفسها. أما أكلات الاحتفالات والمناسبات والأعياد فهي الحلوى النزوانية الشهيرة - والشواء والعرسيه والهريسة، وفي رمضان تكثر الحلويات مثل لقمة القاضي والمهلبية وخبز رخال، والشوربة والثريد باللحم وعادة يكون هذا الطبق الرئيسي بدلا من الرز والهريس.

(٣)/ **الأزياء الشعبية**: يرتدي الرجل في نزوى نفس الملابس التي يرتديها في غيرها من المدن العمانية وكانت الأوزرة قديما تصنع من قبل الحرفيين العمانيين بمهارة واتقان وتصنع النساء الكمة وتخيط الدشداشة ويلبس الرجال فوق الثياب الخنجر العماني التقليدي المصنوع من الفضة وفي الأقدام الصنادل الجلدية المصنوعة محليا ويحمل الرجال معهم البنادق وأحزاقها المليئة بالذخيرة فوق الخنجر في وسطهم أو يحمل بعضهم السيوف أو العصى بمختلف اشكالها.

ملابس النساء في نزوى، ذات ألوان زاهية ومتنوعة وحادة كالأصفر والأخضر والبرتقالي والأحمر وعادة ما يكون الثوب وسرواله ولحافه من ألوان مختلفة عن بعضها البعض، وتتزين النساء بكثير من الحلي الفضية والمطلي بعضها بشرائح خفيفة من الذهب.

(٤)/ **المعارف الشعبية**: وتتمثل فيما يعرف بالطب أو التطبيب الشعبي، لقد كان للعرب منذ القدم طرق وأساليب ومعالجات للأمراض التي كانت تصيب الانسان في مختلف الأزمنة، والحكمة لديهم تقول «لكل داء دواء».

ولهذه المعارف الطبية عدة أنواع من العلاجات:

أ/ العلاج بالاعشاب الطبيعية:

كان العلاج والتطبيب يعتمد على بعض الشخصيات من ذوي الخبرة المتوارثة، وكان العلاج يعتمد على الاعشاب الطبيعية الطبية المتواجدة في البيئة (انظر في آخر البحث حرفة الطب الشعبي).

ب/ الكي بالنار أو ما يعرف بالوسم: تقول العرب «آخر الدواء الكي» ويثق بعض الناس أن الكي يفيد في علاج الأمراض وأنه توجد أمراض محددة لا يمكن علاجها إلا بالكي، والكي هو عملية إحراق الجلد باستخدام أداة حديدية وذلك بعد إحمائها في النار، وفي القديم يوجد أناس متخصصون في هذا العمل لا يمارسون علاجا غيره.

ج/ التجبير: هو معالجة الكسور بعد تسوية العظم مع المفصل أو مع العظم الذي كسر منه ويشد الجزء المكسور عادة على خشبة مسطحة وتوضع عليه أدوية معينة من أعشاب طبيعية على الجرح وتشد بعد ذلك بأربطة تثبت الجزء المكسور على الخشبة جيدا وعادة ما يتم العلاج هذا بصورة أسرع من علاج الجبس الطبي خاصة إذا كان المعالج متمكنا وعالما في عمله وعلاجه والاحتراز فقط يكون من حيث النظافة وتتوارث بعض الأسر هذه المهنة ويشتهروا بها.

د/ الحجامة : هي معالجة المريض الذي يعاني من ارتفاع ضغط الدم بامتصاص الدم بالمحجم، والمحجم هي القارورة التي يجمع فيها دم الحجامة وقد اختفت هذه المهنة حاليا نظرا لتوفر المستشفيات التي تقوم بذلك دون إصابة أو تلوث عن طريق التبرع بالدم في المستشفى.

هـ/ الختان: هو عملية تطهير الصبي وقد ذكرناها سابقا ضمن العادات العمانية بالمبحث (انظر الصفحات السابقة).

و/ العلاج الروحاني:

- التنجيم وكتابة الحروز:

يقوم بعض الاشخاص بعلاج المصابين بعاهات نفسية بكتابة الحروز (والحرز عبارة عن طلسم يكتب ويغلف في جلد، يلبسه المريض في رقبته تحت الملابس، ويدعي البعض مقدرتهم لعلاج الناس المصابين بالقرآن وكتابة الحروز، ويزعم بعضهم أن هذه الحروز تفك السحر وتعمل على التسخير لقضاء الحاجة وتمنع العين وتمنع الخوف ومس الشياطين وتجلب الضائع أو المفارق.. الخ وأغلب من يمارس هذه المهنة يتقاضون نقودا كثيرة ويدخل أغلبهم في مجال المشعوذين والدجالين.

ثانياً/ الثقافة المادية:

من العناصر الهامة المكونة للتراث الشعبي جزء كبير ومهم يتعلق بالثقافة المادية، وهي جزئية تعتمد على الصناعات والحرف الشعبية ويمكن القول إن ثقافة الانسان المادية كما ذكرها الباحث ناصر حسين العبودي في مجلة المأثورات الشعبية، هي مجمل ما أدخلت عليه يد الانسان في الطبيعة من تغيير أو تحوير سواء كان متعمدا أو غير متعمد

مظهرا نمطا صناعيا خاصا متخذا مما يجده في الطبيعة من مواد أشكالا تعينه في أغراضه المعيشية وهو ما يسمى بالعلم الحديث التقنية ممزوجا بالفن.

(انظر مجلة المأثورات الشعبية/ العدد٤٨/ اكتوبر ٩٧ ص٤٢)

إن هذا التراث المادي يقسم إلى قسمين رئيسيين هما:

١ ـ الحرف أو المهن. (٢) الصناعات التقليدية التي نشأت من خلال تلك الحرف والمهن. توجد في نزوى الكثير من الحرف والصناعات التقليدية القائمة عليها، وأهم تلك الحرف ما يلي: أ. حرفة الزراعة. ب ـ حرفة الرعي. ج ـ حرفة الصناعة. د ـ حرفة العمارة والبناء. هـ ـ حرفة التجارة. و ـ حرفة التطبيب الشعبي. ز ـ حرفة النسيج والتطرين. ح ـ حرفة التعليم... الخ.

هذه أهم الحرف التي تواجدت قديما في نزوى وقامت على تلك المهن والحرف صناعات تقليدية عديدة.. وفيما يلي أهم الصناعات التي قامت على الحرف في نزوى:

١/ حرفة الزراعة والصناعات التقليدية القائمة عليها:

تعد الزراعة من أهم المهن والحرف في نزوى نظرا لكونها مدينة زراعية بالدرجة الأولى وتقوم على حرفة الزراعة عدة صناعات تقليدية فمن زراعة النخيل تقوم الصناعات المتعددة التي تلبي احتياجات البيئة ولأن النخلة جمة الفوائد فهي من أسفلها إلى أعلاها فوائد عديدة للانسان ومن هنا جاء الحديث (أكرموا عمتكم النخلة) فالنخلة كغذاء قامت عليها حرفة تجفيف التمور، وتبسيل التمور والدبس ثم تم تسخير عناصر النخلة الأخرى إلى مواد تستخدم في الحياة اليومية، ويمكن تصنيفها إلى ما يلي:

أ ـ المنتجات الخوصية (السعفية) وتقوم عليها صناعة: الخصف أو الظرف أو الجراب الذي يستخدم في تعبئة التمور وحفظها/ القفيز/ أو ما يطلق عليه في نزوى القفير وهو ما يستخدم في جمع المحاصيل الزراعية واغراض البناء وحمل المواد.

المبدع/ وهو بنفس اسلوب القفيز لكنه اصغر.

المحصين/ لحمل الزاد للمسافرين ولحفظ بعض الأدوات الشخصية.

السمعة/ نسيج خوصي تستخدم كمفرش للجلوس عليه.

العزاف/ من نفس نسيج السمة ويستخدم كسفرة للأكل.

الشت/ لغطاء الطعام، المخرافة/ لجمع المحاصيل الزراعية.

ب ـ المنتجات الجريدية: (الزور)

القفص ـ /الميشان/ لنقل الفواكة اللينة.

الدعن/ وهو اشهر استخدام للزور يستخدم في تسقيف المنازل أو لصناعة العرشان. أو كمفرش لتجفيف التمور عليه.

ج ـ المنتجات السعفية: تقوم عليه صناعة السف والمنسف الذي يستخدم لجمع الرطب أو لجمع الحبوب.

د ـ صناعة الليف والحبال: من ليف النخلة.

هـ ـ صناعة مشتقات جذوع النخيل: أستخدم جذع النخلة لأغراض متعددة أهمها الأبواب ـ النوافذ

المطعم/ يقدم فيه الطعام للحيوان

المدق/ لدق الحبوب عليه

الجذوع/ لتسقيف المنازل الطينية

كذلك تقوم على الزراعة كحرفة صناعة العطور وتقطير ماء الورد والزهر. وصناعة الأدوية وصناعة المأكولات الغذائية المختلفة من الطحين والنشا والخضروات والفواكه.

و ـ كذلك تجفيف الليمون والخل والعصائر. كذلك تقوم على الزراعة صناعة السكر، والنيلة.

ز ـ صناعة التنييل أو الصبغ بالنيلة وهى نبات يزرع يسمى العظلم ثم يلون به ثوب النساء فيتحول إلى أزرق غامق أو أخضر غامق أو اسود.

كذلك تقوم على الزراعة صناعة مساحيق الزينة كالمحلب والصندل والورس وبصيلة وصناعة البخور ـ والحناء.

هذه جملة صناعات تقليدية قامت على حرفة واحدة هى الزراعة.

٢/ حرفة الرعي: لا شك بأنها من الحرف المنتشرة بقرب البيئة الزراعية وتزدهر ضمنها وفي نزوى تتغنى الراعية/

«والرعي رعيتي

فوق قمم الجبل

مو ما العجب ريتي»

ويبدو أن الرعي اشتهرت به الأنثى أكثر لذا فإن الموروث سجل لنا أغاني بها لمحات انثوية كهذه الاغنية:

«نرعى في مرعاكم

مانشاور القلب من كان يبغاكم

أرعي جدي العيد

شرقت وغربت مالقيت مثل سعيد

وقولها:

يا سعيد يا سعيد

تراك اليوم بالني

وانشل خطوط الرضا

إن كنت باغني

هل هناك صناعات تقليدية قامت على حرفة الرعي؟ بالطبع هناك منتجات الصناعات الغذائية/ كصناعة الاجبان والألبان وتجفيف اللحوم/ صناعة الجلود أو الدباغة/ حيث يصنع:

الكير/ وهو منفاخ للهواء في صناعة الحدادة

النعال/ وهو الاستخدام الشائع للجلود في عمان

الهبان/ كيس من الجلد لحمل الزاد تحت الإبط اثناء الترحال

الهرقة/ لخض الحليب

القربة/ لحمل الماء والعسل

السعن والرشاء/ وهو دلو الماء

هذه الصناعات التي قامت على حرفة الرعي في نزوى أما في المناطق والبيئات

البدوية فقد قامت صناعات الغزل والنسيج لصوف الحيوان حيث الصناعات الصوفية المزدهرة للبدوية.

٣/ حرفة الصناعة: وتتداخل فيها عدة صناعات تقليدية

كصناعة الحلوى

صناعة الفخار

صناعة المصوغات الفضية التى برع العمانيون بها وطوعوها لعمل العديد من الحلي والزينة وأدوات ووسائل الدفاع عن النفس كالخنجر والسيوف والمحازم لحمل طلقات البنادق والحزاق، والأواني بأنواعها، كالمكحلة والمنقاش والدلال للقهوة والطاسة (وعاء) لفناجين القهوة والمرش (للعطور) والمكبة لحفظ البخور والأشياء الثمينة.

وأهم **المصنوعات الفضية حلى النساء والأطفال** وتتمثل في الختمة والحرز والسمط والمخنق والمنثورة والمريَّة والنطلة والعضد والبناجري والعقام والحلق والشوكة والمشبحة وللطفل والطفلة الدينار على الرأس والحجول **وعظم الغلب وعرق الصليب المعروفان** بفوائدهما الطبية للاطفال.. الخ **ومن الصناعات ايضا صناعة الصفر والتبيض ـ لعمل الأواني النحاسية المختلفة.**

٤/ حرفة الحدادة: وقامت عليها عدة صناعات تلبي حاجيات الناس المختلفة واحتياجاتهم مثل المسامير والآلات المستخدمة في المهن المختلفة كالمناشير والسكاكين والقواطع والأقفال والمفاتيح وأدوات الزراعة والحرث وأدوات الطبخ وأدوات البناء.

٥/ حرفة البناء: وقامت عليها صناعة الأبواب والشبابيك والأثاث وصناعة الجص والنورة **وقد اشتهر في نزوى وما جاورها من المناطق أسر عرفت بنبوغها في فن النقش** حيث برعوا في نقش المحاريب في المساجد وقد ساهمت نزوى ببلورة هذا الفن في خمسة مساجد بكل منها محراب عليه كتابة وفي سعال من هذه المدينة المسجد الجامع أهم هذه المساجد وأقدمها على الإطلاق، يشمخ ببرجه الجميل ومحرابه الرائع الذي يرجع إلى سنة ٦٥٠/١٢٥٢م

(انظر الكتابات في المساجد العمانية القديمة/ د. ايروس بلد يسيرا ص١٥)

وفي منح/ وفي الجزء القديم من هذه المدينة، تطالعنا في مساجدها أسماء أعلام

مدرسة للنقش قامت فيها في القرن العاشر للهجرة كأسماء عبد الله بن قاسم بن محمد الهميمي المنحي صاحب محراب مسجد الشرجة في نزوى ومشمل المنحي عامل عدة محاريب أيضا هو وابنه طالب وحفيده علي بن طالب بن مشمل.

٦/ **حرفة الطب الشعبي**: وقامت عليها عدة صناعات تقليدية كتقطير نبات:

الجعداء/ وهو نبات ينمو على سفح الجبل الاخضر يستخدم ماؤه كدواء شعبي لعلاج أمراض الصداع والمغص ومخفض للحرارة ومرض السكر.

كما قامت عليه تقطير أزهار الكيذا التى تغلى أوراقها في الماء وشربها كدواء شعبي لعلاج أمراض المعدة.

وتقطير أوراق الياس التي تدخل ثمارها ضمن علاج الطب الشعبي كدواء للمغص.

كذلك استخلاص زيت ثمار القفص الذي يتم استخدامه لعلاج آلام المفاصل وتقلص العضلات عن طريق دهان موضع الألم.

استخلاص زيت حب العرش (الخروع) ويستخدم في علاج امساك البطن بالاضافة إلى استخدامه كمانع للحمل.

صناعة خل البكر من عصر ثمار العنب ويستخدم كمقبلات على المائدة. أو لعلاج السمنة إذا ما خلط بالماء وشرب بمقدار كوب يوميا.

صناعة ماء الحذف وهو دواء شعبي لعلاج عدد من الأمراض دهنا أو عن طريق التبخر بالأوراق والثمار.

(انظر دليل الحرف والصناعات التقليدية العمانية ص٨٨:٩٢)

٧ - مهنة وحرفة التعليم : وهى من المهن التي لابد من وجودها في كل مجتمع تلبية لحاجة الانسان القراءة والكتابة وفي نزوى قديما قامت هذه المدارس «الكتاتيب» بتعليم المهارات البسيطة في القراءة وحفظ القرآن والحساب وكان التدريس يتم في البيوت أو تحت ظلال الاشجار وقد اشتهرت بعض الاسماء بتعليم الصبية والبنات في نزوى مثل معلمه/ زيانة بنت سعيد الغطريفية/ ومعلمه عزة بنت سليمان السليماني.

وعزة بنت سيف بن اسماعيل.

وطليبة بنت محمد الخروصية.

وجوخة بنت زاهر الخروصية.

ومن الرجال:

معلم زاهر بن حمد النبهاني.

وعامر بن خميس الراشدي.

وخلفان العنقودي.

وعيد ابن شحلوب الراشدي.

وسليمان بن سالم الكندي

- وغيرهم.

هذه أهم الحرف والصناعات التقليدية التى قامت عليها في نزوى ذكرتها باختصار شديد مما تتطلبه ضرورة هذا البحث والوقت المخصص له.

ثالثا: النتائج والملاحظات والتوصيات:

١ - **أعترف أولا أنني خدعت بهذا العنوان** إذ كنت كغيري أعتقد بفقر نزوى الشديد في الفلكور الشعبي والفنون ولذا ستتركز دراستي على الحرف والصناعات التقليدية لكن البحث الميداني أثبت أن نزوى تزخر كغيرها من المدن العمانية بكثير من التميز في فلكلورها الشعبي الذي لم ينتبه له أحد وللاسف حتى أهلها.. وهذا ما جعل البحث طويلا نوعا ما ولكنه مختصرا إلى أبعد الحدود فقد اكتفيت أحياناً بذكر عناوين كثيرة دون شرح للمضمون حرصا على الاختصار.

٢ - **من الملاحظ أن هنالك خلطا واضحا** في أذهان الناس والدارسين ما بين الفنون والفلكور الشعبي، فنزوى تفتقر إلى نوع واحد من الفلكور الشعبي وهو الغناء والرقص وليس إلى جميع فنون الفلكور الشعبي.

٣- **من الملاحظ إن الموقع الجغرافي** لمدينة نزوى انعكس بشكل كبير على مختلف أوجه النشاط بها، فهى مدينة في داخل عمان محمية بوعورة الطريق قديما والجبال الشاهقة حولها، بعيدة عن السواحل العمانية جدا كل ذلك جعلها ملجأ آمنا لتشكل الأهمية الاستراتيجية لاحتضان المذهب الأباضي وتكوين الإمامة فهي من المدن التى يسهل حمايتها والدفاع عنها ونظرا لتكريس التواجد الديني بها «مقر الإمامة وعلماء الدين

المرتبطين بالدعوة والمدافعين عنها «انعكس ذلك على كثير من أوجه مناحي الحياة المختلفة من ذلك.

أ ـ **الافتقار الشديد في الفنون خاصة ذات طابع الرقص والغناء** نظرا لتعارض ذلك مع روح التدين الشديدة، ولعل هذا ما جعل بعض الدارسين يظن بافتقار نزوى لكل أنواع الفلكور الشعبي «المعنوي» الذي صنفناه سابقا.

ب ـ **انعدام الفنون الوافدة الافريقية والاسيوية (تأثير الموقع الجغرافي/ والتدين)**

ج ـ **ارتباط الفنون البارزة في نزوى بالدين** أو بما يعزز القيم ويمجد البطولة والدفاع كالرزحة والعازي والقصافي. وأغاني المناسبات المختلفة.

د ـ **كثرة الاحتفالات المرتبطة بالجانب الديني** أول رمضان، وسطه، آخره، كما أوضح البحث.

هـ ـ **ارتباط الحرف والصناعات** بكل ما يتقارب مع الدين والابتعاد عن كل ما ينافي ذلك ومن هنا كان التعليل واضحا لما ذكره المستشرق الإيطالي حينما قال: «فبساطة المسجد جملة في تناقض واضح مع زخرف المحراب».

أي أن المساجد جملة متقشفة المظهر خالية من كل زخرف بحسب ما أوحى به المذهب بينما يبالغ الفنان النقاش في إبداعه ودقة تصميمه في نقش المحراب، ونلاحظ ارتباط هذا الفن الجميل من حيث النقوش الرائعة التيّ تزخر بها المحاريب بالناحية الدينية وعدم تجاوز ذلك بأي شكل من الاشكال فأنواع الزخرفة كلها عبارة عن:

١) **التلاعب بالخطوط العربية الجميلة** من نسخ إلى كوفي إلى مسمارى إلى رقعة والكتابة عبارة عن آيات قرآنية في مجملها.

٢) **الأشكال الهندسية** من مربع إلى دائرة إلى مثلث إلى مستطيل.. الخ.

٣) **توظيف الأشكال الزهرية** وربطها بالخطوط خاصة الخط الكوفي مما لا يوحي للآخرين بأن هذا شكل نبات حي وإنما هو تكوين زخرفي على شكل زهرة أو تشكيل ورقي لورقة شجرة.

٤) **رسوم الأرابيسك المحببة في شكل جميل** منمنم مما جعل المستشرق د. ايروس بلديسيرا يعتقد وهو ينظر إلى النحت والزخرفة البديعة في أحد المحاريب بأنه أمام تطريز

جداته في مدينة البندقية يقول واصفا نقش الهميمي أحد الصناع المهرة المتوارثين لهذه المهنة أسريا في الداخلية يقول «اطلق الهميمي فيها لخياله العنان فأبدع، وأوهمني للحظة أنني أمام تطريز سيدات مدينتي المسنات في البندقية».

(انظر الكتابات في المساجد العمانية القديمة/ د. ايروس ص٩٦)

و ـ من الملاحظ كذلك أن الناحية الدينية قد حدت من بعض الممارسات المغلوطة مثل العلاج بالزار أو المكوارة أو التكهن بالغيب والشعوذة.. الخ.

٤ ـ من الملاحظ أيضا إزدهار العلم الديني والآداب والعلوم في المنطقة ولذلك فإننا لا نبالغ إذا ما قلنا إن ثلاثة أرباع الموروث من علوم المكتبة العمانية مصدره نزوى وحدها والربع على غيرها من المدن العمانية.

التوصيــات

١) **يلاحظ انقراض بعض العادات الحميدة في الاحتفالات عامة فلعب البنات والأولاد** الشعبي شبه منقرض، أيضا إحياء الاحتفالات الدينية اصبح شبه نادر فقد اختفت التومنية من الحارة العمانية جملة وقد كانت هذه الاحتفالات والألعاب عادات حميدة وجميلة تجعل للمدينة مذاقا متميزا وخاصا بها.

٢) **كذلك نلاحظ انقراض الكثير من المهن وعزوف الأبناء عن مواصلة مسيرة الآباء** نظرا لصعوبة تلك المهن وقلة المردود أو نظرا لانصراف الناس عنها مثل النسيج والتطريز الذي استبدل بالمكينات والمصانع بدلا من النول اليدوي ولا شك أن التطوير مطلوب وسنة من سنن الحياة وكل مهنة قابلة لإدخال الجديد عليها للاستفادة من مواكبة التغيير لكن هجر المهنة نهائيا هو الذي يضيع ملامح الشعوب وحضارتها وثقافتهاوتميزها الحضاري.

٣) **لابد من تطوير عمل المؤسسات الحكومية والأهلية المرتبطة بجمع التراث** والمحافظة عليه وتعاون تلك المؤسسات مع بعضها البعض لإحياء ذلك التراث وحفظه.

٤) **لابد من تطوير عمل المديرية العامة لتنمية المجتمعات المحلية** ووضع الخطط والبرامج الكفيلة بتطوير الصناعات المحلية المختلفة وتوفير شبكة لتسويقها وايصالها من الصانع العامل إلى المستهلك ودعم ذلك لتباع بأسعار مناسبة تعود بالربح على الصانع خاصة وأن اقتصاد كثير من الدول كالمغرب ومصر والصين وتايلندا.. مثلا يقوم على بيع الصناعات المحلية المتميزة للسائح كتحف وهدايا تذكارية وملابس مما يدر ربحا كبيرا على الصانع وعلى الاقتصاد الوطني

٥) **لابد من تشجيع احياء حرفة النقش المتميزة التي تميزت بها محاريب المساجد في** المنطقة الداخلية وترميم الآيل إلى السقوط والمحافظة على الشكل العام للعمران حتى حينما تتدخل يد الترميم ـ وعدم نسف الموروث وإقامة الجديد مكانه.

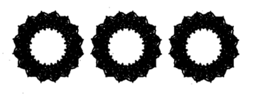
٦) الاحتفاظ بالنظام الهندسي لبناء البيت العماني في نزوى فإن المعمار الهندسي القديم قد بني مراعيا للظروف الجغرافية من حرارة الشمس والمطر والرياح والتهوية والبرودة والحرارة. وفي تصميم هذا المبنى القديم الكثير من توفير الطاقة الكهربية، بينما

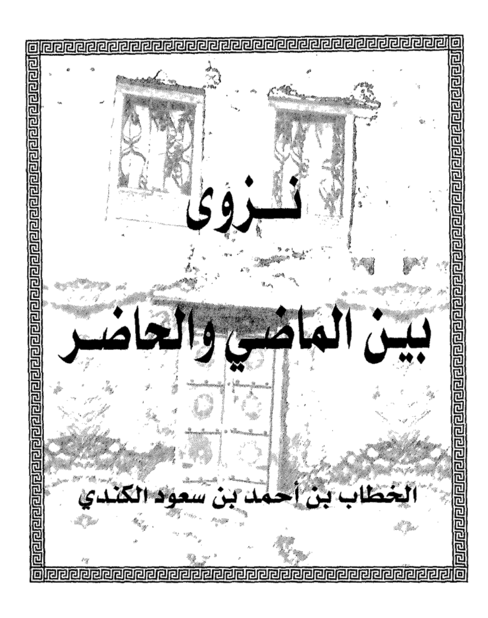
يجرى التصميم الحديث للمساكن دون مراعاة للظروف البيئية والاجتماعية وحتى الصحية والمالية أحيانا.

٧) الحرص على جمع التراث من حفاظه ورواته الطاعنين في السن قبل فقده بفقدهم وتقوم وزارة التراث ووزارة الشئون ومركز عمان للفنون التقليدية بدور جيد وفعال يرجى أن يكثف.. خاصة فنون نزوى التى لم يعرها أحد من الباحثين بالتركيز، وذلك ظنا منهم بخلوها التام من مختلف الفنون وهذا خطأ جسيم فهناك الكثير من الألعاب الشعبية المرتبطة بالغناء والفنون والكثير من العمل والحرف المرتبطة كذلك بالفنون والكثير من الموروثات الشعبية كأغاني الاطفال وهدهدتهم وأغاني الاحتفالات المختلفة، وهذه الندوة في دراسة فنون نزوى التقليدية هى التي جعلت مهمتي في البحث صعبة للغاية مما اضطرني إلى النزول للدراسة الميدانية وعمل لقاءات ومقابلات واتصالات مع بعض الأشخاص نساء ورجال وبعض هذه اللقاءات تمت بشكل ارتجالي دون تمحيص للعينة المختارة التى ستؤخذ منها المعلومات.

ختاما آمل أن تحظى هذه التوصيات بالاهتمام وهذه الدراسة بالمتابعة من قبل أخوتي الباحثين فهي بمثابة الجمع الشامل العام دون التفاصيل الهامة التى تغني كل بحث وتستوفيه، واننى أرجو أن يحظى كل محور من محاور هذه الدراسة على حدة بالدراسة المتأنية فنزوى مدينة كما أوضح البحث غنية بفلكلور جميل كغيرها من ولايات السلطنة لكن الصبغة الثقافية والدينية غطت بشكل مكثف على هذا التراث الزاخر مما جعل ظن الباحثين في الفلكلور الشعبي يتحول إلى حقيقة مسلم بها والحكم يخلو أو افتقار نزوى من الفلكلور الشعبي - وهذا ما حاولت أن ألغيه من الأذهان في هذا البحث المتواضع القصير.

والله من وراء القصد




نـزوى
بين الماضي والحاضر
الخطاب بن أحمد بن سعود الكندي

مقدمة تعريفية :

هذه المدينة العربية الأصيلة امتزج فيها روح الإسلام الحنيف وقيمه المثلى وعقيدته الصافية وأخلاقه السامية بفصاحة العرب وعزة نفوسهم وعلو نسبهم وجميل أخلاقهم، لتنصهر في بوتقة البيئة العمانية، فأخرجت العظماء من الرجال قادوا بلادهم وشيدوا جزءاً من حضارة الإنسان المستمرة في هذه البقعة الطيبة.

إن نزوى لدى أهل عُمان رمز مجدهم وعنوان تاريخهم ومحل فخرهم، فقيها ولد إمامهم أبو الشعثاء ونشأ رجال العلم وكُتُب الأدب ودُوّن التاريخ وبها مدافن أهل الفضل والورع وأهل البطولات والفتوحات كالإمام الناصر الراشد ناصر بن مرشد اليعربي - رحمه الله - والمجاهد الفاتح الإمام سلطان بن سيف باني الشهباء وفاتح الهند وسواحل أفريقيا ومحرر المحيط الهندي من الغزاة البرتغاليين وغيرهم من القادة.

تقع مدينة نزوى في قلب عمان في وسط المنطقة التي تعرف سابقا بـ «الجوف» وتسمى الآن «بالمنطقة الداخلية».. ولا شك أن الجوف كلمة تدل على داخل الشيء وعمقه ولم يطلق عرب عمان هذه التسمية على هذه المنطقة إلا لأنها تقع حقاً في جوف عمان، فهي إذن ملتقى الطرق لمعظم المناطق العمانية قديماً وحديثا.

وموقع نزوى على سفح الجبل الأخضر أكسبها ميزة أخرى، فمن هذا الجبل تنحدر الأودية التي تزود البلاد العمانية بالمياه العذبة الصافية فتجود الزراعة وينشط الرعي حول سفوحه وهما مهنتا الإنسان منذ القدم نشأت منهما مهنتا التجارة والصناعة.

ومناخ الجبل الأخضر أقرب إلى مناخ حوض البحر المتوسط وهي ميزة أعطت العاصمة العمانية التقليدية حقها في رغد العيش والتمتع بالطيبات من الرزق، حيث تزرع الفواكه المختلفة كالعنب والرمان والخوخ والمشمش والجوز واللوز والتين التي لا توجد في بقية البلاد العمانية.

تغذي نزوى أودية تنحدر من سفوح الجبل الأخضر بالمياه وبطريقة عمان الحضارية منذ القدم تستغل هذه المياه عن طريق شق الأفلاج الفيلية منها والعدية تسقى بها حقول النخيل والليمون والقمح والبرسيم وقصب السكر والجوز وزراعة الحمضيات بمختلف أنواعها والبقوليات والقطن وجميع الخضروات والفواكه مثل المانجو والعنب والموز

والتين والفيفاي «البابای» وغيرها من المحاصيل.

نشأت قديماً في نزوى صناعات محلية اعتمدت على خامات البيئة لعلها صدّرت البعض منها كنسيج الملابس من القطن المحلي وتلوينه بالنيلية، وهو صبغ يصنع نبات يزرع محليا ودباغة الجلود وتكرير السكر من قصب السكر وصناعة الحلوى وصناعة الفضيات والنحاس والأسلحة القديمة وغيرها.

ولهذا إزدهرت التجارة فغدت نزوى ملتقى القوافل ومقصد التجار نظراً لتوفر السلع المحلية ـ الزراعية والمصنعة.

وجغرافية البلاد العمانية التي تقع على سفوح جبال الحجر متشابهة. فتلف نزوى الجبال من ثلاث جهات: الجبل الاخضر من الشمال وجبل الحوراء من الشرق وجبال «الحلاة» البركانية من الغرب. أما الجنوب فتنفتح على الفيافي العمانية المحاذية لصحراء الربع الخالي. تشق الأودية المدينة فتقسمها إلى ثلاث مناطق جغرافية واضحة.

ومن أهم الأودية الوادي الأبيض الذي يشق البلاد من الشمال إلى الجنوب منحدراً من قمم الجبل الأخضر فتغذيه خمسة أودية فرعية هى «الوادي الهجري» الذي أقيم عليه سد تنوف و«هو أكبرها ووادي المصلة والسويحرية وكمة وسميط.

أما وادي كلبوه الشهير بإغراقه الإمام الوارث بن كعب الخروصي ـ رحمه الله ـ أحد كبار قادة عمان فيشق المدينة من الغرب إلى الشرق ليلتقي مع الوادي الأبيض في وسط المدينة مسبباً أضراراً عند الفيضانات.

أما وادي الخضراء فهو صنو كلبوه إلا أنه يقع جنوب المدينة.

والأفلاج في نزوى كثيرة وغزيرة المياه أهمها فلج دارس أكبر أفلاج عمان وسمي دارساً لأنه درس الأفلاج التي سبقته. ثم الغنتق وضوت والسعالي والدنين يسمى قديماً «ذو أذنين» والخوبي وأبو ذؤابه والعين.

وقديماً قسمت نزوى لثلاث مناطق جغرافية هي: العقر وتقع جنوب المدينة وبها القلعة والحصن والسوق وهي بمثابة المركز لنزوى وتغذي بساتينها أفلاج الغنتق وضوت وأبو ذؤابه والعين.

ومن أحيائها خراسين وغليفقى وحارة الوادي الغربية وخوارزم وكرادسبين ومن

أحيائها الجديدة العين والشعبية والخضراء والمعاصر والصقرية وغاف الشيخ. وسمد وتقع شمال المدينة وتمتد من السوق حتى سفح الجبل الأخضر ويسقي بساتينها فلج دارس.

ومن أحيائها القديمة حارة الوادي الشرقية والسويق وردة الكنود والمدة والحاجر والمجميل وجحفان والحارة الحديثة وسيباء ومن أحيائها الجديدة دارس والمويدين والغافتين ومرفع دارس وأحياء غبرة نزوى ولجوت وصميت.

ويوجد بسمد نزوى حصن مهدم هو بيت سليط وكذلك جامع سمد. أما منطقة سعال فتقع شرق المدينة وتغذيها أفلاج الدنين والخوبي والسعالي ويتوسطها الجامع «جامع سعال» وهو الوحيد الذي بقى من الجوامع الكبيرة لم تعبث به يد الانسان بضرر وتقوم وزارة التراث القومي والثقافة حاليا بترميمه.

ومن أحياء سعال سوق سعال وحارة حدان والشمامير وفلوج الصيفة والمنجب والجناه وحارة العبادلة أو الشرجة المندثرة والمهجورة منذ القدم.

وتتبع نزوى عدة قرى أهمها: فرق التي تقع على مدخل المدينة بمثابة الحارس الأمين لكنز عمان ومجدها التليد، فقرية فرق مسقط إمام أهل الإستقامة جابر بن زيد الأزدي - رحمه الله - قد اعتمرت حديثاً حيث توسعت كثيرا وبنيت بها المكاتب الحكومية والمحلات التجارية الكبيرة.

وبركة الموز التي تعتبر الحارس من جهة الشرق والحارس للجبل الأخضر وهي أكبر قرى نزوى ويوجد بها حصن بيت الرديدة.

ثم طيمساء التي بنيت بها حديثاً المنطقة الصناعية الواعدة ببداية عصر جديد ونشاط آخر يضاف إلى أنشطة سكان المنطقة.

وردة البوسعيد وهي قرية تقع بين فرق وطيمساء أقيم فيها الآن مستشفى نزوى العام.

وكرشاء وتوجد بها منطقة الخدمات الصناعية.

والمضيبي والمعتمر والمعيمر وكل هذه القرى تقع جنوب الولاية.

أما في الشمال فتربض قرية تنوف على سفح الجبل الأخضر هذه القرية التي كانت

مركزاً لبني نبهان الذين حكموا عمان فترة من الزمن ولا تزال أطلال القرية شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا.

وتشتهر تنوف بالزراعة خاصة القمح فكانت بمثابة سلة الغذاء لنزوى وذلك بسبب وفرة المياه بها لقربها من سفح الجبل.

وقرية كمه التي تعتبر أحد بوابات الجبل الأخضر.

ويتبع الجبل الأخضر ولاية نزوى والوصف عنه يطول وقد ذكرنا شيئاً عنه سابقاً.

يوجد بالجبل الأخضر عدة قرى قام الإنسان العماني ببنائها شاهدة على جهوده الجبارة بشقه الصخور وعمارة المدرجات ومن هذه القرى:

سيق عاصمة الجبل الأخضر ووادي بني حبيب والشريجة والمناخر والعقر والعين وغيرها من القرى.

أما تاريخ نزوى فهو سجل التاريخ العماني فعلى مدار ثلاثة عشر قرناً من الزمن ونزوى هي بؤرة أحداث التاريخ العماني، يكفي أنها كانت عاصمة عمان في الإزدهار خاصة عصر اليعاربة الذين أقاموا أمبراطورية آسيوية أفريقية وسيطروا على عباب المحيط الهندي دون منازع، فالحديث عن تاريخ نزوى لا تحويه سطور لأنه الحديث عن معظم التاريخ العماني من العصر الاسلامي الأول إلى العصر الحديث.

والآثار في نزوى عديدة ومتنوعة فمن قلاع كبيرة كالشهباء وهي قلعة نزوى المعروفة أكبر قلاع البلاد وأمتنها وأمنعها والحصن المجاور لها إلى قلاع صغيرة وبروج في جميع الأحياء السكنية بها إلى بيوت وهي بمثابة الحصون والقصور كبيت الرديدة في بركة الموز وبيت سليط في علاية نزوى وحصن تنوف المتهدم.

كذلك توجد بها أحياء أثرية متهدمة بقيت أطلالها حتى اليوم مثل أطلال تنوف وحارة الشرجة.

إلى مساجد أثرية مزخرفة المحاريب والجدر مثل مسجد الشواذنة ومسجد حارة الجناة ومسجد حارة الشرجة وغيرها.

هذه نزوى ماضيا وحاضرا والحاضر خير شاهد وواصف لنفسه.

نزوى قبل عام ١٩٧٠م

عاشت عُمان قبل عام ١٩٧٠م تترقب المنقذ لها من حياة الجهل والفقر والمرض التي كانت سائدة في جميع أنحاء البلاد ففي نزوى لا توجد قبل ١٩٧٠م مدرسة نظامية بل كان التعليم التقليدي صيد نمط التعليم في العصور الإسلامية الأولى وعلى رغم أن ذلك التعليم كان متطوراً وقتها إلا أنه أصبح غير كاف لتلبية متطلبات العصر الحديث، فكان التعليم قبل ١٩٧٠م في المساجد والكتاتيب فقط ولهذا كان الجهل متفشياً والأمية ضاربة أطنابها.

أما الصحة فقد وجدت عيادة بسيطة تقوم بالاسعافات الأولية فقط وتعالج بعض الأمراض الوبائية المنتشرة كالملاريا والحصبة والتراخوما وغيرها من الأمراض.

أما المواصلات فعلى الرغم من ظهور السيارة إلا أن الأهالي كانوا يستخدمون المواصلات التقليدية من الحيوانات كالحمير والجمال والخيول بالطبع فإن الكهرباء لم تنر في نزوى حتى عام ١٩٧٥م، ومياه الشرب متوفرة من الأفلاج والآبار.

هذا وقد تمكن بعض الأهالي من سماع المذياع أما الغالبية فلم يستطيعوا امتلاك الجهاز.

وبقيت المباني الطينية كعهدها الأول لم تتغير لساكنيها. وخلت المدينة من أية منشآت حكومية عدا معسكر الجيش الذي يحرسها.

أما الحالة الاجتماعية فهي الأخرى لم يطرأ عليها تغيير بل استمر الحال على ما هو عليه من إرث قديم وعادات سائدة.

أما القضاء فقد أداره قضاة الإسلام وحكموا بين الناس بموجب الشريعة الإسلامية الغراء، فكان المتنفس الوحيد للأمة يقام بينها شرع الله العادل وتنفذ فيها حدوده.

وكان حرس الوالي بنفس الاسلوب التقليدي يقوم بحراسة الحصن وتنفيذ أوامر القادة فكانوا يقومون بدور الشرطة الآن.

وقد استمرت الحالة حتى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٧٠م حيث بزغ فجر النهضة بقيادة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم حفظه الله.

نزوى وحظها من معالم النهضة الحديثة :

ـ العاصمة الإدارية للمنطقة الداخلية:

من بزوغ فجر النهضة العمانية في ٢٣ يوليو ١٩٧٠م جاء دور نزوى كعاصمة إدارية للمنطقة الداخلية. ففي مطلع السبعينيات نشأت المصالح الحكومية في عواصم المناطق العمانية ومنها نزوى.

فقد تم إنشاء المستشفيات والمجمعات الصحية ومكتب الاشغال العامة والعمال ومكاتب الرعاية الاجتماعية ومراكز اصلاح وصيانة الطرق ومكاتب التعليم ومكاتب الشرطة ومركز الأمن والدفاع.

وقد أخذت هذه المصالح والمكاتب في التوسع تبعاً لحاجة البلاد التنموية وتوجد الآن بنزوى المصالح الحكومية التالية على المستوى المركزي للمنطقة.

أولاً: المديرية العامة للتربية والتعليم للمنطقة الداخلية.

ثانياً: المديرية العامة للصحة بالمنطقة الداخلية.

ثالثاً: المديرية العامة للبلديات الإقليمية والبيئة

رابعاً: مكتب المشرف العام للخدمات الاجتماعية والعمل والتدريب المهني

خامساً: إدارة الإسكان

سادسا: إدارة التجارة والصناعة

سابعاً: إدارة موارد المياه

ثامناً: إدارة الكهرباء

تاسعاً: إدارة المياه

عاشراً: المديرية العامة للزراعة والثروة الحيوانية بالمنطقة الداخلية

حادي عشر: إدارة الأوقاف والشؤون الدينية

ثاني عشر: إدارة الري

ثالث عشر: الهيئة العامة لأنشطة الشباب الرياضية والثقافية.

رابع عشر: دائرة الطرق

خامس عشر: القيادة العامة لشرطة عمان السلطانية بالمنطقة الداخلية

سادس عشر: المحكمة الجزائية الابتدائية / المحكمة الشرعية

سابع عشر: المحكمة التجارية

ثامن عشر: أكاديمية شرطة عمان السلطانية

تاسع عشر: منطقة نزوى الصناعية

عشرون: كلية التربية

إحدى وعشرون : الكلية الفنية الصناعية

هذه مجمل المصالح والمديريات والمكاتب الحكومية على مستوى المنطقة الداخلية والتى تتمركز جميعها في عاصمة المنطقة «نزوى»، وسوف نفصل دور كل مصلحة على حدة مع ذكر نشأتها وتطورها وفروعها إن وجدت.

هذا وسوف يكون التفصيل على شكل مجالات كالآتي:

أولاً : مجال التعليم والصحة والرعاية والسياحة

ثانياً: مجال الخدمات العامة

ثالثا: المجالات الاقتصادية والسياحية

رابعاً: مجال القضاء والعدل والأمن.

المجال الأول: التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية

يعتبر هذا المجال من أهم ما يعني المجتمع فهو بمثابة الجسد والروح والدم والغذاء، فلا يمكن أن تكون هناك تنمية بدون تعليم ولا يمكن أن يكون المجتمع قوياً دون صحة وتربط اجتماعي.

ولقد تحقق في هذا المجال الشيء الكثير وكانت اللمسات فيه من أول يوم بزغت فيه

شمس النهضة، حيث حظيت نزوى دون سواها بأول مدرسة عصرية ثم تلاها مستشفى عام ومركز خدمات صحية.

والآن يوجد في نزوى ٢٥ مدرسة يدرس فيها حوالى ١٧ ألف طالب. وقد تحقق القدر الأكبر من تعمين سلك التدريس حيث بلغت نسبته ٧٥٪.

فلم تقف التنمية حول إنشاء المدارس بل تعداها إلى مؤسسات التعليم العالي، فأنشئت كلية التربية للمعلمين الكلية الفنية الصناعية.

تقدم هاتان الكليتان لأبناء هذا البلد ما يحتاجه من كوادر متعلمة ومدربة في مجال التربية والتعليم ومجالات تقنية المعلومات والمحاسبة وفني المختبرات وغيرها.

أما عن الخدمات الصحية الآن فهناك منظومة شبه متكاملة للرعاية الصحية، تبدأ من المؤسسة التي تدير الخدمات الصحية وتنبثق عنها الخدمات الصحية مرتبة تنازلياً حيث تبدأ مع مستشفى نزوى المرجعي لكل المنطقة إلى المجمع الصحي ومستشفى الجبل الأخضر إلى المستوصفات الصحية مثل مستوصف بركة الموز.

وهكذا تحقق للمواطن ما كان يصبو إليه من نعمة الصحة والعافية، هذا ولم يقتصر دور المؤسسات الصحية تقديم العلاج بل تعداها إلى تقديم خدمات التوعية الصحية والوقاية والتحصين ورعاية الأمهات والأطفال والعجزة والحق يقال إن المؤسسات الصحية تقوم بدورها خير قيام وتحقق أمل الإنسان في العيش الرغيد.

وتقوم مؤسسات الخدمات الاجتماعية بدورها المكمل لدور كل من التعليم والصحة، فهي تقوم بدور التعليم في مجال التدريب المهني وتشرف على مؤسسات معاهد التدريس وتقوم برعاية المعوقين وتقديم ما يلزمهم من توعية ورعاية اجتماعية وصحية وتقوم بدور تنمية الأرياف والمرأة الريفية والقروية.

كما تقدم دائرة الشؤون الاجتماعية الخدمات اللازمة نحو الضمان الاجتماعي وإعانة الأسر المحتاجة والفقيرة والعناية بالأرامل والمطلقات والأيتام.

هذا ولا يقتصر دورها على ذلك بل يصل إلى مرافق العمال ومتابعة التعمين وحماية المجتمع من أضرار العمالة الوافدة وحماية العمال ورعايتهم من أي سوء يقع عليهم.

المجال الثاني : الخدمات العامة:

يعد هذا المجال المظهر المدني للمجتمع، ففيه تقوم المؤسسات المختلفة بتوفير ما يلزم من خدمات للمجتمع، فالإنسان المعاصر لا يمكن أن يعيش دون كهرباء وفي هذا تحقق الكثير حيث وصلت الكهرباء في ولاية نزوى إلى أغلب القرى وسوف تصل إلى الجميع في غضون السنوات القادمة، وتوفر دائرة المياه، مياه الشرب إلى البيوت كما تقوم بتوصيل الماء إلى القرى والمناطق الجبلية والصحراوية، يصاحب كل هذا خدمات البلدية حيث تقوم بما يلزم من حماية البيئة وتنظيف البيئة من المخلفات وإرشاد الناس إلى ما يصلحهم، كما تقوم بلدية نزوى بالإشراف على السوق، والسوق في نزوى مشهوروهو متعدد الأسواق، هذا وقد قامت البلدية أخيراً بتجميل المدينة وإنارتها ورصف الطرق الداخلية للولاية ولهذا شعر الناس بذلك فتعاونوا على البر والتقوى وأدوا واجباتهم نحو وطنهم حيث هبوا مساندين للبلدية في رصف ما بقي من طرق.

هذا وتنتشر معظم المؤسسات الحكومية لتقديم ما يلزم من تسهيلات نحو بناء مجتمع معاصر متحضر قائم على النظام والقانون.

المجال الثالث: السياحة والاقتصاد

لا شك أن نزوى تعد من مراكز السياحة الداخلية والخارجية في السلطنة، فهي تحوي العديد من المرتكزات السياحية. فنزوى كما أسلفت القلب النابض في الدولة تقع وسط البلاد.

وعلى سفح الجبل الأخضر تتوسطها القلعة الشهباء وتجري الأفلاج متخللة بساتينها الغناء، وأسواقها المنظمة الأثرية منها والحديثة ذات الطراز المعماري الإسلامي وتحوي قبور الصالحين والأئمة والقادة كل هذا أهلها تبوء ذلك المركز.

ولهذا فقد أنشئت عدة منشآت سياحية تضم عدد من الفنادق والاستراحات والتي تقوم بخدمة الزوار لهذه المدينة العريقة. كما قامت البلدية بإنشاء بعض الحدائق العامة. لتعطي المدينة جمالاً وتوفر مكاناً مناسباً لمن يقصدها.

ولهذا نشطت الحركة التجارية في نزوى وتعددت فيها الأسواق بل وتخصص كل سوق

عن الآخر، فهناك سوق التراث، وسوق الحرفيين وسوق الخضروات والفواكه وسوق اللحوم وسوق الأسماك وغيرها.

وفي نزوى توجد منطقة صناعية حديثة تم توفير جميع الخدمات اللازمة لإنشاء المصانع وفعلاً ابتدأ العمل في تلك المصانع ومن أهمها مصنع السراميك وبعض مصانع البلاستيك ومصنع للأغذية ومصنع للتمور.

وتعد منطقة كرشاء للخدمات الصناعية من أنشط المناطق الصناعية في المنطقة حيث تقوم ورش لتصليح المركبات والتجارة والحدادة ومصانع الطابوق ومنتجات الألمنيوم.

المجال الرابع: القضاء والعدل والأمن

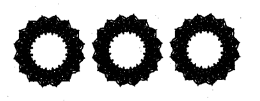
ولقد وضعته في الأخير ولكنه الأول والأخير، فهو صمام الأمان للمجتمع فبدون الأمن والعدل تضطرب الحياة وتنتشر الفوضى فيسود ويتحكم الفقر والمرض.

ولا أستطيع أن أسترسل في ذلك لأن العاقل يعلم أن الإنسان حر كريم عندما يتمتع بنعمة الأمن ويحكمه العدل.

وفي نزوى ـ والحمد لله ـ تقوم مؤسسات الأمن بدورها المنشود في حماية المجتمع والسهر عليه والمرجع في ذلك كله إلى مكتب الوالي الذي يقوم بتنسيق كل الجهود، وتقوم شرطة عمان السلطانية بدورها المنوط.

وتحتضن نزوى أكاديمية شرطة عمان السلطانية التي تقوم بتخريج رجال الشرطة وتدريبهم وتعليمهم على أكمل وجه

هذا وقد احتضنت الولاية ايضا المحكمة الشرعية والمحكمة الجزائية الابتدائية ومحكمة حسم المنازعات وكلها مؤسسات تقوم على تطبيق العدل بين المواطنين وتفصل بينهم في المنازعات كلٌ حسب اختصاصه.



المحتويـــات



ما ورد في هذا الكتاب لا يمثل بالضرورة
رأي المنتدى الأدبي

رقـم الأيـداع : ١٢٧/ ٢٠٠٧م

تم بحمد الله

